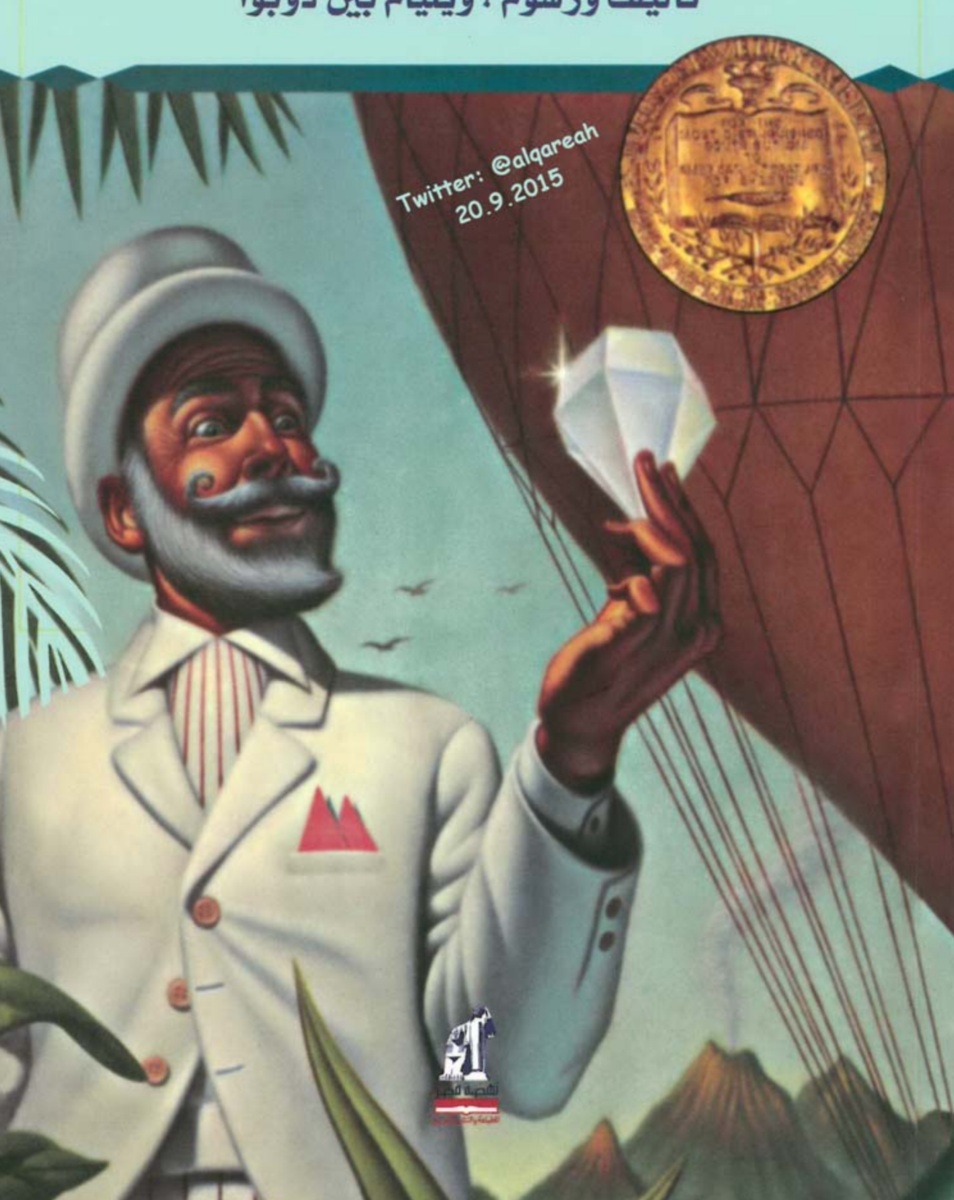
الواحد والعشرون منطادًا

تأليف ورسوم : ويليام بين دوبوا



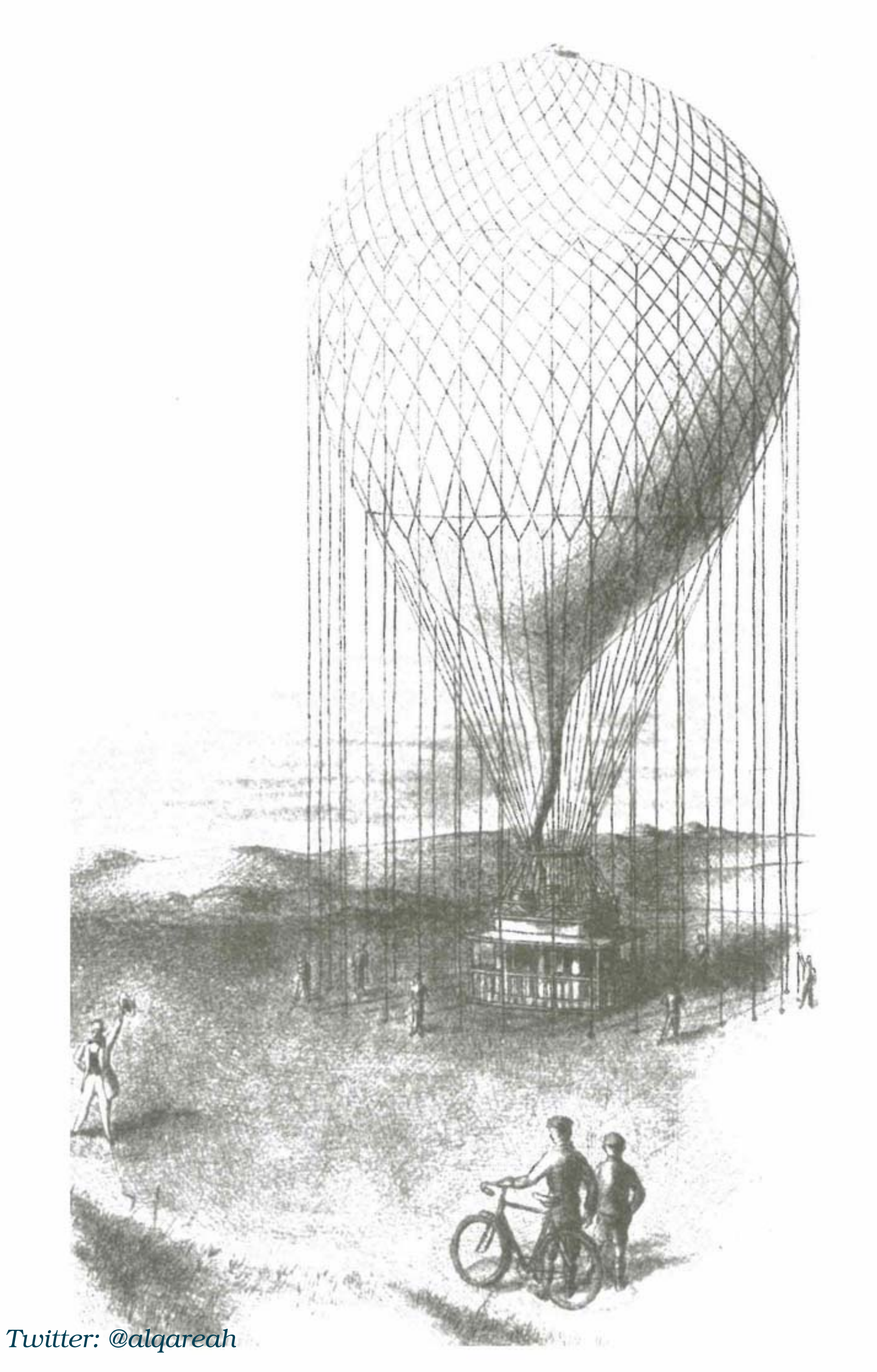
الواحد والعشرون منطاداً

تأليف ورسوم : ويليام بين دوبوا



الواحد والعشرون
منطادًا





العنوان: الواحد والعشرون منطادًا
تأليف: ويليام بين دوبوا
ترجمة: ريهام أسامة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم



الترقيم الدولى: 2-4130-14-977 رقم الإيداع: 2007/19329 الطبعة 1: أغسطس 2007

الإدارة العامة: 21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة تليفون: 33466434 - 33472864 02 فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر تليفون: 38330287 - 38330289 02 فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع: 18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة تليفون: 25909827 - 25908895 02 فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية، رشدى تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com

المحتـــويات



جائزة نيوبرى

تقدم هذه الجائزة كل عام لأفضل كاتب للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية.. والكاتب الذى يحصل عليها، يحجز لنفسه مكانًا فى قائمة أعظم الكتَّاب.. فهى أكبر وأقدم جائزة فى الولايات المتحدة.

وقد بدأ تقديمها عام 1922، عندما اقترح فريدريك ميلشر على اتحاد المكتبات الأمريكية إنشاء هذه الجائزة، على أن تقدم باسم جون بيرى، وهو أقدم بائع لكتب الأطفال فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا.

يهدف الاتحاد من تقديم الجائزة إلى التشجيع على الابتكار والأفكار الخلاقة فى حقل الكتابة للشباب، سواء أكان شعرًا أم رواية أم مسرحية.. كما حدد لها شروطًا كثيرة منها: أن يكون العمل منشورًا فى نفس العام، ولم يسبق نشره، كما أن الكاتب يجب أن يكون مواطنًا أمريكيًّا.

ويفوز الكاتب بميدالية برونزية. صممها بول تشامبلان، محفور عليها اسم الكاتب، وتاريخ الفوز بها.

وفى عام 1973، اقترح فريدريك.ج. ميلشر تقديم جائزة كالديكوت لأفضل تصميم، أو رسم لكتاب الطفل، وسميت بهذا الاسم تكريمًا لرسام الأطفال الإنجليزى فى القرن التاسع عشر راندولف كالديكوت.

بعض الكتب الحائزة على جائزة نيوبرى

1 ـ صيف البجع.
2 ـ معجزات فوق التل.
3 ـ ساوندر.
4 ـ السفر فى الزمن.
5 ـ الأسير.
6 ـ راسكال.
7 ـ لعبة «ويستنج».
8 ـ سى بيسكيت.
9 ـ إيلا المسحورة.
10 ـ سارة فارعة الطول متوسطة الجمال.
11 ـ سلام منفصل.
12 ـ الواهب.
13 ـ كسرة من آنية فخارية.
14 ـ صور هوليس وودز.
15 ـ صوت البوم.
16 - الجانب الآخر من الجبل.
17 - الحفر.
18 - الواحد والعشرون منطادًا.

قصص أخرى للشباب :

1 ـ الأعظم.. محمد على.
2 ـ الأخوان رايت.
3 ـ العصَّار.
4 ـ الخاسر.

كلمة المؤلف

قبل إصدار كتاب «الواحد والعشرون منطادًا»، لاحظ الناشرون الشبه الشديد بين قصتى وقصة أخرى كتبها إف سكوت فيتزجيرالد بعنوان «الماسة الضخمة بحجم فندق ريتز»، والتى نشرتها دار نشر تشارلز سكريبنرز سانز فقرأت هذه القصة على الفور وصعقت عندما اكتشفت أنها لم تكن فقط تشبهها فى حبكتها، ولكنها كانت تحتوى على أفكار مشابهة جدًا. كانت هذه أول مرة أسمع عن قصة إف سكوت فيتزجيرالد ويمكننى تفسير هذه المصادفة المحرجة والمثيرة لغضبى باعتقاد قوى بأن الاستفادة من اكتشاف كمية كبيرة من الماس يتطلب حلاً واحدًا هو الكتمان. ولكنه من الصعب تفسير مصادفة التشابه بينى وبين إف سكوت فيتزجيرالد فى رغبتنا فى إنفاق بلايين الدولارات من أجل الحصول على الأشياء ذاتها وصولا إلى الهبوط من الفراش إلى حوض الاستحمام بالطابق الأسفل.

ويليام بين دوبوا

١٦ يناير، ١٩٤٧

مقدمة

هناك طريقتان للسفر. الطريقة المعتادة هى أن تأخذ أسرع وسيلة ممكنة وأقصر طريق ممكن. أما الطريقة الأخرى فهى ألا تبالى إلى أين تتجه أو كم من الوقت ستستغرق رحلتك أو إذا كنت ستصل إلى وجهتك من الأساس. من السهل رؤية هاتين الطريقتين عند مراقبة كلاب الصيد. بينما هناك كلاب تتبع حاسة الشم لديها للوصول مباشرة الى فريستها، هناك كلاب أخرى تتبع حاستها ولكن بطريقة غير مباشرة فتجدها تبحث فى أكوام التراب وجحور الأرانب الخالية وصفائح القمامة والأشجار، وفى النهاية عندما تعثر على فريستها ربما لا تبالى بها. هذه الطريقة الثانية هى الأفضل دائما فإنك تستطيع أن تتابع ما يحدث فى العالم حولك وتتعرف أيضًا على الطبيعة وتطوراتها (كما فى حالة كلب الصيد الأكثر بطئا فى بحثه).

فى المستقبل القريب، فى العصر الذرى، سيكون السفر فائق السرعة. اذا أردت أن تسافر من نيويورك الى كالكتا، على سبيل المثال، كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى المحطة فى نيويورك حيث تدخل غرفة ترسلك كرسالة لاسلكية إلى كالكتا فتخرج من الباب الآخر للغرفة لتجد نفسك فى المحطة فى كالكتا ومنها إلى شوارع كالكتا.

لن تستغرق هذه الرحلة أكثرمن الوقت الذى يستغرقه الدخول إلى غرفة عادية، ولذا فلن تشعر بأى شىء. عندما تدخل إلى الغرفة سيتم تحويلك أوتوماتيكيا إلى موجة لاسلكية تبث عن طريق الراديو إلى كالكتا حيث سيتم تجميعك مرة أخرى أوتوماتيكيا فور التقاطك عبر جهاز الراديو فى كالكتا فور انتقالك من نيويورك تماماً مثل التقاط صوت الإنسان فى لحظة واحدة من محطة الراديو الى أى مكان فى العالم. سيكون السفر إلى أى عاصمة فى العالم فورياًّ فعندما يكتشف الإنسان أسرار الطبيعة الدفينة، لن يقترن الوقت بالمسافة. ستظل تسمع فى المستقبل كلمة «ميل» وستسمع أيضا كلمة «ساعة» ولكن لن تسمع مصطلح «كم ميلا فى الساعة» فهذا المصطلح سيبطل استخدامه تماماً.

ومع ذلك فإن أفضل طريقة للسفر، إذا لم تكن فى عجلة من أمرك وإذا لم تكن مهتما إلى أين تتجه وإذا كنت لا تحب السيرعلى الأقدام وإذا كنت تريد رؤية كل شىء بوضوح وإذا لم تكن تريد أن يزعجك اختيار الاتجاهات، هى السفر بالمنطاد فأنت تقرر فقط متى تبدأ رحلتك وعادة متى تتوقف. أما بقية القرارات فتدعها للطبيعة، فالرياح هى التى تحدد سرعتك ووجهتك. إن السفر بالمنطاد طريقة رائعة للانتقال، خاصة إذا كنت تريد الانتقال من البيت إلى المدرسة. فكل ما عليك فعله هو النهوض مبكرا، اصطحاب كتبك المدرسية، القفز بداخل سلة المنطاد، النظر فى اتجاه المدرسة، فك الحبال والبدء فى الطيران. يمكن حدوث العديد من الأشياء السارة فى أثناء رحلتك مثل:

1- أن تكون الرياح هادئة فلا تصل أبدًا إلى المدرسة،

2- أن تطير بك الرياح فى الاتجاه الخاطئ فتأخذك على بعد خمسين ميلا من المدرسة وتجد نفسك فى الريف، و....

3- أن تقرر لعب الهوكى لمرة واحدة دون أن يزعجك أحد.

ربما تطير أيضًا فى طريقك فوق ملعب للبيسبول فتهبط سريعا فوق سقف المدرج هناك. وفى طريقك يمكنك المرور فوق بحيرة ما فتقوم بكتابة رسالة وإرسالها عن طريق البحيرة، كما يمكنك القيام بالصيد. السفر بالمنطاد هو أفضل وسيلة خاصة للانتقال بين البيت والمدرسة.

كل هذه الأفكار المتعلقة بالسفر كانت تجول فى خاطر بروفسير عجوز وظريف يسمى ويليام ووترمان شيرمان. كان البروفيسور شيرمان يقوم بتدريس مادة الحساب بمدرسة للبنين فى سان فرانسيسكو طوال أربعين عامًا، لذا كان يشعر بضجر شديد من التدريس. فى بداية الأمر، بدأ شيرمان التفكير بالمنطاد كوسيلة رائعة للذهاب إلى المدرسة، ثم فكر بالسفر بالمنطاد كوسيلة مثلى للراحة لمدة سنة بعد التقاعد عن العمل. توقف شيرمان عن العمل بالتدريس فى سن السادسة والستين، فبنى لنفسه منطادًا ضخمًا وملأ سلة المنطاد بالطعام. فكر شيرمان أنه يمكنه أن يهيم بهذا المنطاد العملاق لمدة سنة كاملة، منقطعا عن الأرض، حيث لا يمكن لأحد أن يزعجه، تاركا وجهته لتحددها الرياح. يقوم هذا الكتاب «الواحد والعشرون منطادًا»، بسرد أحداث رحلته المثيرة.

إن رحلته فى منتهى الإثارة فقد قوبل بالعديد من المشاكل ومصادر الإزعاج فور بدئه الرحلة، ومنها أكبر انفجار فى تاريخ العالم.

يعرفنا الكتاب أيضًا بجميع أنواع السفر بالمنطاد التى عرفها الإنسان وبعض الاختراعات فى هذا المجال التى لا يعرفها أحد حتى الآن. تدور أحداث الكتاب فى الفترة بين عامى 1860 و1890 وهى أكثر فترة كان المنطاد فيها رائجا.

نِصْف أحداث هذه القصة حقيقية أما النصف الآخر فهناك احتمال أن تكونَ حدثت بالفعل أيضًا. بعض اختراعات المناطيد المذكور فى هذا الكتاب قد تم بناؤه بالفعل، والبعض الآخر صممه رجال مشهورون فى رياضة السفر بالمنطاد ولكنهم لم يملكوا المال الكافى لبناء هذه التصاميم وتجربتها. المناطيد الأخرى المذكورة بالكتاب ربما تم بناؤها بالفعل.

الجزء الخاص بجزيرة «كراكاتوا» الواقعة بالمحيط الهادى مأخوذ عن الواقع، فهناك بالفعل جزيرة بركانية بهذا الاسم، وقد تفجَّرت بالفعل جراء أكبر انفجار حدث فى التاريخ، ولذا فحجمها الآن نصف حجمها فى عام 1883. كانت جزيرة كراكاتوا ترتفع بأربعة عشر قدما فوق مستوى البحر قبل الانفجار، أما بعد الانفجار فقد تحولت إلى فجوة تحت الماء يمتد قاعها لأكثر من ألف قدم تحت مستوى سطح البحر. سمع دوى الانفجار على بعد ثلاثة آلاف ميل عن الجزيرة وهى أكبر مسافة انتقل عبرها الصوت حتى الآن. لقد تسببت قوة انفجار البركان فى تناثر الغبار والرماد والحجارة فى الهواء على ارتفاع سبعة عشر ميلا. وكونت المواد المنبعثة سحابة سوداء غيمت على مساحة بقطر مائة وخمسين ميلاً من الانفجار، كما تسببت الأمواج التى أحدثها الانفجار، والتى بلغ ارتفاعها خمسين قدما، فى تدمير مراكب لا حصر لها وإغراق وتدمير العديد من القرى فى جزر على بعد المئات من الأميال مما تسبب فى آلاف الإصابات.

يروى هذا الكتاب قصة رحلة البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان الفريدة وأصدقائه الرائعين وحياته غير العادية فى جزيرة كراكاتوا، والتى انتهت بأكثر الأيام ضجة فى تاريخ الإنسانية.





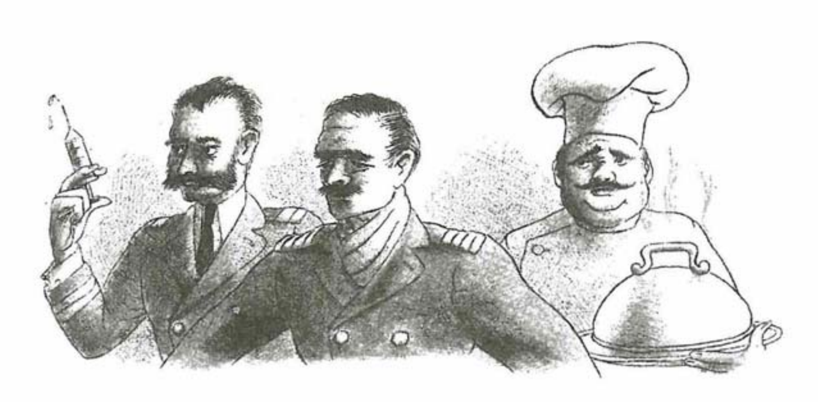
السفينة، وردت له قوته وعافيته بفضل الطعام والشراب الذى كان يعدهما له طاهى السفينة، كما إنه حظى بالمتابعة والاهتمام من ربان السفينة، الكابتن جون سيمون. فور أن تحسنت حالته بما يسمح له بالكلام، مال عليه الطبيب والطاهى والقبطان وسألوه بنبرات قلقة، «كيف تشعر؟».

أجابهم البروفيسور شيرمان وهو فى حالة من الضعف، «كان من الممكن أن أكون بحال أسوأ من هذاء».

سأله الكابتن سيمون، «هل تشعر بتحسن كاف لتروى لنا قصتك؟».

أجابه البروفيسور شيرمان: «نعم. دعونى أولاً أشكركم، أيها السادة، على اهتمامكم الطيب بى. ولكن..» قال صارخًا، «بصفتى عضوًا شرفيًا فى نادى المستكشفين الأمريكيين الغربيين بسان فرانسيسكو، فإنى أدين بالرواية الأولى لمغامرتى الفريدة لهذه الجمعية الأخوية الشهيرة!».

شعر القبطان جون سيمون بشىء من الإساءة عند سماع كلمات البروفيسور شيرمان، فهو الذى أصدر الأمر بإنقاذه عندما وجده عائما على شفا الموت وسط ألواح من الأخشاب ومناطيد فارغة من الهواء؛ أى هو الذى أنقذ حياته. والطبيب هو الذى عالج البروفيسور ومرضه بعناية حتى تماثل للشفاء والطاهى هو الذى بذل جهداً كبيراً وأعد طعامًا شهيًا وخاصًا له. لذا شعر الثلاثة بإحباط شديد، بل إن ذلك زكّى الفضول لديهم لمعرفة ما حدث، فحاولوا بشتى الطرق إقناع البروفيسور ليروى قصته.لقد جربوا التحدث إليه تارة، وإقناعه تارة وخداعه تارة أخرى، بل حتى إثارة غضبه واستفزازه. حاولوا أيضًا إغواءه بالمشروبات الروحية ووضعه تحت تأثير مخدر ولكن كل هذه المحاولات جعلته أكثر إصرارا حتى صرخ فيهم بكل ما يمتلك من قوة قائلاً:



«سأروى قصتى لأول مرة فى قاعة الاستماع بنادى مستكشفى غرب أمريكا بسان فرانسيسكو، النادى الذى أنتمى إليه بعضويتى الشرفية!».

سأله الكابتن سيمون، «ألن تخبرنى باسمك على الأقل حتى أتمكن من تدوينك بسجل السفينة؟».

أجابه البروفيسور: «لن أحجب عنك هذه المعلومة.اسمى ويليام وترمان شيرمان».

قال القبطان سيمون: «لدى سؤال آخر لك».

قاطعه البروفيسور شيرمان قائلاً: «لن أجيب على أى أسئلة أخرى!» وأضاف«سأكافئك على إنقاذى حق المكافأة وسأدفع أجرة إقامتى بالسفينة كاملة «ولكنى سأحتفظ بكل تفاصيل رحلتى لنادى....».

«حسنًا، حسنًا». قال القبطان سيمون ثم غادر كابينة البروفيسور شيرمان.

اتجه القبطان إلى كابينته حيث قام بتسجيل الآتى فى سجل السفينة:

فى يوم الثلاثاء، الموافق الثامن من سبتمبر من عام 1883، فى أثناء الإبحار على خط عرض 60 درجة وخط طول 17 درجة فى أجواء صافية، شاهدنا فى الساعة الثانية عشر ظهرا حطاما غريبا على مسافة من السفينة. اقتربنا منه بحذر لنكتشف أن هذا الحطام هو عبارة عن كتلة كبيرة من الدعامات الخشبية المكسورة وملحق بها عشرون منطادًا فارغًا بنسب مختلفة من الهواء. فى وسط كل هذا الحطام كان هناك ما يشبه الفرن الكبير.

كان مطليا باللون الأحمر ومزركشا باللون الذهبى. انقلب هذا الفرن وغرق فى المحيط قبل أن نقترب لنعرف فيم كان يستخدم. عند اقترابنا وجدنا رجلا متعلقا بواحدة من الدعامات الخشبية، والتى كانت جزءا من درابزين، وكان هذا الرجل فى حالة من الإعياء والبرد والصدمة. كانت ملابسه أنيقة على عكس الملابس المعتاد ارتداؤها من قبل المستكشفين والمسافرين بالمنطاد. التقطنا الرجل من الحطام واستجوبناه بعد فترة حين كان يستطيع الكلام، ولكن المعلومة الوحيدة التى تمكنا من الحصول عليها هى اسمه وهو ويليام ووترمان شيرمان.



وقد أصدرت أوامرى بأن يتم علاج البروفيسور شيرمان ومعاملته بالاهتمام الذى يحظى به أى راكب على متن السفينة وسنقوم بمعالجته وتكلفته بالمثل.

عندما وصلت السفينة إس.إس.كانينجهام إلى مدينة نيويورك، كان بروفيسور شيرمان لا يزال غير قادر على التنقل والسفر بمفرده، فقرر الراحة لبضعة أيام قبل التوجه إلى سان فرانسيسكو بالقطار. طلب شيرمان من القبطان سيمون مساعدته فى العثور على فندق فساعده واصطحبه فى عربة واتجها إلى فندق موراى هيل. بعد أن تأكد أن شيرمان قد حصل على غرفة بالفندق ودون رقمها، عاد القبطان إلى السفينة وأخذ سجل السفينة واتجه إلى مقر جريدة نيويورك تريبيون. كان يعلم أن قصة إنقاذ البروفيسور شيرمان تمثل مادة صالحة لأن تكون خبرا مثيرا وأنه من الممكن أن يبيعها لهذه الجريدة مقابل مبلغ ضخم من المال. وبالفعل اشترت الجريدة هذا الخبر على الفور من القبطان وأرسلت صحفيين إلى فندق موراى هيل لمقابلة البروفيسور شيرمان فى الحال. بالطبع لم ترق هذه الفكرة للبروفسير شيرمان فكانت إجابته واحدة لكل أسئلة الصحفيين وهى: «أيها السادة!.. إنى أحتفظ بكل تفاصيل رحلتى الفريدة حتى اجتماعى بنادى المستكشفين الأمريكيين الغربيين بسان فرانسيسكو. أنتم تضيعون وقتكم ووقتى. أتمنى لكم يوماً سعيدا، أيها السادة!».

أثارت إجابة شيرمان اشمئزاز الصحفيين. استغلا المعلومات الموجودة بسجل القبطان سيمون قدر استطاعتهما وصنعا منها خبرا وطبعاه بالصفحة الأولى من الجريدة. برغم عدم اكتمال الخبر إلا أنه جذب انتباه العديد من الناس. كتب فى عنوان المقال: العثور على البروفيسور شيرمان فى المحيط الأطلنطى وسط حطام عشرين منطاداً، وكتب العنوان الفرعى: يرفض البروفيسور شرح التفاصيل.

التقطت جريدة سان فرانسيسكو تريبيون هذا الخبر باهتمام شديد وقامت بإرسال معلومات لجريدة نيويورك تريبيون تفيد بأن البروفيسور شيرمان قد حاول مؤخرًا الطيران عبر المحيط الهادى فى منطاد واحد. بحثت جريدة نيويورك تريبيون بدورها فى أرشيف الصور الخاص بها ووجدت صورة للبروفيسور شيرمان فى مصنع هيجينز للمنطاد. أرسلت الجريدة مصوراً إلى فندق موراى هيل حيث استطاع (بصعوبة شديدة) أن يلتقط صورة للبروفيسور شيرمان. فى اليوم التالى، نشرت الجريدة الصورتين جنبا إلى جنب بالصفحة الأولى لتوضيح أنهما صورتان لنفس الرجل ونشرت أسفلهما عنوانا يقول: العثور على البروفيسور شيرمان فى المحيط الخطأ وسط عدة مناطيد وعنوانا فرعيا يقول: يرفض البروفيسور شرح التفاصيل. كان هذان الخبران كافيين لإثارة فضول الملايين وفجأة وجد البروفيسور شيرمان نفسه، وهو حبيس فراشه بالفندق، مركز اهتمام العالم بأسره. قام محافظ نيويورك بزيارته زيارة خاصة، وبالرغم من كل المراسم والتشريفات التى أحاطت بالمستكشف التعب، أهداه المحافظ مفتاح المدينة وقد شكره البروفيسور شيرمان لاحقا على هذا الشرف.

«والآن،» قال المحافظ، « هل لى أن أطلب منك، فى المقابل، أن تروى لى ولمواطنى نيويورك، بل وللأمة كلها وللعالم كله تفاصيل رحلتك البطولية الرائعة؟».

صرخ شيرمان بصوت ملىء بالغضب فى وجه المحافظ قائلاً: «فلتتفضل بالخروج من غرفتى!» وأضاف صائحا، «أتحاول رشوتى وشراء ولائى لنادى المستكشفين الأمريكيين الغربيين بمفتاح المدينة؟ اخرج من غرفتى واصطحب معك أصدقاءك وهؤلاء الصحفيين والمصورين».

استغلت جريدة نيويورك تريبيون هذا الموقف فى الصباح التالى فنشرت بالصفحة الأولى عنوانا يقول: فشل مفتاح المدينة فى كشف أسرار رحلة شيرمان.

فى هذا الوقت كان فضولِ الجمهور قد وصل إلى ذروته، وفى الصباح التالى تلقى البروفيسور شيرمان تلغرافا يستحق اهتماما بالغا ومتواضعا من أى شخص أقل تميزا منه. تضمن هذا التلغراف دعوة من سكرتير رئيس



الولايات المتحدة لشيرمان للذهاب إلى البيت الأبيض، مقترحا أن يكون المكان الأنسب لكشف أسرار قصته للعالم الذى لا يطيق صبرا لسماعها. طلب السكرتير فى دعوته من شيرمان بأن يرسل ردا تلغرافيا فقام البروفيسور

شيرمان بإملاء الرسالة التالية لإرسالها لسكرتير الرئيس دون التفكير كثيرا فى الكلمات التى يختارها فأملى هذه الرسالة:

سيدى الفاضل،

إنى أقدر كثيرا دعوة السيد الرئيس لى، والتى تعتبر بمثابة أمر بتمثيل مسرحية ترفيهية أمام سيادته. ولكنى لن أستطيع أن أخل بالمبادئ التى أشاركها مع أقرانى المستكشفين. لو أنى قد مررت بتجربة أقل إثارة، لم يكن ليهتم أحد سوى أقرانى المستكشفين أين ومتى سأروى تجربتى وكون مغامرتى فريدة يجعلنى أكثر تمسكا بقسم العضوية الذى يحتم على أن أروى تفاصيل رحلتى أولا لأخوتى بنادى المستكشفين الأمريكيين الغربيين بسان فرانسيسكو.

أرجو إبلاغ السيد الرئيس بهذه الرسالة وإبلاغه أيضًا بخالص شكرى له على الشرف الذى منحنى إياه بإرسالى هذه الدعوة الكريمة.

ويليام ووترمان شيرمان

لم يغضب الرئيس عند قراءته رسالة شيرمان، بل أعرب عن تقديره لولاء البروفيسور لناديه.

أرسل سكرتير الرئيس ردا تلغرافيا غير مسبوق للبروفيسور شيرمان بالنيابة عن السيد الرئيس، قائلا فيه:

سيدى الفاضل،

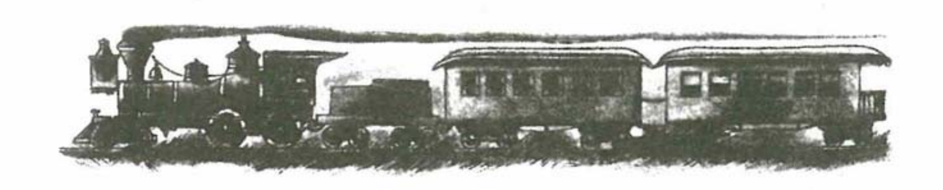
يتفهم السيد الرئيس شعورك تماماً. ولكن نظرا لأن العالم ينتظر بفارغ الصبر أن يستمع إلى قصتك، فقد أمرنى السيد الرئيس أن أخصص لك قطار الرئاسة لتستقله إلى مدينتك، وقد أصدر السيد

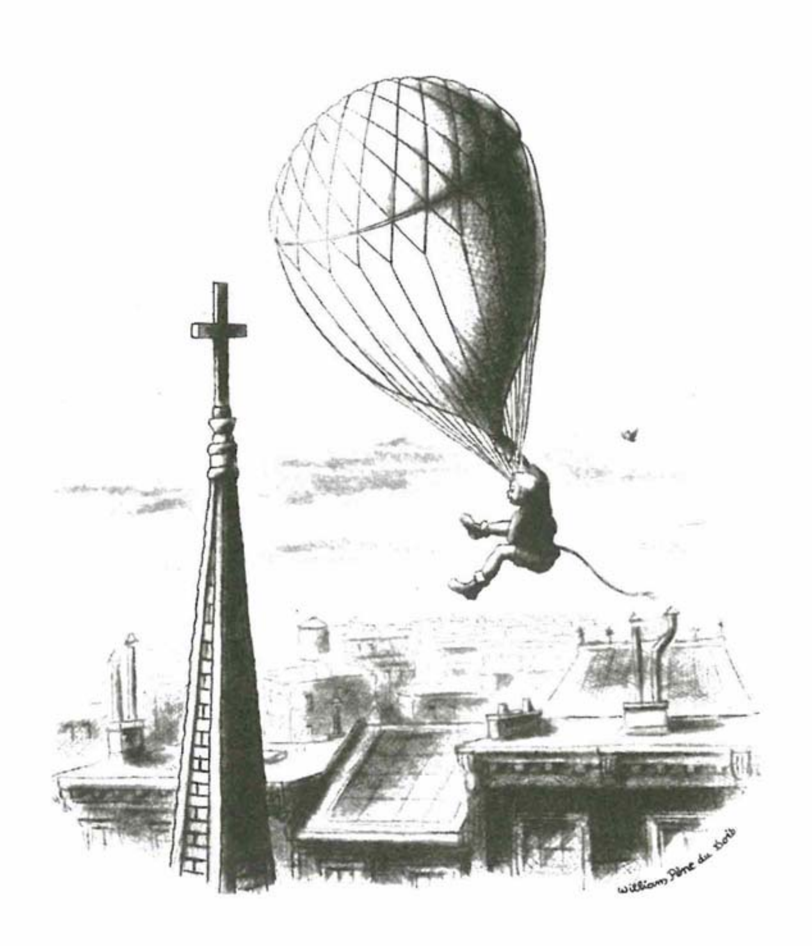
الرئيس تعليماته بإخلاء كافة الخطوط بين نيويورك وسان فرانسيسكو حتى تتمكن من الوصول بأقصى سرعة ممكنة. لقد علم السيد الرئيس بأنك بفترة نقاهة بعد الحادث المؤسف الذى تعرضت له فى المحيط الأطلنطى وأنك لا تقوى على السفر فى الوقت الحالى، وهو يؤكد لك أنك ستشعر بالراحة بعربته بالقطار مثلما تشعر الآن بغرفتك بالفندق وأنك ستتلقى كل الرعاية والاهتمام فى أثناء رحلتك. إذا كان ذلك يناسبك - حيث يرى سيادته أنه مناسب تماماً- ستقلك سيارة إسعاف من الفندق إلى القطار موفرة لك كل سبل الراحة، وذلك فى الساعة الثامنة من مساء اليوم.

لا تزعج نفسك بالتعبير عن شكرك للسيد الرئيس فهو سيتابع التقارير عن رحلتك بنفسه و سيستعد كما يستعد بقية العالم للاستماع إلى قصتك التى ستروبها بقاعة الاجتماعات بنادى المستكشفين الأمريكيين الغربيين بسان فرانسيسكو.

سكرتير رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

و بالفعل غادر البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان ذلك المساء فندق موراى هيل فى الساعة الثامنة، متجها إلى سان فرانسيسكو بقطار الرئاسة.




William Pène du Bois

الفصل الثانى

الاستعداد لاستقبال البطل

بينما هدأ العالم بعض الشىء لمعرفته بأن أخبار البروفيسور شيرمان ستنقطع حتى تنقضى الأيام الخمسة التى ستستغرقها رحلته عبرالبلاد فى قطار الرئاسة، كانت مدينة سان فرانسيسكو فى حالة من الإثارة الجامحة. كثيرا ما حدث أن تستقبل مدينة بطلها العائد بترحاب كبير ولكن لم يحدث من قبل أن بطلا قد أعطى كل هذه الأهمية لمدينته، مسقط رأسه، مثلما فعل البروفيسور شيرمان. لذا فقد أعدت مدينة سان فرانسيسكو احتفالاً خرافيًا لاستقبال شيرمان. وبما أن شيرمان كان رجل منطاد فقد اجتاحت المدينة نوبة من الهوس بالمناطيد، فقد التفت محطة القطار بالرايات والأعلام والمناطيد المصغرة كما زين الطريق من المحطة إلى نادى مستكشفى غرب أمريكا بصفين من الأعمدة ذات التصميم الكورنثى الإغريقى المعبر عن النصر والمتوج كلٌ منها بمنطادين مصغرين ملونين بألوان زاهية. أحيت السيدات صيحة الأثواب الشبيهة بالمناطيد مرة أخرى، والتى كانت رائجة فى فرنسا من مائة عام، كما توقفت السيدات البدينات عن اتباع الحمية الغذائية حتى يحافظن على «المظهر المستدير» الشبيه بالمنطاد.

كانت أشكال المناطيد هى الزينة السائدة بكل متاجر المدينة، فمتجرالفاكهة والخضراوات، على سبيل المثال، قد زين بثمرات الشمام المعلق بها، بخيوط متعددة، صناديق صغيرة تحتوى على حبات الفراولة، مكونة شكلا شبيها بالمناطيد. وتدلت بجانبها ثمرات البطيخ الشبيهة بالمناطيد ذات المحركات وحبات الكوسة التى علقت بشكل يجعلها تبدو كمناطيد المراقبة الصغيرة.



كانِ محافظ سان فرانسيسكو قد أصدر أمرا وجعل مجلس المدينة يتحمل تكلفة صنع ألف منطادٍ مصغر لاستخدامها فى تزيين الطريق من محطة القطار إلى مقر النادى ومبانى البلدية، وقد تعاقد مع مصنع هيجينز للمناطيد للقيام بهذه المهمة الكبيرة، وبذلك أضفى شرفا على الورشة التى صنعت منطاد بروفسير شيرمان العملاق الأصلى. صنعت المناطيد المصغرة من الحرير وملئت بغاز الهيدروجين وعلق بها رافعات تزن ستين رطلاً. بذل المصنع جهدا جبارا مستخدما كل الطاقات المتوفرة فى عمل مستمر ليلا ونهارا حتى أنجز المهمة فى يومين ونصف. كانت المناطيد المصغرة رائعة ومطلية بألوان مختلفة، وكانت تبدو تمامًا مثل منطاد بروفسير شيرمان إلا أنها كانت أصغر كثيرا. بحلول ظهر اليوم الثالث كانت المناطيد معلقة بالفعل بمبانى البلدية المختلفة وعلى طول الطريق بمظهر رائع حقا.

لحقت مجموعات من الأطفال الفضوليين العمال الذين كانوا يقومون بتعليق المناطيد وسألتهم أسئلة كثيرة عن المناطيد، وخاصة عما سيفعلون بها بعد انتهاء الموكب. عندما انتهى العمال من تعليق المناطيد، راقبهم طفل من الأطفال حتى تأكد من رحيلهم ثم تسلق أعلى سطح مكتب البريد وفك منطادًا وأنزله إلى الطريق. كان هذا الطفل يزن خمسة وسبعين رطلا تقريبا بينما كانت رافعة المنطاد تزن ستين رطلا. لم يكن الصبى بالقوة الكافية للعب بالمنطاد جيدًا، كل ما كان باستطاعته فعله، فى حقيقة الأمر، هو السير على أطراف أصابعه، رافعًا يديه عاليًا فوق مستوى رأسه. كان هذا حتى جاءته فكرة.

ربط طرف حبل المنطاد حول خصره وركض فى الطريق مع الرياح وقفز عاليا فى الهواء. حمله المنطاد حتى صار فى ارتفاع الطابق الثانى وطفا فوق

الطريق لمسافة نصف مجمع بنايات. كان هذا ممتعا فجربه مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت الرياح أقوى وكانت قفزته أعلى حتى وصل إلى ارتفاع الطابق الثالث وطار هكذا لمسافة مجمع بنايات كامل. تعقبه بالطبع عشرون طفلاً صائحين بأنهم يرغبون تجربة عدة قفزات. قام مرة أخرى بالقفز لمسافة عدة مجمعات بنايات أخرى حتى تعب ذراعاه وتوجع خصره فأصبح فى حاجة إلى بعض الراحة فقرر أن يسمح لأخيه الأصغر بتجربة المنطاد بعده. كان أخوه الأصغر أصغر منه فى الحجم وكان يزن حوالى ثمانية وخمسين رطلا. انتزع أخوه المنطاد بينما قام هو بلف طرف الحبل حول خصره ثم قفز الأخ الأصغر قفزة صغيرة وبدأ بالطيران ببطء. صاح أحد الأولاد قائلا، «إنه أفضل منك. انظر، إنه فى ارتفاع الطابق الرابع وطار لمسافة مجمعىْ بنايات حتى الآن.» لحسن الحظ، كانت هناك كنيسة فى نهاية الشارع وإلا كانت ستصبح قفزته عالية جدًا، ولكن الصبى تمكن من تطويق ساقيه حول قبة برج الكنيسة وفك المنطادالذى طار سريعا بدوره عاليا فى السماء، واستطاع التمسك بالبرج بذراعيه والتشبث به بكل ما لديه من قوة. كان يصرخ ويصيح طلبا للنجدة وبعد مرور عشر دقائق، أنقذ رجال الإطفاء الصبى الصغير؛ ولذا قرر الأطفال الباقون الرجوع عن فكرة لعبة القفز بالمنطاد.

كان رجال الإطفاء، بالمناسبة، منشغلين طوال الليل

فالشرارات الصادرة من المداخن كانت تهبط على المناطيد الصغيرة المصطفة على طول طريق النصر المؤدى إلى نادى مستكشفى غرب أمريكا مما أدى إلى انفجارها ولكنها لم تتسبب فى أى حرائق بالمنازل، فكانت المناطيد تشتعل وتختفى فورا» دون أن تترك وراءها أى أثر أو نار. أصابت ومضات الضوء المتوهجة، الناتجة عن هذا الاشتعال، الناس

المقيمين فى المبانى القريبة بالذعر الشديد حتى إنهم تذمروا للمحافظ. لذلك أمر المحافظ إدارة الإطفاء بأن تصف كل شاحناتها ومحركاتها على طول الطريق وأن يكون رجال الإطفاء فى منتهى الحذر طوال الليل. وهكذا اطمأنَّ الناس القاطنون بالقرب من المبانى المزينة وبدأت، بالتدريج، عائلة تلو الأخرى التوجه للنوم.

أما أطرف حادثة نتجت عن خطة المحافظ لتزيين أجزاء من مدينة سان فرانسيسكو بالمناطيد فقد تسببت فى إثارة هائلة على بعد مائتى ميل من المدينة. لقد بدأ الأمر فى سان فرانسيسكو عندما أمر المحافظ العمال بتزيين قبة نادى مستكشفى غرب أمريكا بعشر مناطيد باللونين الأحمر والأبيض بالتناوب حول قاعدة القبة، ومنطاد آخر أزرق اللون، أكبر فى الحجم ومرفق به نجوم بيضاء على قمة القبة. كانت هذه القبة قطعة معمارية مميزة فلم يكن مخططًا بناؤها عندما تم بناء المبنى. كان تصميمها يشبه النصف الشمالى من العالم، ابتداء من خط الاستواء فى قاعدته حتى القطب الشمالى أعلاه. كانت هناك سارية أعلى القبة حيث كان العلم الأمريكى يلوح عاليا وراية نادى مستكشفى غرب أمريكا أسفله. كانت القبة مطلية بعناية بخرائط لأمريكا الشمالية وأوروبا وكل ما يقع شمال خط الاستواء باللونين الذهبى والأزرق.

صنعت هذه القبة المميزة من الخشب ورفعت بثبات بالمبنى بعد ثلاثة وعشرين عامًا من الانتهاء من بنائه. تم إضافة هذه القبة بكثير من التبجيل والاحتفال، فهى كانت ترمز إلى طموح النادى الأكبر وهو إرسال أول حملة استكشافية تغرس علم الولايات المتحدة على أرض القطب الشمالى الذى لم يكن قد تم اكتشافه بعد حتى ذلك الوقت.

كان مرفقًا بالمناطيد العشرة المعلقة بقاعدة القبة رافعة مشتركة تزن ستين رطلاً. أما المنطاد الكبير بقمة القبة فكان مرفقًا به رافعة تزن ثلاثمائة رطلٍ لذا فكان مجموع أوزان الرافعات تسعمائة رطلٍ. كان وزن القبة حوالى أربعمائة رطلٍ أو أكثر قليلاً. لم يحدث شىء غريبٌ فى البداية ولكن فى أثناء الليل، بدأت القبة فى الارتخاء مثلما يفعل السن عندما هزت الرياح المناطيد برفق. مع مرور الليل زاد ارتخاء القبة شيئا فشيئا حتى صعدت إلى الهواء برفق فى الساعة الواحدة وتسع وعشرين دقيقة بعد منتصف الليل. تركت القبة مقرها أعلى نادى مستكشفى غرب أمريكا، متجهة شرقا، وأسقطت فى طريقها قطع من اللصوق والمسامير الضخمة والصغيرة. زاد ارتفاعها فى الهواء حتى تمكنت من عبور قمم الجبال دون حدوث أى مشاكل. بدأ ارتفاعها يقل بعد أن قامت برحلة لطيفة لمدة أربع ساعات ونصف، ثم هبطت بهدوء ورشاقة على منطقة مخصصة للهنود صغيرة هادئة تقع فى وادٍ محجوب وهادئ بين جبلين ضخمين.

مع بزوغ الفجر وشروق النهار على هذا الوادى، استيقظ الهنود وخرجوا من خيامهم، وضربوا صدورهم ليستنشقوا الهواء المنعش. ولكن ما هذا!!

فى منتصف مدينتهم كان هناك ما بدا لهم ككوكب صغير مغروس بالأرض محاط بكواكب أصغر منه حجما، مصطفا بجانب خيامهم.

ترى ماذا فعل الهنود؟

هل تراجعوا إلى الوراء خوفا من هذا الجسم؟

لا.

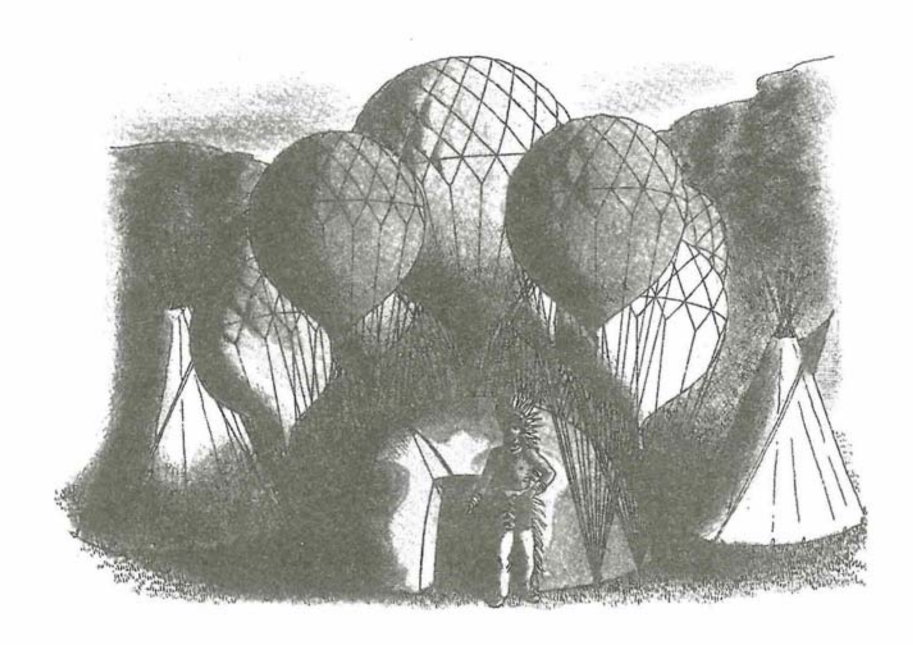
هل صرخوا من هول الرعب؟

لا .

هل عاقبوا واعظهم بالضرب؟

لا . فقط تفحصوا القبة لتخمين ما تكون ثم قال أحدهم، «البيض الأغبياء زينوا نادى مستكشفى غرب أمريكا بسان فرانسيسكو بكم من المناطيد أكبر مما ينبغى. أحضروا فأسا لنحفر بابًا بين مدينتى نيويورك وسان فرانسيسكو. سيصلح هذا أن يكون منزلا جديدا لزعيمنا».

عندما تعاقد المحافظ مع مصنع هيجينز للمناطيد لصناعة المناطيد المصغرة، كان يقصد مكافأة الشركة باعتبارها قريبة من قلب البروفيسور شيرمان. كانت هذه فكرة جيدة، ولكن هذا القرار من قبل المحافظ لم ينل إعجاب شركة تومز إيرونوتيكال ستوديوز، الشركة المنافسة لهيجينز فى سان



فرانسيسكو على الإطلاق. فى الوقت الذى كانت فيه مدينة سان فرانسيسكو تفيض بالمناطيد، شعرت الشركة المنافسة بالتجاهل التام. «لابد أن نفعل شيئا. لابد أن نبتكر شيئا مميزا فى خطوط المناطيد».، قال جوزيف تومز، وأمر بانعقاد اجتماع طارئ. اجتمع مديرو الشركة وفكروا مليا وحكوا رءوسهم بحثا عن أفكار جديدة واقترحوا اقتراحات عديدة ولكن سخيفة، وبالرغم من كل هذا التفكير الكثير، لم يتوصلوا إلى أى أفكار مرضية فى هذا الوقت القصير. اقترح أحدهم البحث فى الملف الذى يحتوى على براءات الاختراعات التى تم وضعها جانبا من قبل. تحت ضغط هذا الوقت القصير، بدت هذه فكرة جيدة. بعد دراسة طويلة لكل أنواع الاختراعات النادرة للمناطيد، عثروا على اقتراح فى ملف يسمى بـ«أفكار توضع فى الاعتبار». تضمن هذا الاقتراح تعليق بنيامين فرانكلين عام 1789، العام الذى سبق وفاته، وكان فى ذلك الوقت مريضًا جدًا حتى أنه لم يكن يستطيع أن يتحمل الصدمات والضربات المصاحبة لأى وسيلة من وسائل الانتقال. قال فرانكلين، «ليتنى أحضرت معى من فرنسا منطادًا كبيرا يحملنى من على الأرض. أسهل وسيلة لى للانتقال فى حالتى المرضية هذه هى مركبة من الهواء يقودها شخص يسير على الأرض ساحبا إياها بحبل».

صاح جوزيف تومز قائلا، «هذا هو ما نبحث عنه! إن البروفيسور شيرمان مريض، ولذا سنصنع له منطادًا يحمله بشكل مريح من محطة القطار إلى نادى مستكشفى غرب أمريكا».

أجمع مديرو الشركة على أن هذه فكرة رائعة.

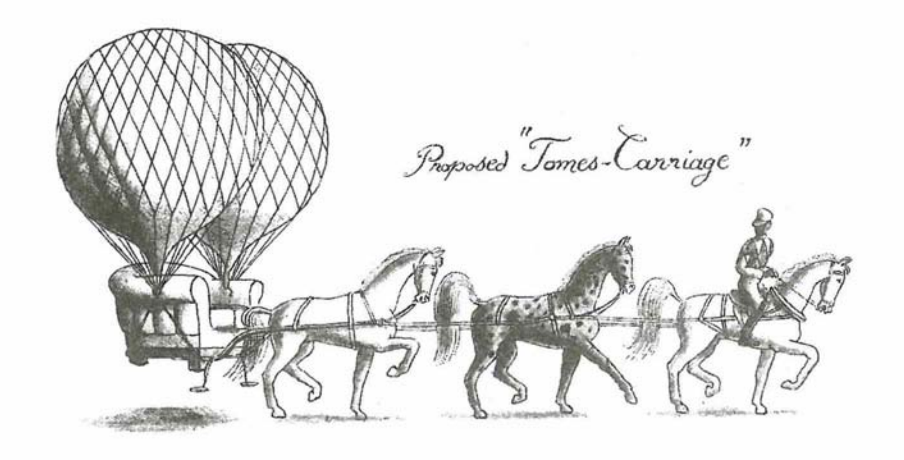
«ولكنها تفتقر إلى الكياسة وليست مهيبة بشكل كاف». اقترح أحد المديرين وأضاف، «كما أن المحافظ لن يقبل بعربة ليس بها مقعد له».

قال جوزيف تومز، رئيس شركة تومز إيرونوتيكال ستوديوز، «يمكننا أن نجعل المحافظ يقوم بدور الرجل الذى يسير على الأرض ويسحب المنطاد».

أجاب المدير الآخر قائلاً: «أعتقد أننا إذا كنا نرغب فى أن نستعرض فى هذا الموكب الملىء بالمناطيد، فلابد بأن نقوم بشىء أكثر إثارة من هذا. إنى فقط أشارككم أفكارى.» قال هذا بلهجة تبين أنه يخاف من أفكاره. «ولكن ما رأيكم فى هذه الفكرة؟ أن نستخدم أريكة كبيرة مصنوعة من الجلد تتسع لكلٍّ من البروفيسور والمحافظ ثم نرفع هذه الأريكة من على الأرض باثنين من مناطيد 3ب الطوافة ونطقم هذه الأريكة المريحة بثلاثة جياد مصفوفة طوليًّا. سيمتطى الجواد الأول حوذى يرتدى زى رجل المنطاد ليقود عربة المنطاد على الطريق المؤدى إلى نادى مستكشفى غرب أمريكا.

«هذا هو ما نبحث عنه!» صاح جوزيف تومز مجددا ثم أضاف، «إنها فكرة رائعة ولن يستغرق بناؤها أدنى وقت. لدينا المناطيد بالفعل فى المخزن، والأريكة الموجودة بمكتبى ستكون مناسبة تمامًا.» أمر تومز بعد ذلك أحد المديرين باستئجار الفرس وتزويده بطقم ثابت حتى يمنع الأريكة من التمايل ثم أمر آخر بملء منطادين من مناطيد 3ب الطوافة بغاز الهيدروجين وطلاهما بعبارة «أحسنت صنعا يا بروفسير شيرمان.» قال جوزيف تومز «عربة المنطاد الرائعة هذه لابد أن تجهز اليوم قبل الساعة الرابعة عصرا وحينها سوف أستقلها مع المدير الذى قام باختراعها وسنتجه إلى مجلس المدينة حيث سنقوم بعرض العربة على المحافظ. طاب يومكم أيها السادة».

وبهذا انتهى الاجتماع.



بينما كانت شركة تومز إيرونوتيكال ستوديوز فى هذه الحالة من الحماس والعمل الجاد، بدأت مدينة سان فرانسيسكو فى الهدوء. كان اليوم الثانى والعشرين من شهر سبتمبر وهو اليوم الذى يسبق يوم عودة البروفيسور شيرمان. استعدت مدينة سان فرانسيسكو لاستقباله ونصبت الزينة كما اختفت قبة نادى مستكشفى غرب أمريكا فى ظروف غامضة واستعدت إدارة الإطفاء للسهر لليلة الثانية على التوالى لحماية المنازل من المناطيد المنفجرة. بدأ الناس يشعرون بالضجر وبدأ صبرهم ينفد، فقد بدأ الحماس الذى كانوا يشعرون به فى بداية الأمر بالتناقص تدريجياً. بدأ الناس يتساءلون إذا كان البروفيسور شيرمان حقا يستحق كل هذا العناء وكل هذا الحماس. كل ما كانوا يعرفونه عنه هو أنه رفض أن يروى قصته إلا فى سان فرانسيسكو. كان هذا كافياً لإثارة فضول العالم ولكن هل يجعل هذا من بروفيسور شيرمان بطلا؟ فقد الناس اهتمامهم شيئًا فشيئًا حتى إن بعضهم قرر ألا يتكبد عناء

الصراع فى الزحام لمشاهدته فى طريقه من المحطة إلى النادى. ثم قام صبى صغير بإسعاف البروفيسور فكان هذا الصبى انتهى لتوه من قراءة رواية عجيبة عن رحلة قام بها مغامر جرىء. أحدثت هذه الرحلة ضجة كبيرة حتى إن كاتبًا مشهورًا فى ذلك الوقت قام بكتابة كتاب عنها بعنوان حول العالم فى ثمانين يومًا. بدأ هذا الصبى يفكر فى رحلة بروفيسور شيرمان فقد غادر سان فرانسيسكو فى الساعة الثالثة فى اليوم الخامس عشر من أغسطس ثم تم العثور عليه لاحقًا فى المحيط الأطلنطى محاطًا بعشرين منطادًا، هذا يعنى أنه طار بمنطاده فوق مناطق من قارة آسيا ومعظم دول قارة أوربا أيضًا. ثم تم إنقاذه بواسطة سفينة شحن أقلته إلى نيويورك، وهو الآن فى قطار الرئاسة فى طريقه إلى سان فرانسيسكو التى هى نقطة البداية لرحلته. توصل الصبى الصغير إلى استنتاج أن «إذا وصل البروفيسور فى موعده فى الساعة الثالثة إلى المحطة فى سان فرانسيسكو، سيكون قد سافر حول العالم فى أربعين يومًا فقط محطما بذلك الرقم القياسى، فقد استغرقت رحلته نصف ذلك الوقت.» اعترف الجميع بمنطق هذا الاستنتاج فتجدد الاهتمام بالبروفيسور مرة أخرى فى جميع أنحاء سان فرانسيسكو.

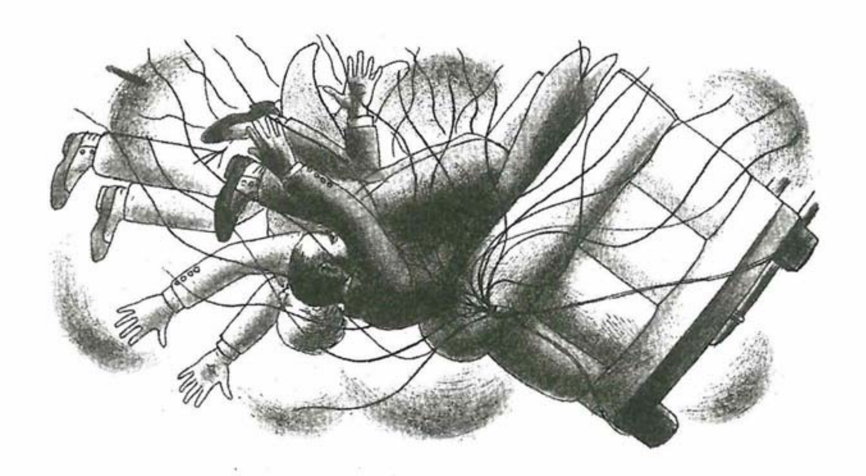
بغض النظر عن الأسرار الأخرى التى يحتفظ بها البروفيسور لمدينة سان فرانسيسكو، هناك واقع يقول إن البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان، العضو بنادى مستكشفى غرب أمريكا، سوف يكسر الرقم القياسى للسفر حول العالم، وهو ثمانون يومًا وذلك عند وصوله اليوم التالى.

أما فى تومز ستوديوز للمناطيد، ففى الساعة الرابعة تمامًا تم تجهيز «عربة المنطاد» وصعد جوزيف تومز ومدير المشاريع إلى الأريكة

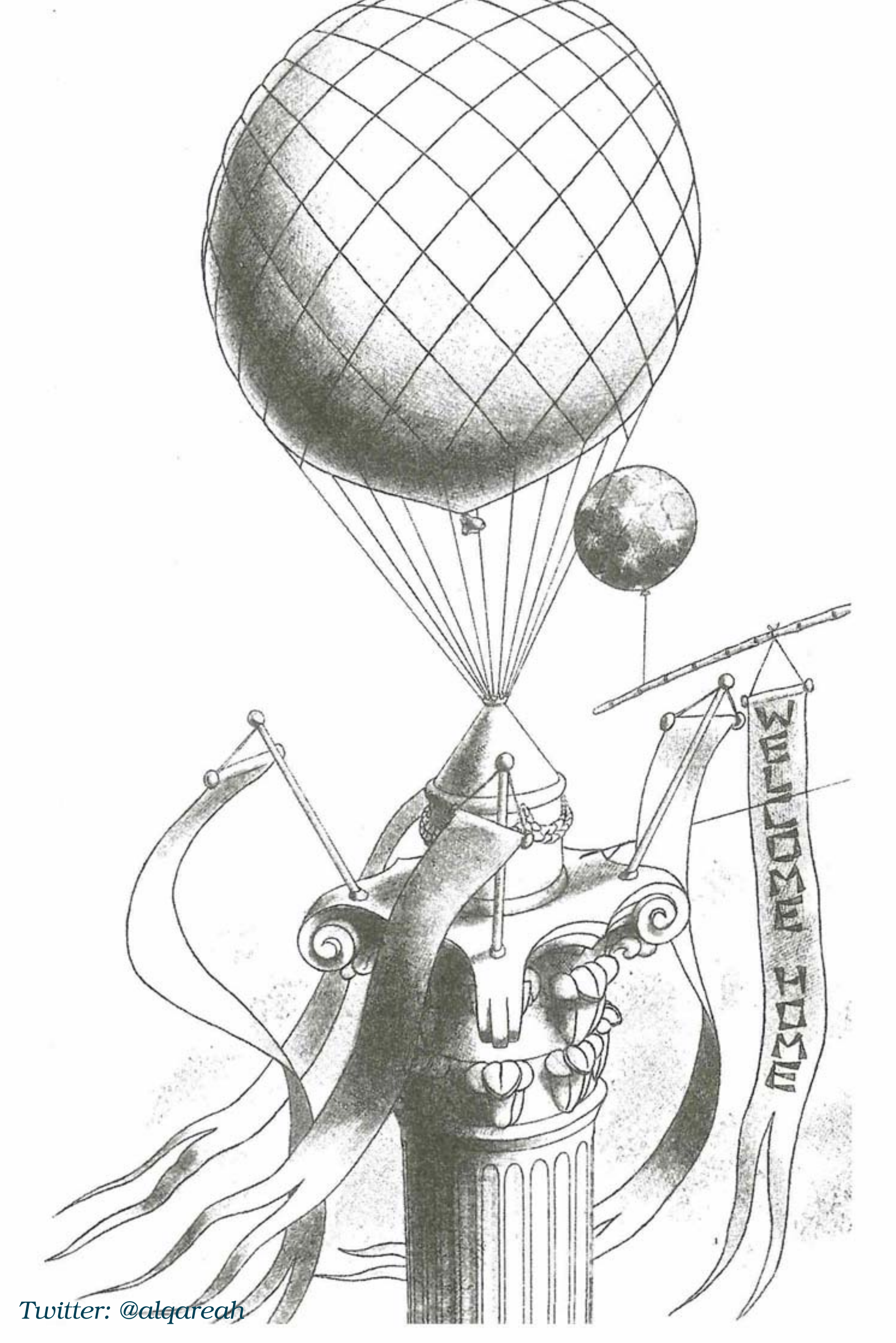
المصنوعة من الجلد. كان تومز قد بعث رسولا للمحافظ ليطلب منه أن يقف فى شرفة مكتبه بمجلس المدينة ليشهد وصول هذه العربة الرائعة والمريحة جدًّا. أمر جوزيف تومز الحوذى الذى يقود العربة بأن يبدأ الرحلة. «فلننطلق!» صاح تومز ثم جلس على الأريكة، شاعرًا بتوتر شديد. كان هذا الاختراع أشبه بالحلم فلا يمكن أن تشعر بالصدمات التى قد تشعر بها فى أى عربة أخرى. أخذ جوزيف تومز والمدير يربتان على ظهر بعضهما البعض شاعرين بالفخر، وقال جوزيف تومز: «سنبيع مليون عربة من هذه». عند اقترابهما من مجلس المدينة، مدد تومز والمدير ظهريهما للخلف على الأريكة واضعين رجلاً فوق الأخرى، ولكى يبين تومز كم يشعران بالراحة، أشعلا سيجارًا. كان هذا خطأ فادحًا فبينما كانت عربة المنطاد تطفو أمام مجلس المدينة، أشعلت شرارة صادرة من سيجار جوزيف تومز واحدًا من المنطادين. تسبب هذا فى انفجار شديد ووميض يؤذى العين والسقوط المحرج لتومز والمدير الآخر على مؤخرتيهما وانقلابهما إلى الخلف على الرصيف. قال المحافظ بنبرة غاضبة، «أرجوكما أيها السادة! فى هذا اليوم خاصة، لا أستطيع أن أهدر وقتى فى مشاهدة عرض للألعاب الأكروباتية».

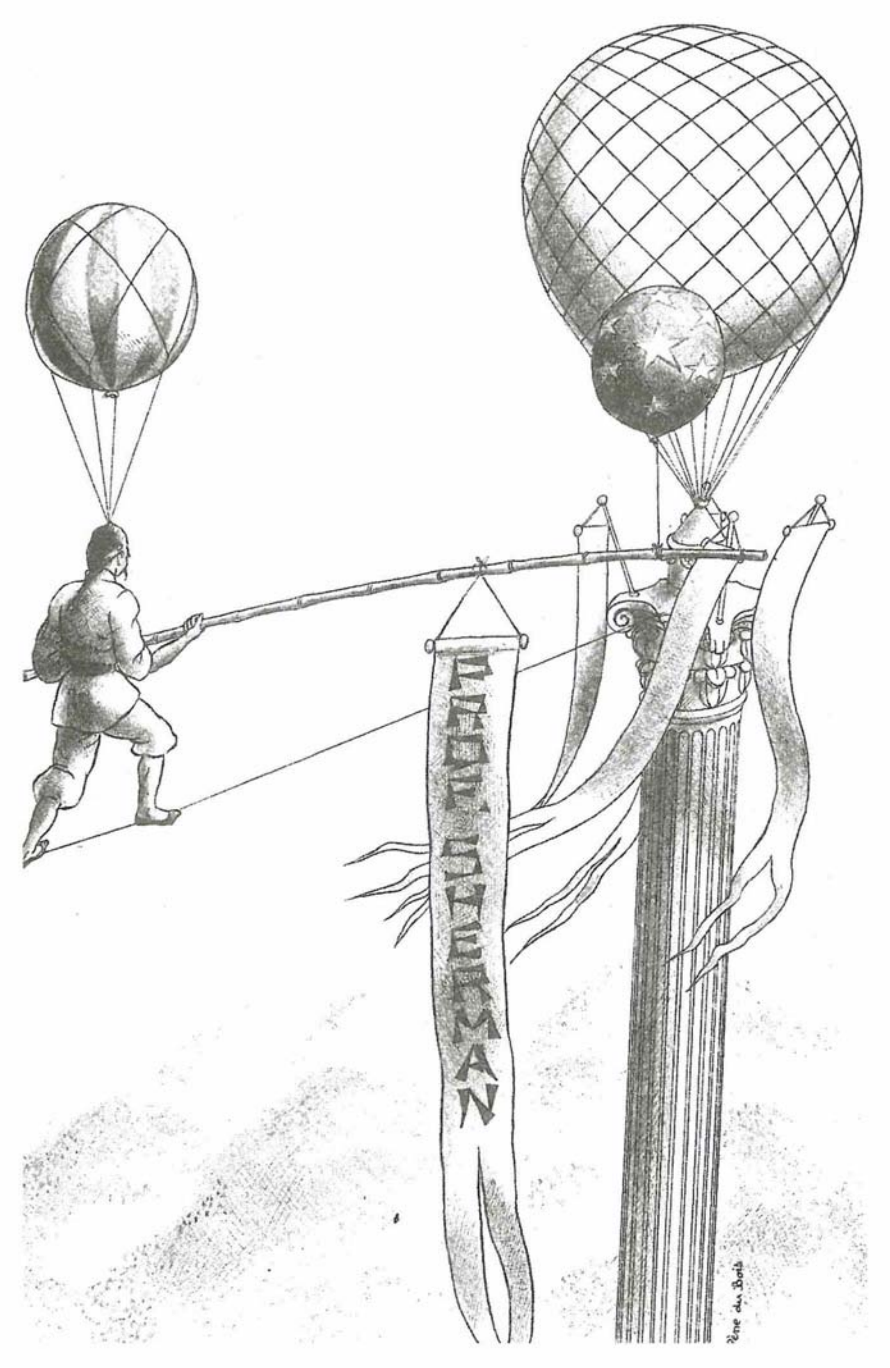
عاد جوزيف تومز ومدير المشروع إلى مصنع المناطيد سيرا على الأقدام فقد أثار الانفجار رعب الجياد فبدءوا فى العدو لمسافة ثلاثة أميال فى شوارع المدينة ساحبين وراءهم الحوذى والأريكة جرا على الأرض.

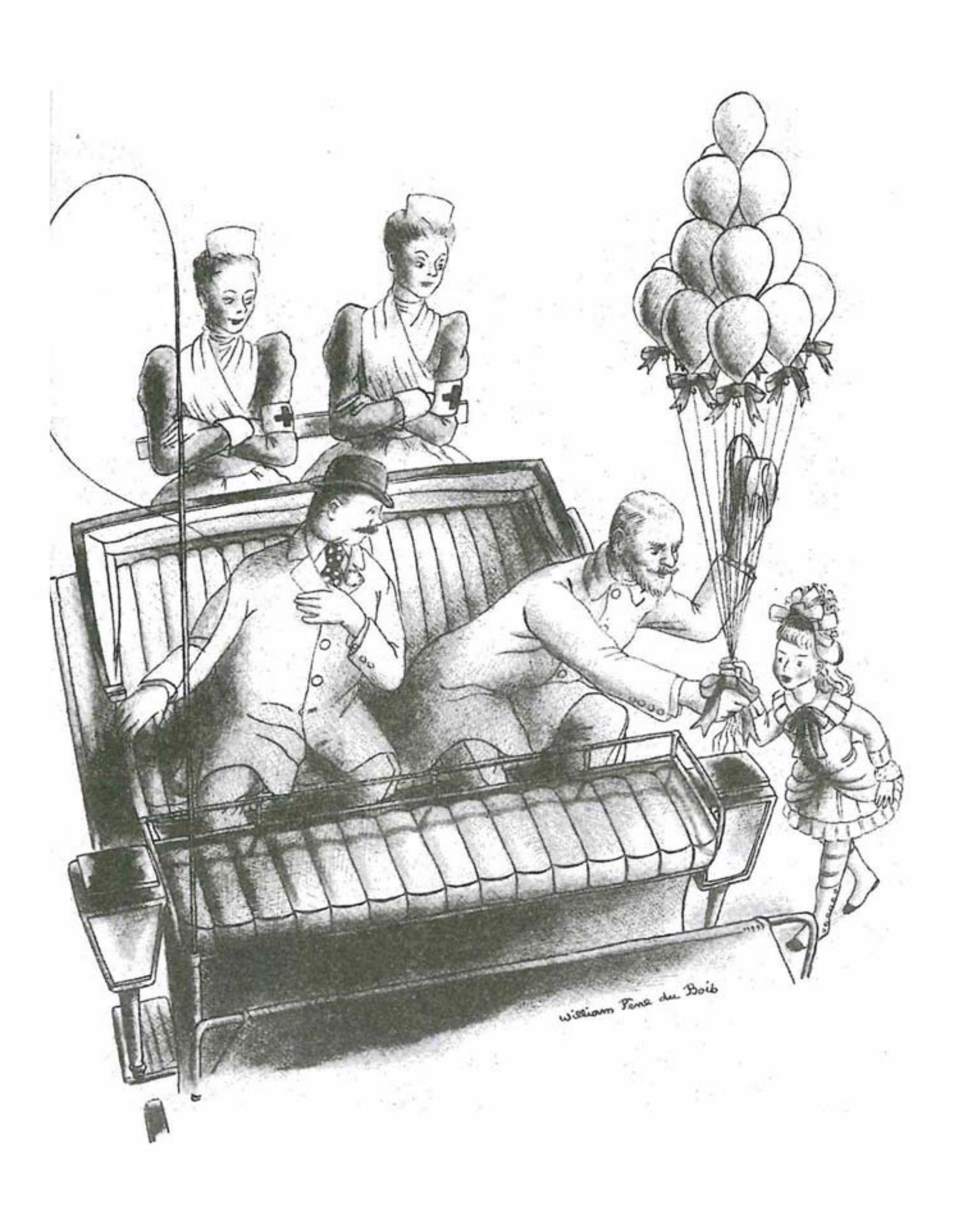
لم يكن هناك أحداث أخرى تفسد الاحتفال بالبروفيسور. فى الصباح التالى، كان لا يزال هناك تسعمائة وتسعة وعشرون منطادًا مصغرًا



متبقياً من الألف منطاد الأصليين واجتمع حشد كبير منذ الصباح الباكر على صفى طريق النصر. أعطى المحافظ تعليماته النهائية للجنة الاستقبال الرسمى فقد طلب منهم ارتداء قبعات مستديرة بدلا من القبعات الحريرية التقليدية وأربطة العنق المصنوعة من القماش المنقط بدلا من الأربطة الرمادية المعتادة. فسر المحافظ هذا الطلب قائلاً، «هذا حتى يتماشى الزى مع فكرة المناطيد السائدة فى المدينة». وفى تمام الساعة الثانية وست وخمسين دقيقة من ظهر اليوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر، ظهر قطار الرئاسة من بُعْد فصاح أهل مدينة سان فرانسيسكو بهتاف هائل لاستقبال البروفيسور.


WELCOME HOME

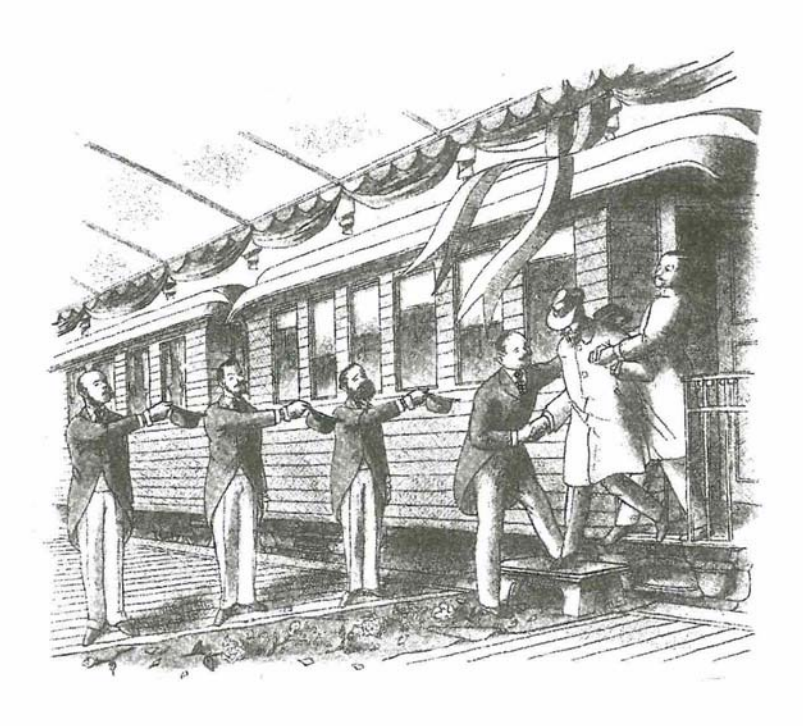

SHERMAN
Pène du Bois


William Pène du Bois

الفصل الثالث

وصف المنطـــاد جلـــوب

رد قطار الرئاسة على هتاف أهل مدينة سان فرانسيسكو للترحيب به بصفير طويل وحاد ثم هدأ سرعته للتوقف عند المحطة نافثا البخار نفثا شبيها باللهاث مثله فى ذلك مثل أى قاطرة قامت لتوها برحلة عبر البلاد. كانت إدارة الشرطة قد كلفت مائة ضابط بإخلاء رصيف المحطة وإبقائه خاليًا. اصطف رجال الشرطة وتشابكت أذرعهم مشكلين بذلك سلسلة آدمية لإبعاد الجمهور المتلهف عن الرصيف. كان طول قطار الرئاسة أقل من المعتاد من أجل الحصول على سرعة أكبر فكان مكونًا فقط من المحرك وحاوية الفحم وعربة الطعام وعربة الرئيس المرفق بها منصة المراقبة وإلقاء الخطب فى مؤخرة القطار. جعل المحافظ العربة التى كانت ستقل البروفيسور شيرمان إلى نادى مستكشفى غرب أمريكا تتوقف أمام حافلة الرئاسة ثم صفق مرتين بيديه المكسوتين بقفاز أبيض فظهر فى الحال حمالان حاملين سجادًا أحمر ملفوفًا كما الحلوى الحلزونية الضخمة. عندما صفق مرة أخرى فرد السجاد عبر رصيف المحطة من عربة البروفيسور لحافلة الرئاسة. صفق المحافظ مرة أخرى واصطفت لجنة الاستقبال الرسمى على صفى السجاد مرتدين



القبعات المستديرة الأنيقة وأربطة العنق المصنوعة من القماش المنقط. أخرج المحافظ بعد ذلك من جيب صدارته صفارة صغيرة وفضية اللون ونفخ فيها مرة واحدة. أعاد الصفارة إلى جيب صدارته وسار على السجاد الأحمر فى اتجاه قطار الرئاسة حيث تبعه رئيس الجراحين بمستشفى سان فرانسيسكو العام. يبدو أن هذه الصفارة كانت إشارة من المحافظ لفرق إدارة الإطفاء وإدارة الشرطة الموسيقية حتى يبدءوا بعزف الموسيقى ففور إصدار المحافظ لهذه الصفارة، بدأت ألحان رائعة من الموسيقى. فور نزول البروفيسور شيرمان من القطار بمساعدة من المحافظ الذى كان يسنده من جهة بينما كان يسنده كبير

الجراحين من الجهة الأخرى لما كان يبدو على البروفيسور من تعب وإجهاد، تم عزف مزيج من ثلاث أغنيات ملائمة للحدث ممزوجة بهتافات الجمهور الهائلة. تلك الأغنيات التى اختارها المحافظ بنفسه كانت، (*عندما أسير، دائما أسير مع بيلى والصبى بيلى* علماً بأن بيلى هو اسم التدليل لاسم ويليام) والسير فى جورجيا. إعتقد العديد من الناس بعد ذلك أن العلاقة بين الأغنية الثالثة والبروفيسور ويليام شيرمان كانت بعيدة جداً.

صعد البروفيسور شيرمان إلى المقعد الخلفى للعربة بمساعدة المحافظ الذى صعد هو الآخر وجلس بجانب البروفيسور. جلس كبير الجراحين بجانب السائق وكأنه يقوم بدور الخادم بينما جلست ممرضتان متمرستان على المقاعد المرفوعة فى مؤخرة العربة وراء البروفيسور بدلا من الخدم. مضت العربة فى طريق النصر بين محطة القطار ونادى مستكشفى غرب أمريكا وسط هتافات عالية وأمطار من قصاصات الورق الملون. فور توقف العربة أمام النادى اندفعت فتاة جميلة مهندمة مرتدية ثوباً أبيض متموجاً مصنوعاً من القماش الصلب، وهى فتاة يتيمة من دار سانت كاترين للأيتام، إلى البروفيسور وانحنت له احتراما وقدمت له باقة صغيرة من ألعاب على شكل مناطيد. تقبل البروفيسور الباقة من الفتاة وشكرها وبينما تنهد الجمهور المحتشد للتعبير عن استحسانهم، قبل البروفيسور الفتاة على وجنتيها. تلقى بعد ذلك البروفيسور المساعدة فى النزول من العربة وصعود الدرج إلى داخل النادى والسير فى الممشى الفاصل بين جانبى قاعة الاستماع المكتظة بالجمهور، والصعود إلى منصة المتكلم حيث تم وضع سرير مجهز خصوصا للبروفيسور. جلس البروفيسور على السرير بينما ساعده كبير الجراحين فى خلع حذائه. ثم رفع قدميه على السرير بينما قام كبير الجراحين بتغطية حجره بلحاف.

بعد أن جلس فى السرير مسنودا بوسادة داعمة وأربع وسادات ضخمة، أصبح البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان مستعدا لرواية قصته للجمهور الذى كان يجلس مواجها له الآن.

صرح المحافظ: «سيداتى سادتى، إنى أتشرف بتقديم البروفيسور شيرمان لكم».

انتابت الجمهور حالة من الصمت وكان هناك صوت بعض المقاعد، وبينما كان الناس يعتدلون فى جلساتهم وحين عم الصمت القاعة كلها، قال البروفيسور شيرمان: «سيدى المحافظ، أقرانى المستكشفين سيداتى سادتى» أنا سعيد بعودتى إلى وطنى. عند سماع هذه العبارة، صاح الجمهور بهتافات رجت المبنى من قوتها. استمر هذا الصخب لمدة أربع دقائق قبل هدوء الجمهور مرة أخرى. «لم أتغيب لفترة طويلة ولكنى حقًا اشتقت إلى.....» تذكر الجمهور، عند سماع هذا التعليق، أن البروفيسور قد قضى نصف المدة القياسية للسفر حول العالم حيث استغرقت رحلته أربعين يومًا فقط، فبدأ فى التصفيق الحاد. استمر التصفيق لمدة خمس دقائق كاملة هذه المرة. نظر البروفيسور إلى المحافظ مبينًا قلة حيلته فشعر المحافظ بحالته ووقف مواجها للجمهور وطلب منهم التزام الصمت وقال: «أيها السيدات والسادة، لدى البروفيسور شيرمان قصة طويلة وشيقة ليخبرنا بها. لم يكمل البروفيسور عشرين كلمة بعد، ومع ذلك قاطعتم حديثه بتصفيق استمر عشر دقائق. لم يرشح البروفيسور نفسه للرئاسة. إنه يروى مغامرة علمية فى ناد علمى. من فضلكم امتنعوا عن التصفيق حتى ينتهى البروفيسور من رواية قصته وذلك احترامًا لقصة البروفيسور وحالته الصحية. شكرًا لكم».

تجاوب الجمهور مع طلب المحافظ والتزموا الهدوء التام. نظر البروفيسور شيرمان نحو المحافظ وعبّر له عن شكره بإيماءة من وجهه وبدأ فى الحديث مرة أخرى، قائلاً:

«من الغريب والطريف أن رحلتى انتهت بكونها رحلة سريعة حول العالم. يشير الناس إلىّ كواحد من أسرع المسافرين حول العالم على مر العصور. لم تكن هذه السرعة هى ما أسعى إليه عندما بدأت رحلتى بل على العكس، فإذا كانت الأمور قد سارت على النحو الذى كنت أريده، لكنت مازلت الآن محلقا بمنتهى السعادة فى منطادى منجرفا فى أى اتجاه تختاره لى الرياح - شرقا أو غربا، شمالا أو جنوبا -. ولكن الترتيب الغريب للقدر شاء لى أن تدفع بى الرياح حول معظم أجزاء العالم بسرعة رهيبة حتى إن اللحظات الوحيدة التى نعمت فيها بالراحة كانت مرة عندما تحطم منطادى فى المحيط الهادى ومرة أخرى فى المحيط الأطلنطى. السبب الآخر لقيامى بالرحلة هو رغبتى فى أن أكون بمفردى بعيدا عن الأرض، محلقا فى منطادى ولكن لم أنجح فى هذا. لم أكن قد قضيت حتى نصف الوقت المتوقع لرحلتى حين وجدت نفسى فى بدعة منطادية مع ثمانين شخصًا آخر، رجالا ونساء وأطفالاً.

لقد تمنيت أن أقوم بهذه الرحلة لسنوات. أنا كنت أعمل، كما تعلمون، معلما لمادة الرياضيات طوال أربعين عاما. قضيت أربعين عاما فى فصول مليئة بالأطفال المشاغبين مبتكرى المزح والمقالب. أربعين عامًا من قذف الورق الصغير. أربعين عامًا من وضع الصمغ على مقعدى والدواء الملين فى محبرتى والعديد من الحيل الشيطانية الأخرى. فى السنة السادسة والثلاثين، بدأت أتوق لأن أكون بمفردى. تلذذت بالتفكير فى طرق عديدة تمكننى من هذا.

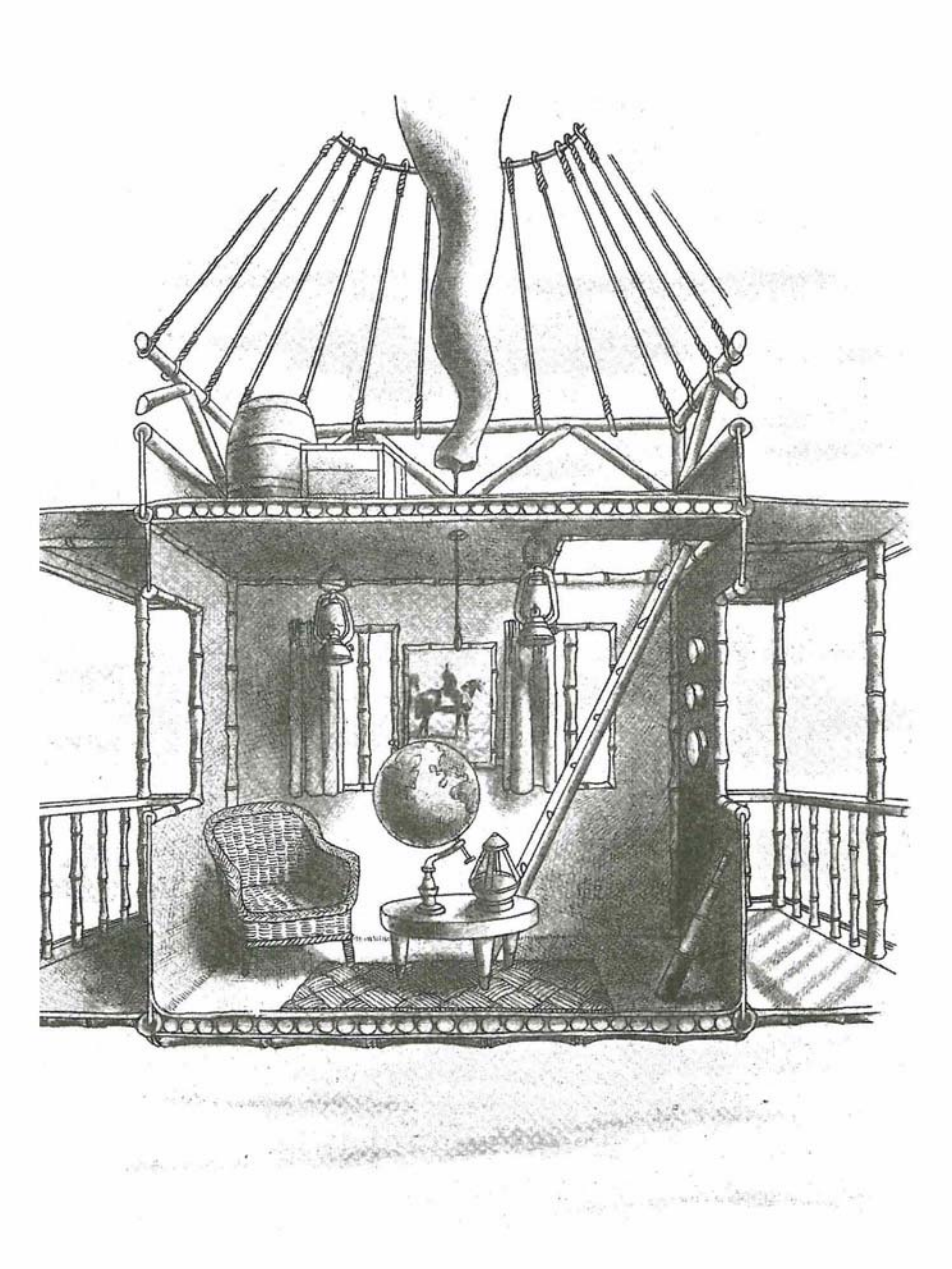
فكرت فى القيام برحلة فى قارب صغير أو برحلة استكشافية للقطب الشمالى أو الجنوبى واشتركت فى نادى مستكشفى غرب أمريكا؛ لأنه كان يبدو لى أن هدف المستكشفين هو الذهاب حيث لم يذهب أحد من قبل .بدأت التفكير، ذات يوم، فى التحليق فى منطاد فى الهواء بعيدا عن كل الناس حيث لا يستطيع أحد أن يجدنى. كانت هذه هى الفكرة الرئيسية وراء قيامى بهذه الرحلة: أن أكون فى مكان لا يزعجنى فيه أحد لمدة سنة كاملة، بعيدا عن الأشياء المملة فى حياة المعلمين كالبرامج الدراسية اليومية والوجود فى فصول مختلفة فى أوقات محددة ثابتة كل أسبوع.

قمت بتخطيط وتصميم منطادى فى أوقات فراغى، مستعينا بتجارب رجال المنطاد الآخرين. أردت أن أصنع منطادًا كبيرا يستطيع أن يبقينى محلقا فى الهواء لمدة عام كامل أو لعدة شهور على الأقل. المناطيد الكبيرة تعد مشكلة فإن لم يتم تصميمها بعناية، تمزقها الرياح إلى قصاصات صغيرة فى أثناء نفخها. عندما يرتفع المنطاد فى الهواء، لا ينزعج من الرياح ولا يقاومها كثيرًا، ولكن حينما يكون مربوطا على الأرض ويمتلئ بغاز الهيدروجين يكون تحت رحمة الرياح. تبعت فى تصاميمى رجل المنطاد الفرنسى العظيم، جيفار، صاحب منطاد كلو الساحر، وهو أكبر منطاد تم صناعته على الإطلاق. تم صناعة هذا المنطاد من سبع طبقات سميكة من المطاط والحرير بالتناوب. خططت تصميم منطادى الذى أطلقت عليه اسم جلوب (بمعنى الكرة الأرضية) بأن يتكون من أربع طبقات سميكة من المطاط والحرير بالتناوب. يبلغ حجم منطادى ستة آلاف ياردة مكعبة وهو عشرة أضعاف الحجم القياسى لأى منطاد. يعد جلوب واحدًا من أكبر المناطيد التى تم صنعها على الإطلاق.

أردت منطادًا كبيرا لسببين. أولا، كما ذكرت من قبل، لإبقائى فى الهواء لفترة طويلة. السبب الآخر هو أنى أردت سلة كبيرة أعيش فيها ويتطلب هذا منطادًا كبيرا لرفع هذه السلة الكبيرة التى كنت أفكر فيها. كما تعلمون، سلة المنطاد التقليدية هى عبارة عن مقصورة صغيرة تكفى فقط لوقوف شخصين فيها أو جلوس شخص واحد فيها ولا تصلح أبدا لأن ينام فيها أحد. كما أنه ليس بها متسع من المكان لتخزين مؤن الرحلة، ومن المستحيل أن أقضى كل هذا الوقت فى سلة منطاد عادية الحجم، لا شك فى هذا. بحثت فى عمل رجل منطاد فرنسى آخر اسمه نادار. صنع نادار منطادً كبيرًا وأطلق عليه اسم جيانت وأرفق به سلة على هيئة بيت حقيقى صغير. كان لهذا البيت باب وشبابيك ودرج يؤدى إلى سطح صغير. كان هذا السطح مسورًا بدرابزين منسوج من أغصان الأماليد المجدولة المصنوع منها الأثاث، جاعلا من هذا السطح مكانا مثاليا للمشاهدة والملاحظة. بداخل البيت، كان الأثاث ملائمًا ومريحًا. كان هذا البيت بمثابة تحفة رائعة. كان خفيفا وقويا ومريحا. قمت بتصميم بيت سلة منطادى بنفس الأسلوب مع بعض التغييرات القليلة. لم أستخدم سطح البيت لغرض المشاهدة ولكنى استخدمته كغرفة لتخزين الطعام فى الهواء الطلق. كانت هناك شرفة حول البيت بها عواميد خفيفة ودرابزين مصنوع من خشب البامبو. كانت هذه الشرفة أشبه بظهر المركب وقد استخدمتها بغرض المشاهدة.

لم يكن منطاد نادار مصممًا للقيام برحلات طويلة أو البقاء فى الهواء لعدة شهور مثل منطادى.

لذلك لم يحمل هم ثقل الموازنة لحفظ توازن المنطاد. إن القيام برحلة عادية بالمنطاد فى غاية البساطة. أولا تربط المنطاد بالأرض بواسطة حبال عديدة بينما تملأ المنطاد بالغاز. عندما يمتلئ تعطى الأوامر بأن تقطع هذه

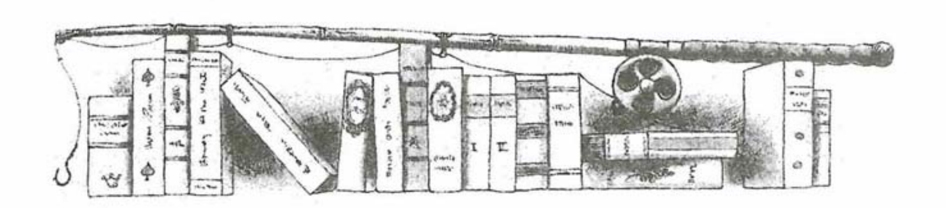


الحبال فتبدأ بالطيران. على الفور يقفز المنطاد فى الهواء ويحملك عاليا فى السماء ويختلف الارتفاع حسب كمية الغاز فى المنطاد والوزن الذى تحمله على متنه. إذا أردت الهبوط، تقوم بسحب حبل ليطلق بعضا من الغاز خارج المنطاد. أما إذا أردت الارتفاع لأعلى، لابد أن تلقى بشىء من على المنطاد لتخفيف وزنه. كان نادارا يحمل معه أكياسا من الرمل لإلقائها من على متن المنطاد عندما يريد أن يكتسب ارتفاعا أكثر. الرمل يعد الثقل المعتاد الذى يستخدمه رجال المنطاد. لم أقدر على استخدام الرمل كثقل للموازنة؛ لأنه كان لابد لى من الاستفادة من كل وزن بسيط أحمله معى فى المنطاد من أجل البقاء فى الهواء والاستمتاع بالمعيشة المريحة لفترة طويلة من الوقت. لذا لقد استخدمت الطعام كثقل للموازنة فقد وجدت هذا مثاليا للقيام برحلة طويلة. بهذه الطريقة، كنت ألقى بدلو ملىء بنفايات الطعام من على متن المنطاد، كلما ازددت ارتفاعا. لذا فقد استبدلت فكرة المزيد من الطعام بأكياس الرمل ليقوم بوظيفة ثقل الموازنة وليجعل رحلتى تستمر وقتًا أطول.

تم تأثيث منطادى بأخف الأشياء وزنا. الفراش المعتاد ثقيل جدًّا فى الوزن ولا يتم استخدامه إلا ليلا فى جميع الأحوال لذا قمت بتصميم فراش مصنوع من نفس الخامة المصنوع منها المنطاد وقمت بملئها بالغاز. عندما يغطى الفراش بالملاءة، يستقر على الأرض ويكون ناعما ومريحا جدًّا، أما إذا قمت بنزع الملاءة منه فيطفو إلى السقف وبهذا كان سهل تخزينه بعيدا عنى فى أثناء النهار دون أن يكتسب وزنا.

كان لدى فى بيت المنطاد مقاعد وطاولة مصنوعان من خشب البلزا الخفيف والبامبو كما كان لدى كتب ورقية الغلاف مطبوعة بخط صغير. قمت باختيار الطعام والسوائل بغرض توفير الوزن. حملت معى أيضًا صنارة صيد القرش القوى أملاً فى أن أصيد بعض الأسماك لزيادة مخزونى من الطعام.

أرفق بعض رجال المنطاد الذين خططوا للقيام برحلات فوق المحيط، مثل الأمريكيين، جون وايز وت.س. لووى، قوارب نجاة بمناطيدهم تحسبا لحدوث أى تحطم وسقوط فى مياه المحيط. لم أحبذ فكرة تحمل هذا الوزن



الزائد على منطادى؛ لذا فقد جعلت ترزيا يصنع لى بذلتين مصنوعتين من القماش المضاد للماء المصنوع منه المنطاد، كما حملت معى طوق نجاة مصنوعًا من الفلين. اعتقدت أنه إذا اصطدمت بالمحيط، فستحافظ البذلة على حمايتى من البلل وسيبقينى طوق النجاة على سطح الماء. كانت هاتان البذلتان رائعتين، فقد كانتا خفيفتى الوزن ولكونهما مصنوعتين من القماش المضاد للماء الملتصق بالجسم فقد كانتا تبعثان على الدفء. خططت أن أرتدى واحدة بينما أقوم بغسل الأخرى عن طريق تعليقها بصنارة الصيد وغمسها فى المحيط. قمت بغسل كل ملابسى بهذه الطريقة. كانت بقية ملابسى مكونة من مجموعة متنوعة من أخف ملابس الرجال وزنا.

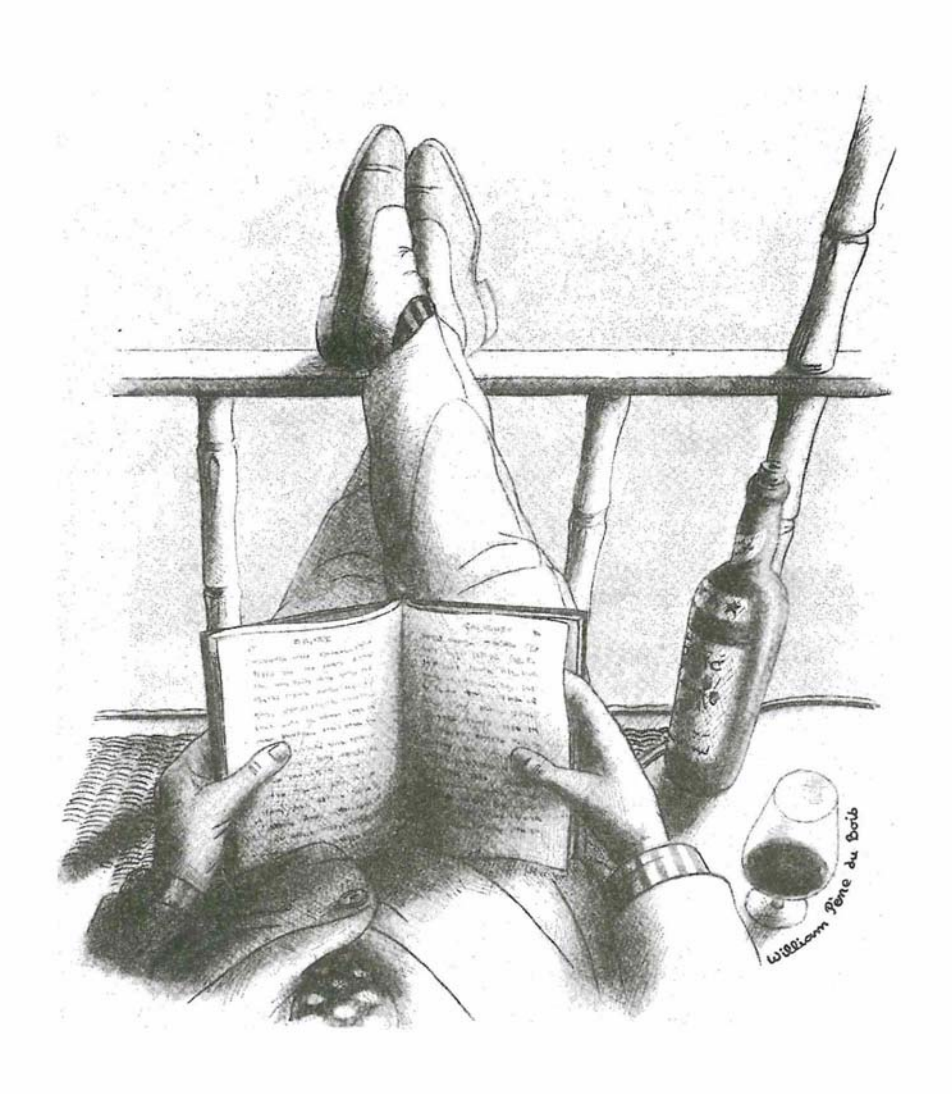
استغرق مصنع هيجينز للمناطيد سنة لبناء منطادى، ولابد أن أعترف بأنهم قاموا بعمل رائع. كان المنطاد جاهزًا فى اليوم العاشر من شهر أغسطس من هذا العام. قمت برحلة تجريبية رائعة فى منطادى واعتبرتها كافية لقياس نجاح رحلتى.

كانت هذه الرحلة التجريبية رحلة قصيرة وكان كل شىء على ما يرام. الحادث المؤسف الوحيد فى هذه الرحلة هو تكسر كل الصحون والأكواب فى البيت عند هبوطى بسرعة شديدة. أصلحت هذا العيب لاحقا باستخدامى صحونًا معدنية بدلا من الصحون الأخرى واستبدال كوب واحد مصنوع من المعدن أيضًا بكل الأكواب. كان بالصحون والكوب مقابض صغيرة حتى أتمكن من ربطها بالصنارة وغسلها عن طريق غمسها بالصنارة فى مياه المحيط.

قضيت يومين فى تجهيز منطادى بالمؤن المناسبة. حملت معى مقطرًا لتحلية مياه المحيط المالحة كما حملت برميلا متوسط الحجم من مشروب التونيك الغازى. سرعان ما استعددت تمام الاستعداد لرحلتى.

أعلنت شركة هيجينز للصحافة عن نيتى للقيام برحلة طويلة فى منطاد ضخم، وأنه من المتوقع أن أصبح أول شخص يعبر المحيط الهادى فى منطاد. نشرت الصحف هذا الخبر بمساحة نصف عامود فى الصفحة الرابعة. لم يهتم القراء برحلتى على الإطلاق فى ذلك الوقت، وأعتقد أن السبب كان أن شركة هيجينز أخبرت الصحفيين أن منطادى لم يكن فى حجم منطاد نادار. كان الجميع قد سمع عن منطاد نادار الضخم، ومؤكدا كان أيضًا شغوفًا لأن يراه. لكن منطادى، الذى كان أصغر قليلا من منطاد نادار، أتى فى المركز الثانى ولذا تم تجاهله.

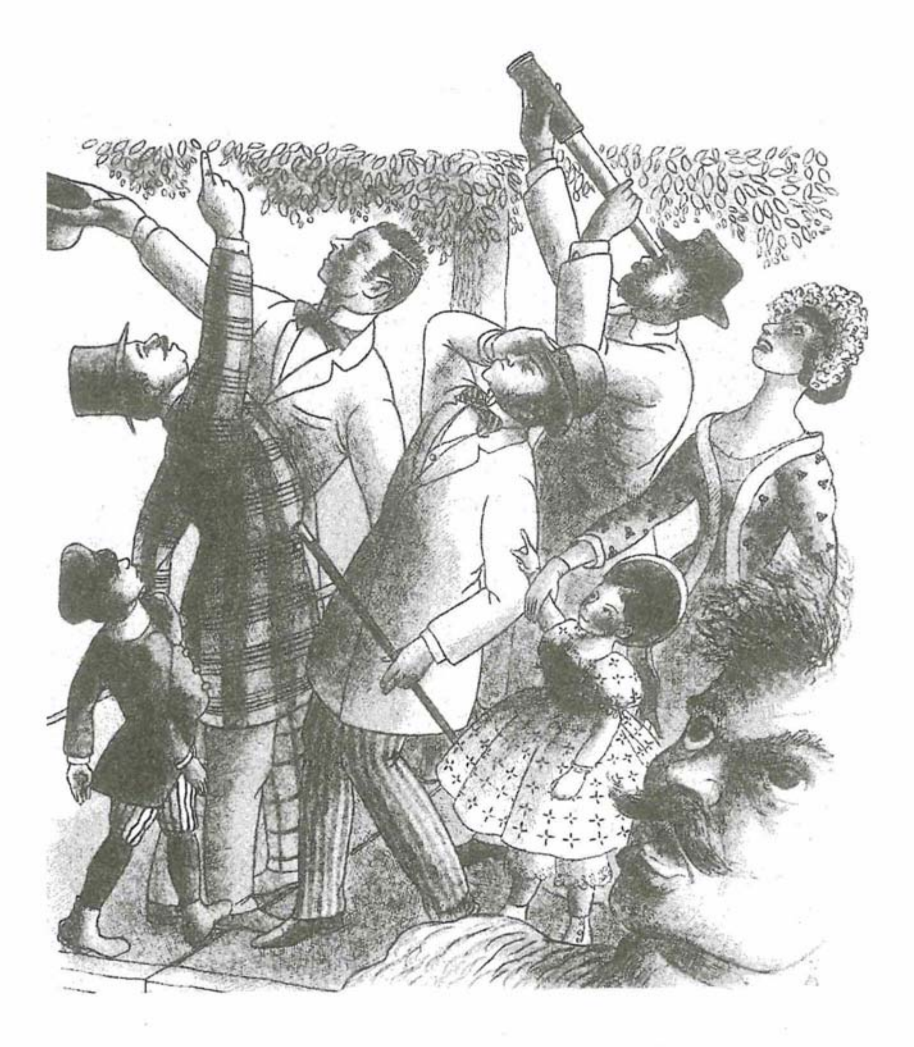
عند إقلاعى فى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الخامس عشر من أغسطس، دهشت عندما وجدت فقط أربعة من أعز أصدقائى موجودين لتوديعى. أخبرتهم أنى سأغيب لمدة عام فقد كانت هذه خطتى فى ذلك الوقت. لوحت لهم بيدى مودعا إياهم وأصدرت أمرا بأن «أطلقوا المنطاد!».


William Pène du Bois

الفصل الرابع

الـراكب غيــر المـرغـوب فيـه

فور أن أطلق منطادى، ارتفع عاليًا بحركة رشيقة فى الهواء بارتفاع ألف وستمائة قدم، وحافظ على هذا الارتفاع بمساعدة الرياح السريعة التى حملتنى فوق مدينة سان فرانسيسكو والمحيط الهادى. قبل الإقلاع كنت قد تمددت على فراشى ممسكًا بمقبضين مثبتين فى أرض المنطاد لأسند نفسى ضد صدمة الارتفاع السريع. كانت الرجة الأولى حقًا قوية، ولكن ما إن ارتفع منطادى جلوب حتى وصل إلى الارتفاع الذى يمكنه من الطفو فى الهواء، وقد استغرق هذا دقيقة أو دقيقتين حتى كان من السهل جداً التجول والسير فى بيتى الطائر وكأنه مثبت على الأرض. ابتلعت ريقى عدة مرات حتى أخفف الضغط فى أذنى الذى بدأت أشعر به فى أثناء الارتفاع السريع للمنطاد. نهضت من على فراشى المنطادى وأعدت رص بعض الكتب التى سقطت من على الأرفف ثم اتجهت إلى الشرفة لألقى نظرة أخيرة على سان فرانسيسكو. كانت السماء صافية ومشمسة فى هذا الوقت وأعترف بأن المدينة بدت فى غاية الجمال حين نظرت إليها من أعلى. لاحظت بعض الناس الذين كانوا ينظرون فى اتجاهى. من الواضح أن الرؤية الفعلية لمنطادى الضخم وسلته المكونة من بيتى كانت أكثر إثارة مما صورتها الأخبار فى الصحف.



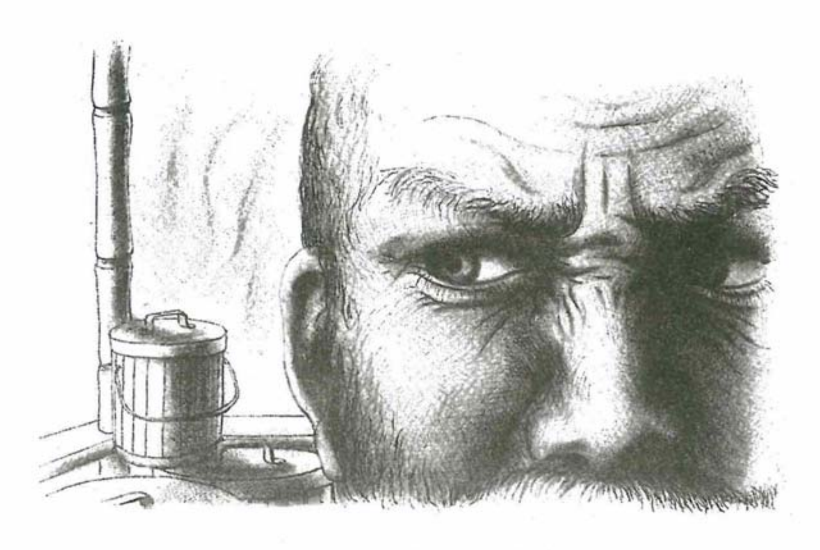
لاحظت أيضًا حشودًا من الناس تركض فى الشوارع فى نفس الاتجاه الذى كنت أحلق نحوه وكانوا منهمكين جداً فى النظر إلى حتى إنهم اصطدموا بناس آخرين فى نقاط التقاطع بين الطرق. كانت هناك فوضى كبيرة وأيضًا ما بدا لى كشجار فى الشارع. شعرت بالإطراء الشديد من رؤية الناس بهذه الإثارة.

بعد أقل من عشر دقائق، كنت قد بدأت التحليق فوق مياه المحيط مشاهدًا خط الساحل وهو يختفى من الرؤية. تبع جلوب العديد من طيور النورس مع بدء طيرانه فوق المحيط. وقفت بعض هذه الطيور فى بعض الأحيان على الدرابزين المحيط بالشرفة مما تسبب فى هبوط المنطاد قليلا، استقر بعض منهم على سطح المنطاد المصنوع من الحرير مما أثار قلقى كثيرًا. كنت أعلم أن القماش المصنوع منه المنطاد كان معدًّا خصيصًا لتحمل أى نوع من أنواع عقاب الطبيعة وأن طيور النورس لن تتمكن من خدشه ولكن رؤية الطيور ومخالبها الحادة الممدودة فى الهواء، والتى تأتى وتهبط هبوطًا سريعا على منطادى الضخم أصابتنى بالرعب الشديد.

سمعت كثيرًا من البحارة أنهم يعتبرون طيور النورس رمزا للحظ السعيد، ولذا فهم يلقون دائما بنفايات طعامهم لإطعام هذه الطيور. فى هذا الوقت المبكر من رحلتى، لم يكن معى أى نفايات للطعام ولم أكن أستطيع أن أضحى بأى من طعامى الثمين لإطعام بعض الطيور فقررت المجازفة وإبقاء الطيور جائعة.

كان بيتى بالمنطاد لطيفًا جدًّا فكان هناك دائمًا جانب من الشرفة يمكننى الجلوس فيه والاستمتاع بدفء الشمس ماعدا أوقات الظهيرة فقد كانت الشمس فى وضع عمودى فى هذا الوقت من اليوم. قرأت كثيرًا من الكتب، فالجلوس على مقعد مريح، ساندًا رجلى على درابزين الشرفة كان حقًا طريقة ممتعة ورائعة للاستمتاع بالحياة.

(تأثرًا بهذا التعليق الأخير للبروفيسور شيرمان، لم يقدر المستكشفون الآخرون الجالسون وسط الجمهور الملتزم ألا يطلقوا تنهيدة عميقة).



حفظت نفايات طعامى لأول ثلاثة أيام بتخزينها فى مقدمة المنطاد بحيث تحمل الرياح رائحتها الكريهة بعيدًا عن المنطاد. فى صباح اليوم الرابع، لم تعد رائحة هذه النفايات محتملة. تكون الرياح دائمًا، بالطبع، وراءك عندما تحلق بالمنطاد، وبما أن الرياح أسرع من المنطاد نتيجة ضغط الاحتكاك الناتج عن تحرك جسم بهذا الحجم الهائل فى الغلاف الجوى، فإن الرياح تحمل الروائح إلى الأمام. بالرغم من ذلك، أصبحت رائحة النفايات قوية جدًّا لدرجة لا تحتمل بحلول اليوم الرابع حتى إنى وجدت نفسى أحلق وسط رائحة النفايات التى تسبق المنطاد طوال الوقت وكان هذا وضعًا مؤلمًا للغاية. ولكن بعد ذلك حدث شىء رائع حقًّا، فقد تكونت السحب الممطرة فوقى مباشرة فى صباح اليوم الرابع وبدأت السماء تمطر، وحملت الرياح هذه الأمطار فى اتجاه بيتى المصنوع من الأماليد المجدولة مما جعل الظروف سيئة بشكل عام. كان هذا سببًا كافيًا للتخلص من هذا الثقل من الطعام.

سرت إلى مقدمة المنطاد وأنا ممسك بأنفى من شدة الرائحة وألقيت بكل النفايات. ارتفع منطادى جلوب على الفور وتخلل السحب حتى وصل إلى السماء المشمسة مرة أخرى أعلى هذه السحب واستمرت رحلتى فى الهواء الصافى والجو المشمس. عندما نظرت إلى الأسفل على السحب الممطرة واستنشقت الهواء النقى المتجدد، شعرت بأنى حقًا سيطرت على الوضع بشكل مرضٍ جدًا.

كانت فترة الليل بالمنطاد ممتعة بشكل خاص؛ فقد ساعدتنى الحركة الرقيقة للمنطاد وفراشى الممتلئ بالغاز على النوم الهادئ. أما فترة الأمسية فقد كنت أقضيها بشرفتى مستمتعًا بوحدتى، متأملاً للنجوم. يمكننى القول بصراحة إن الأيام القليلة التى قضيتها محلقًا بمنطادى جلوب فوق المحيط الهادى كانت أسعد أيام حياتى.

فى الأيام الأولى من رحلتى، سار كل شىء كما خططت له. القيام بغسل ملابسى والصحون عن طريق غمسهم بالماء بصنارة الصيد كان مرضيًا بالفعل. ولكن سحب البذلة من الماء وهى مبتلة بالطبع كان عملاً مرهقًا جدًا ولكنى كنت أشعر بالرضا عندما أسحب البذلة بالصنارة وأجدها قد جفت فى طريقها إلى.

لم يكن الصيد جيدًا من هذا الارتفاع فأن تسحب سمكة بحبل صنارة طوله ألف وأربعمائة قدم شىء خادع لصياد بخبرتى القليلة وقد أسقطت العديد من الأسماك مرة ثانية فى المحيط قبل أن أعلم حتى نوعها. مارست الرياضة بالسير حول شرفتى - وبهذا أقصد الرياضة لقدمى، أما ذراعى فقد كان سحب الملابس والصحون التى قمت بغمسها بالمحيط رياضة كافية لها.

بعد ظهر اليوم الخامس، رأيت فى المحيط مركبًا صغيرة للصيد وكانت هذه هى أول أثر للحياة رأيته منذ غادرت سان فرانسيسكو.

سرعان ما لاحظت أنى سوف أحلق فوقها تمامًا، لذا فقد قررت أن أبعث لها إشارة. كنت أعلم قليلاً من شفرة مورس للإشارات فأخذت مرآة وعكست عليها رسالة تقول، « أنا البروفيسور شيرمان من سان فرانسيسكو وكل شىء على ما يرام.» أجابت المركب التى من الواضح أن طاقمها كان من اليابانيين برسالة بسيطة تقول، «لا تتحدث إنجليزية» كان هذا مناسبًا جدًّا لى فكنت أريد أن أكون وحدى دون أى اتصال بالعالم. كانت هذه أول أشارة لوجود حياة من حولى ولم تتمكن من الاتصال بى. كان هذا جيد جدًّا.

كان اليوم السادس رائعًا جدًّا فقد كان يومًا هادئًا ولم يحدث فيه شىء. بدأت نفاياتى بإثبات وجودها مرة أخرى ولكن لم يكن الأمر بهذا السوء.

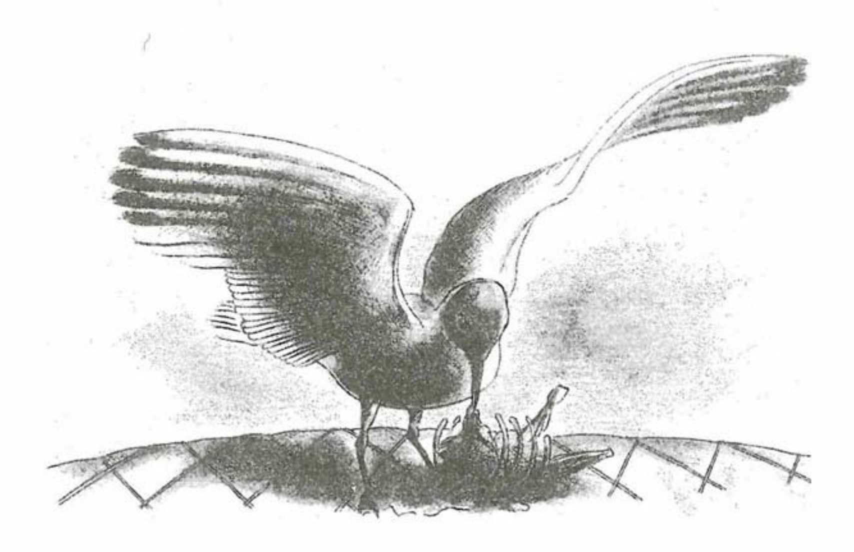
أما اليوم السابع، أيها السيدات والسادة، فقد كان يومًا فاجعًا.

لن أنسى اليوم السابع من رحلتى ما حييت فلم يكن أى شىء يسير كما ينبغى وتحطمت آمالى فى أن أقضى عامًا محلقًا فى منطادى. أول شىء لاحظته فى صباح ذلك اليوم المشئوم كان بقعة صغيرة فى الأفق لم يكن من الممكن أن تكون أى شىء آخر سوى قطعة من الأرض. لقد سافرت هكذا عبر المحيط الهادى بسرعة خرافية حتى أرى أرضًا فى اليوم السابع من رحلتى، فقد تصورت وأملت أن تحملنى الرياح من اتجاه إلى آخر فأقضى شهرًا على الأقل دون أن أرى الأرض سواء على الجانب الآسيوى أو الجانب الأمريكى من المحيط. ولكن ظهرت أمامى بقعة صغيرة من مسافة بعيدة وبدأت تتضح معالمها ببطء كلما اقتربت منها واتخذت شكل جزيرة بركانية صغيرة، يمثل معظم مساحتها جبلاً يخرج منه الدخان ببطء إلى السماء الزرقاء.

ثم لا أعلم من أين ظهرت لى طيور النورس - نفس نوع الطيور التى ودعتنى على ساحل سان فرانسيسكو - تستقبلنى الآن بشكل رسمى فى جزيرة لم أكن أرغب فى زيارتها على الإطلاق.

فور ما رأيت الطيور، ألقيت بنفاياتى من على متن المنطاد ظنًا منى بأنها فكرة جيدة. لم أفعل هذا لأطعم الطيور فقط، بل أيضًا لأرتفع بالمنطاد بعيدًا عن الجزيرة وأبتعد قدر الإمكان عن رؤية الأرض التى لم أكن أرغب فيها. ولكن لم تسر الأمور كما تمنيت فقد اندفعت الطيور بسرعة نحو المحيط وغطست فيه بشراهة سعيًا وراء الطعام. انتزع أحد الطيور بقايا هيكل الديك الرومى المدخن الذى كنت آكل منه طوال الأسبوع وأخذه أعلى المنطاد حيث استقر حتى يلتهمه فى هدوء.

أما الطيور الأخرى فبعد أن غاصت فى المحيط أملاً فى الحصول على البقايا الأخرى الأصغر من الطعام طارت مرة أخرى إلى الأعلى حيث رأوا رفيقهم يستمتع بوليمة لحم الديك الرومى البارد أعلى منطادى. أطلقوا على





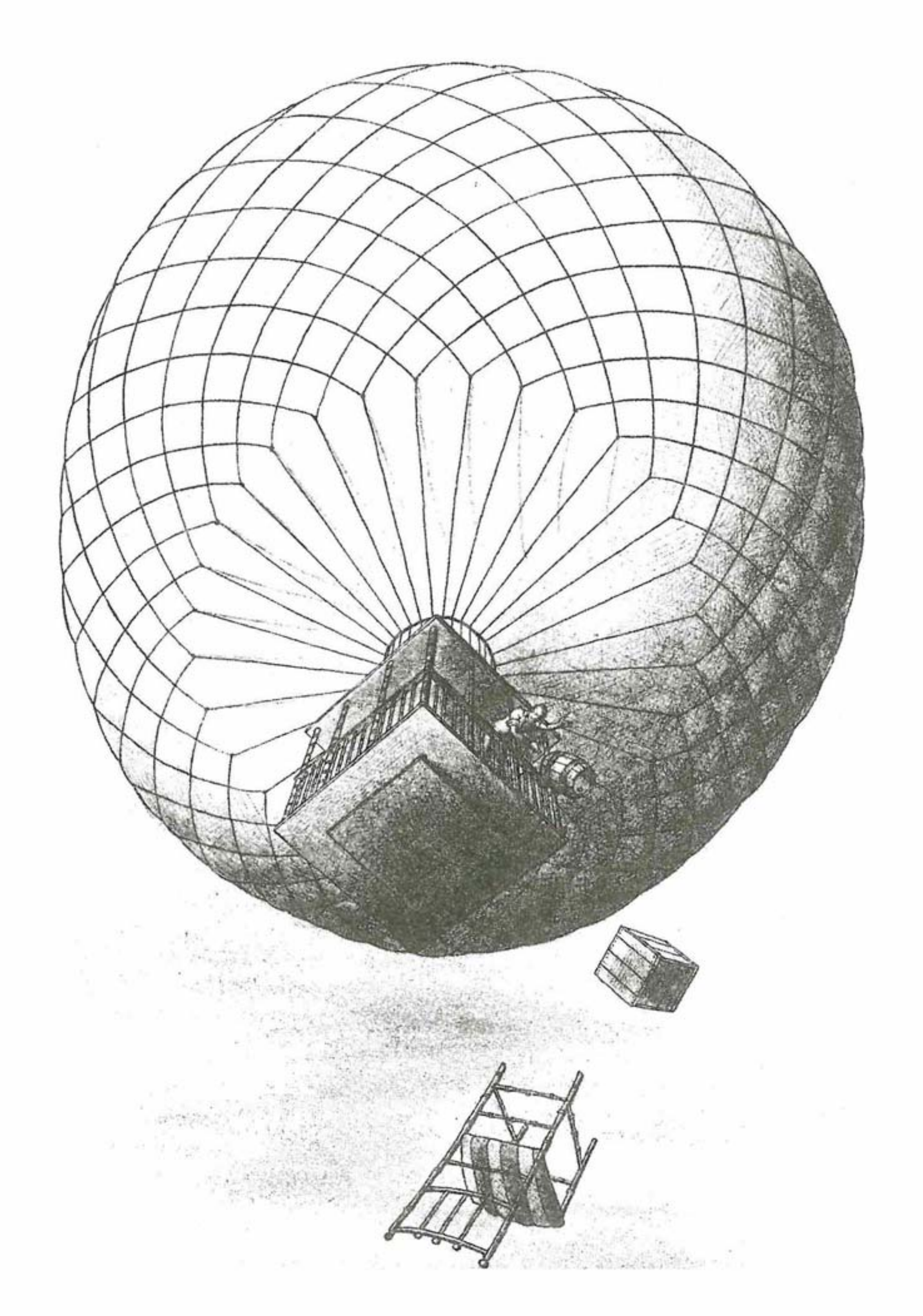
الفور سيمفونية عالية من النعيب الجماعى وبدأت فى لحظة معركة دامية للفوز بهيكل الديك الرومى. كان كل هذا يحدث بعيدا عنى وكل ما كنت أستطيع فعله هو السير فى أنحاء شرفتى داعيًا ألا يحدث أى سوء لمنطادى. ملت على حافة الدرابزين ونظرت إلى الأعلى حيث رأيت طيرًا وحيدًا ينزلق ببطء على سطح المنطاد برأس ممتدة للأسفل وفى عينيه نظرة مرعبة وكأنه صقر يتفحص فريسته. كان هذا المنظر بشعًا. لم أفكر مسبقًا أن أحضر معى بندقية. حلق الطير بشكل دائرى حول المنطاد ثم هبط عموديًا متجهًا مباشرة إلى هيكل الديك، لا أعلم حتى إن كان ناله أم لا. كانت هناك حركة وربكة

وضوضاء بين الطيور على سطح المنطاد وبدا لى أن كل الطيور رحلت على الفور - ثم حدث شىء مروع: سمعت صوت طير يضرب جناحيه وينعب بحثًا عن الهواء بداخل الغطاء الحريرى للمنطاد.

فى اليوم السابع من رحلتى التى كان من المفترض أن تستمر لمدة عام وجدت نفسى فى منطادى وبه ثقب فى حجم طائر النورس.

انفطر قلبى عندما رأيت ذلك الثقب وكان من المستحيل أن أصل إليه لمحاولة إصلاحه. بدأ المنطاد بالهبوط بالفعل فكان أمامى خيار واحد: هو أن أحاول الهبوط على الجزيرة. اتضح لى على الفور أن المعدل الذى كان يهبط به المنطاد سيجعلنى أهبط فى المحيط قبل أن أصل إلى الأرض. بدأت فى التخلص من معظم أشيائى حتى يخف وزن البيت فأستطيع التحليق لفترة أطول فوق المحيط. لم أكن أعلم طبيعة الجزيرة لذا فقد قررت الاحتفاظ بكل الطعام تحسبًا لاحتياجى له عند وصولى للجزيرة.

ألقيت بكل المقاعد والطاولة والكتب وجهاز تقطير المياه وحاويات الماء والصحون وسلال النفايات والفناجين وصحون الفناجين والخرائط ونماذج الكرة الأرضية وحمالات الثياب والملابس؛ ألقيت بكل شىء لا يصلح للأكل. ألقيت بالساعات والمقصات والمناشف والأمشاط والفرش والصابون ألقيت بكل شىء استطعت الوصول إليه من الأبواب ومن الشرفة والنوافذ وهى أسرع طريقة ممكنة أتخلص بها من أى شىء يزن ولو قليلاً. استمر منطادى جلوب فى الهبوط السريع جدًّا، أسرع مما ينبغى لأصل إلى الأرض بسلام.



لذا اضطررت أن ألقى حتى بطعامى فبدأت بإلقاء كل الأغدية المجمدة ثقيلة الوزن أولاً. لم يكن هذا كافيًا فألقيت بالفاكهة والخضراوات واللحوم المدخنة، ألقيت بكل شىء فى البيت. نظرت من على متن المنطاد ووجدت أنى أبعد عن الماء بارتفاع بعض المئات من الأقدام ولا زالت الجزيرة تبعد أكثر من ميل. اكتشفت بعد ذلك شيئًا جديدًا وأسوأ فى سلسلة الأحداث المريعة التى مررت بها فقد رأيت قطيعًا من أسماك القرش يتتبعنى فى مياه المحيط أسفل المنطاد وكان يبتلع الطعام الذى ألقيه فور اصطدامه بالمياه. كان هذا يعنى أنى لابد أن أصل إلى الجزيرة أو أسقط فى المحيط وسط أسماك القرش فشعرت باليأس الشديد.



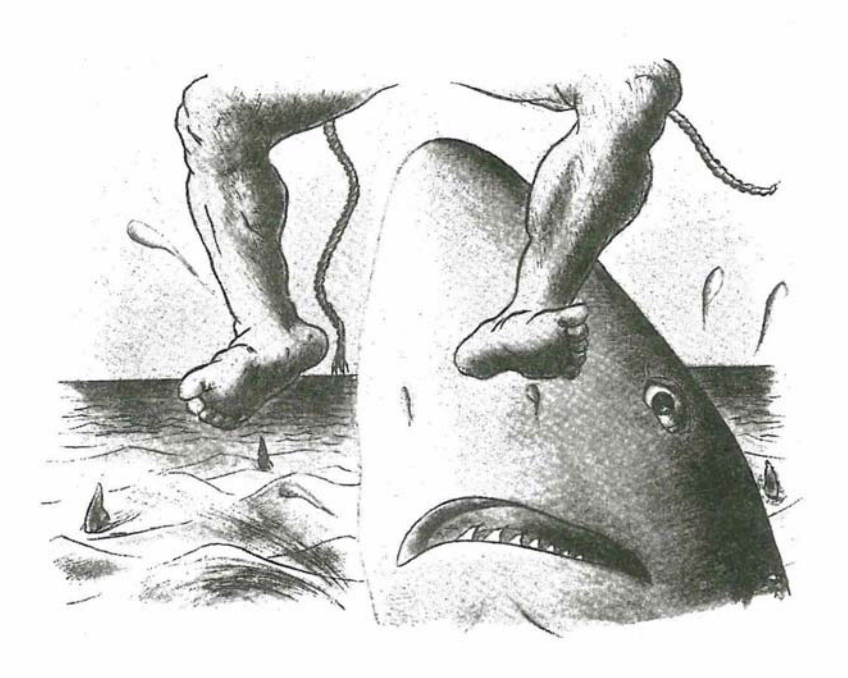
لـم يـتـبـق شـىء لإلـقـائه من المنطاد فأفرغت جيوبى من كل شىء واحتفظت فقط بالسكين الصغير المحمول. بعد ذلك ألقيت بثيابى التى كنت أرتديها ما عدا الفردة اليمنى لحذائى وسرت حول الشرفة وركلت الدرابزين والعمدان التى بالشرفة وأنا متشبث بعتبات النوافذ. تبقى الآن للمنطاد نصف ميل فتبقى شىء واحد يمكننى أن أفعله. تسلقت إلى سطح البيت ثم سحبت السلم وألقيته. قطعت أربعة من الأحبال التى كانت ترفق البيت بالمنطاد بالسكين وقمت بربطها معًا بإحكام وثبتت ذراعى اليسرى خلالهما، ثم سحبت السكين وقمت بشق بقية الأحبال الداعمة للبيت.



سقط البيت فى المحيط محدثًا تناثرًا للمياه وسط أسماك القرش فبدأ المنطاد جلوب فى الارتفاع لأعلى. بعد ذلك ألقيت بالسكين وخلعت عنى حذائى وألقيته أيضًا وبدأت فى الدعاء.

بعد مرور دقيقة أو دقيقتين، شعرت بأن قدمى لمست مياه المحيط فأغمضت عينى خائفًا من أن أنظر لأتأكد من وجود أسماك القرش من حولى. ولكن ما كادت أصابع قدمى تصطدم بالمياه مرة أو مرتين حتى وجدت نفسى مسحوبًا على شاطئ الجزيرة ومنطادى الضخم الفارغ من الهواء مستقرًا أعلى نخلة طويلة بالجزيرة.

كنت أشعر بالتعب الشديد واحترق جلدى من حرارة الرمال فأصبحت ضعيفًا حتى أنى لم أستطع الزحف بعيدًا عن الشمس تحت ظلال الأشجار ويبدو أنى ذهبت فى نوم عميق على شاطئ تلك الجزيرة.





الفصل الخامس

مـواطـن جـديـد بكـرا كاتــوا

كنت قد نمت لمدة أربع أو خمس ساعات عندما قام أحدهم بإيقاظى برفق. عندما فتحت عينىّ، وجدت جسدى أحمر اللون من تأثير حرارة الشمس والرمال ونظرت لأعلى فرأيت ، حسبما اعتقدت، رجلا راكعا فوقى يحرك كتفى ويقول لى بلغة إنجليزية سليمة،» استيقظ يا رجل، لابد أن ترتدى بعض الثياب وتبتعد عن الشمس. هيا، استيقظ». ظننت أن هذا كان مجرد هذيان أو حلمًا فقد كان شيئًا غريبًا أن أجد رجلاً يتحدث الإنجليزية فى جزيرة بركانية صغيرة بالمحيط الهادى. أغمضت عينىّ مرة أخرى ولكن ما إن أغمضتهما حتى شعرت بأيد تحرك كتفى مرة أخرى وسمعت نفس الصوت يردد، «استيقظ. استيقظ. لابد أن تحتمى فى الظل!».

هززت رأسى وفتحت عينىّ مرة أخرى لأجد أن هناك رجلاً بالفعل راكعًا فوقى. اعتدلت لأجلس فوقف الرجل وناولنى بعض الثياب وكان هو مرتديا ملابس غريبة وغير ملائمة للمكان. لم يبد من سكان الجزيرة ولم تشبه ملابسه ملابس المستكشفين أو المسافرين. كان يبدو عليه أنه رجل أرستقراطى مُرْتدٍ ثيابا أنيقة جدًّا وكأنه من مدينة راقية وقد ضل طريقه فى هذه الجزيرة البركانية التى بدت لى أنها مهجورة تمامًا.

كان هذا الرجل يرتدى بذلة بيضاء للصباح وكانت مصممة بدقة وأناقة - يمكنكم تخيل كم كانت أنيقة- وكان ببنطاله أقلام رفيعة وكان يرتدى ربطة عنق بيضاء وقبعة بيضاء أيضًا. كانت البذلة التى كان يحثنى على ارتدائها مماثلة للبذلة التى كان يرتديها والفارق الوحيد هو أنها كانت مقاسى.

«هل مت؟ سألته، هل هذه هى الجنة؟».

أجابنى قائلا،» لا يا سيدى. ليست هذه هى الجنة. هذه هى جزيرة كراكاتوا بالمحيط الهادى.

(عندما ذكر البروفيسور شيرمان اسم كراكاتوا، ارتجف الجمهور من الإثارة فقد تناقلت الصحف مؤخرا أخبارًا عن الانفجار البركانى الأكبر على الإطلاق الذى نسف نصف جزيرة كراكاتوا.)

«و لكننى ظننت دائما أن جزيرة كراكاتوا غير مأهولة بالسكن.» أخبرت الرجل ذا البذلة البيضاء فى أثناء ارتدائى الثياب التى أعطانى إياها وشعورى بالألم. «كنت دائما أسمع أن الجبل البركانى بالجزيرة جعل الحياة بها مستحيلة».

أجابنى قائلاً: «هذه هى جزيرة كراكاتوا ونحن، سكانها، فى شدة السعادة أن بقية العالم مازال يعتقد أن كراكاتوا غير مأهولة بالسكان. هيا أسرع وارتد ملابسك».

كنت قد ارتديت البنطال الأبيض ذا الأقلام الرفيعة والقميص فور إعطائهم لى. كان للقميص مطوق للمعصم وصدارة قماشهما صلب، كما كان له ياقة صغيرة منفصلة. لم أهتم بارتداء الياقة وبدأت أطوى أكمامى ثم قلت له، هيا بنا، دلنى على الطريق».

قال لى الرجل النبيل من جزيرة كراكاتوا،» دعنى أقول لك شيئا. لا يمكنك أن تأتى لزيارتنا هكذا. أهذه هى الطريقة التى ترتدى بها ملابسك عند زيارتك لأناس ذوى مكانة مرموقة فى سان فرانسيسكو أو نيويورك أو لندن أو باريس؟ افرد أكمام قميصك وارتد هذه الياقة وصدارة البذلة والسترة.» كانت على وجه الرجل ابتسامة ودود توضح أنه لم يكن يقصد أى إساءة بكلامه ولكنه كان فقط يطلعنى على تقاليد وأصول أهل جزيرة كراكاتوا. أكمل كلامه قائلا: «أتفق معك فى أن بالجزر الأخرى بالمحيط الهادى، من الطبيعى جدًا أن تطلق شاربك ولحيتك وتمتنع عن قص شعرك وترتدى أى ملابس مصنوعة من ريش البط الأبيض وأى قمصان ناعمة الملمس متاحة أمامك. أما هنا، فنحن نفضل أسلوب معيشة أكثر أناقة من تلك الجزر.» ثم أضاف، «أنت، سيدى، أول زائر يأتى لجزيرتنا. وأنا متأكد تمامًا أنك ستنبهر بأسلوب معيشتنا وبكل السمات المتعددة لجزيرتنا. أتمنى أن تنبهر بالحياة هنا على كل حال، فبما أننا نؤمن تمامًا بإبقاء أمر جزيرتنا سرا عن بقية العالم فستجد نفسك مضطرًا لقضاء بقية حياتك كضيف عندنا».

فى أثناء حديثه أطعته وقمت بفرد أكمام قميصى ثم أعطانى زرين لأكمام القميص مصنوعين من أربعة فصوص من الماس فى حجم حبات الفاصوليا البيضاء. أعطانى أيضًا أزرارًا ماسية لتثبيت قبة القميص. أرفقت بعد ذلك الياقة الصغيرة بالقميص وبمساعدة من المرآة التى أمسك بها لى، قمت بربط ربطة العنق بسهولة. ما إن ارتديت القبعة البيضاء حتى انتابتنى مشاعر عديدة، فقد شعرت أن ذلك الموقف كان أكثر المواقف التى تعرضت لها بحياتى سخافة وترفًا، كما فكرت كثيرا بتعليقه لى بأنى سأظل ضيفا بجزيرة



كراكاتوا طوال حياتى. بكل المشاعر المتضاربة بداخلى، أخبرت هذا الرجل النبيل أنى قد انبهرت بالفعل.

قال لى: «هيا بنا إذن. أولا، سأريك جبلنا».

دلنى على الطريق عبر غابة صغيرة من أشجار النخيل. كانت الأشجار الصغيرة العشب أسفل هذه الأشجار سميكة وبرية مما جعلها شبيهة بالغابات الأخرى بالمحيط الهادى التى لم تطأها قدم. سار مضيفى فى وسط هذه الغابة بشكل غريب جداً. كان يسير رافعًا بنطاله بحذر ويختار بدقة أين يضع قدميه بهذا النشاط والرشاقة حتى لا يفسد الجعدات والثنيات ببذلته. بما أن بذلتى لم تكن لى فشعرت أنى لابد أن أبدى اهتمامًا مماثلاً بها فى أثناء

سيرى بالغابة. لابد أن منظرنا كان مضحكا للغاية فقد كنا رجلين نبيلين مرتديين بذلاً بيضاء وقبعات بيضاء يسيران على أطراف أصابعهما فى الغابة.

فجأة حدث تغيير ملحوظ فى البيئة المحيطة بنا، فعندما اقتربنا أكثر من الجبل، صارت الأشجار الصغيرة بالغابة أقل إزعاجا لنا بالتدريج حتى اختفت تمامًا. بدلا من البذور البرية السميكة وعيدان السرخس الضخمة وأشجار البنيان ونباتات الغابة المتشابكة، وجدت نفسى سائرا على عشب أخضر ناعم يدل شكله ورائحته على أنه قد تم جذره حديثا. كان من الواضح أن هذا العشب كان يتلقى رعاية وكأنه مرج بعزبة بالريف الإنجليزى. كان أشبه بالحدائق الاستوائية الموجودة بأى حديقة حيوانات بعاصمة ذات شأن عظيم. أذهلنى هذا المنظر وأخبرت مضيفى عن هذا الشعور فشرح لى أنهم قد قاموا بتخفيف العشب فى كل مكان بالغابة ما عدا حافتها حول الجزيرة حتى يجعلوا الجزيرة تبدو للسفن المارة بالمحيط أنها غير مأهولة بالسكان.

عندما أصبحنا على بعد مائة ياردة تقريبا من قاعدة الجبل، توقفنا وجلسنا على مقعد. انتهزت هذه الفرصة وقدمت نفسى للرجل. «اسمى البروفيسور ويليام شيرمان.» قلت مادا يدى إليه. صافحنى وقدم نفسه قائلا، « أنا السيد إف».

سألته: « السيد إف ماذا؟».

أجابنى، «فقط السيد إف. سأشرح لك هذا الأمر لاحقا. لقد اقترحت أن نجلس على هذا المقعد؛ لأننا اقتربنا جداً من الجبل وقد كان الجبل هادئًا طوال النهار، وهذا الشىء نادر الحدوث، لا يتعدى سكونه الساعة فى كل مرة.



عندما يبدأ الجبل فى القعقعة، ستشعر بالجزيرة كلها تهتز بعنف تحت قدميك. ستجد هذا شيئًا مرعبًا وكريهًا فى البداية كما حدث معنا كلنا فى البداية.

تحتاج بعض الوقت لاكتساب ما نسميه بـ«أرجل الجبل» وهى تعنى بالنسبة لنا نفس معنى مصطلح «أرجل البحر» لدى البحارة، فكثير منا قد شعروا بالدوار من قعقعة الجبل مثلما يشعر بعض الناس بدوار البحر فى رحلة عاصفة، ولكن هذا كان يحدث قبل أن نكتسب «أرجل الجبل». إنى فقط أحذرك من هذه الظاهرة حتى لا تخاف عند حدوثها فالأرض شديدة الاهتزاز بالقرب من الجبل.

وكأن هذا التفسير كان إشارة منه للجبل بأن يبدأ فى نشاطه، ففور أن قمنا من على المقعد وأكملنا السير سمعنا ضجة تشبه الرعد مكتومة الصوت تأتى من تحت أقدامنا. ارتفع هذا الصوت شيئا فشيئا حتى بدأ سطح الأرض فى

الاهتزاز والدحرجة. ركضت عائدا إلى المقعد وتمددت عليه وتشبثت به بكل ما أملك من قوة. نظرت إلى السيد إف فوجدته يراقبنى وعلى وجهه ابتسامة ودود وكان يتحرك إلى الأعلى والأسفل مع حركة الأرض بمنتهى الهدوء وكأنه زجاجة ثابتة فى بحر عاصف.

لم تتصدع الأرض أو تتشقق تحت أقدامنا على الإطلاق وشعرت حينها أن الوجود على سطح جزيرة كراكاتوا كان أشبه بالركوب على ظهر حيوان ضخم من قبل التاريخ. كان هذا الصوت يشبه صوت قرقرة البطن، فقد كان سطح الأرض وكأنه جلد هذا الحيوان الضخم يمتد ويتلوى فوق عضلاته وعظامه الهائلة.

أشار لى السيد إف حتى نكمل السير وكان واقفا بشكل عادى وكأنه واقف على أرض ثابتة فيما عدا أنه كان يتحرك للأعلى والأسفل. شعرت وكأنى ثمل حقًا. وقعت على الأرض بين المقعد والسيد إف أربع مرات فى هذه الأثناء، وقد أصبت بالغثيان الشديد وأنا أحاول أن أنضم مرة أخرى لرفيق رحلتى مما سبب لى الحرج والاشمئزاز. ساعدنى السيد إف فى النهوض على الأرض وهو يقبض على ذراعى وكأنه يساعد رجلا ثملا فى الذهاب بعيدا عن حفل قد أقيم فى الهواء الطلق.

قال السيد إف: «لقد رأيت بنفسك لماذا يعتقد الناس أن جزيرة كراكاتوا لا تصلح للعيش بها».

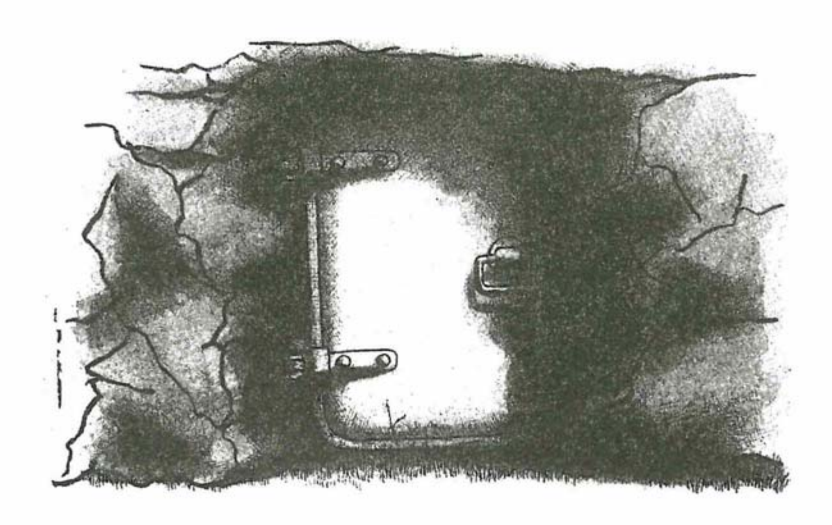
همهمت قائلاً: «لقد اقتنعت تمامًا».

قال السيد إف: «هذا هو أغرب شىء فى الطبيعة فهى تحرس كنوزها النادرة بعناية فائقة. فى جزر المحيط الهادى الأخرى، يدفع المئات من أهل

هذه الجزر حياتهم ثمنا مقابل محاولاتهم استخراج اللؤلؤ من قاع المحيط. يدفع الإنسان ثمنا باهظا لقاء أحجار اللؤلؤ الطبيعية. هذا البركان المزعج قد أخاف الناس وأبعدهم عن جزيرة كراكاتوا لقرون طويلة. هذا الجبل المتقلب الخطر والمخيف به منجم فى قاعدته. سأدلك على هذا المنجم الآن».

بصعوبة شديدة، نتيجة عدم قدرتى على السير بسهولة مثل السيد إف، وصلنا إلى قاعدة الجبل.

وقفنا فجأة على قطعة من الأرض لم تتحرك على الإطلاق. أؤكد لكم أنى شعرت بكم كبير من الراحة. كان هناك مقعد آخر على هذه الأرض الساكنة فركضت إليه وجلست. نظرت إلى الطبيعة المرتعشة واستمعت للقرقرة الراعدة من حولى واكتشفت أنى لا أحتمل حتى النظر إليها حتى لثوان معدودة فقد كان مجرد النظر إلى هذا الموج المتلاطم وأشجار النخيل المنحنية والمتمايلة يصيبنى بالغثيان مرة أخرى. جلس السيد إف بجانبى



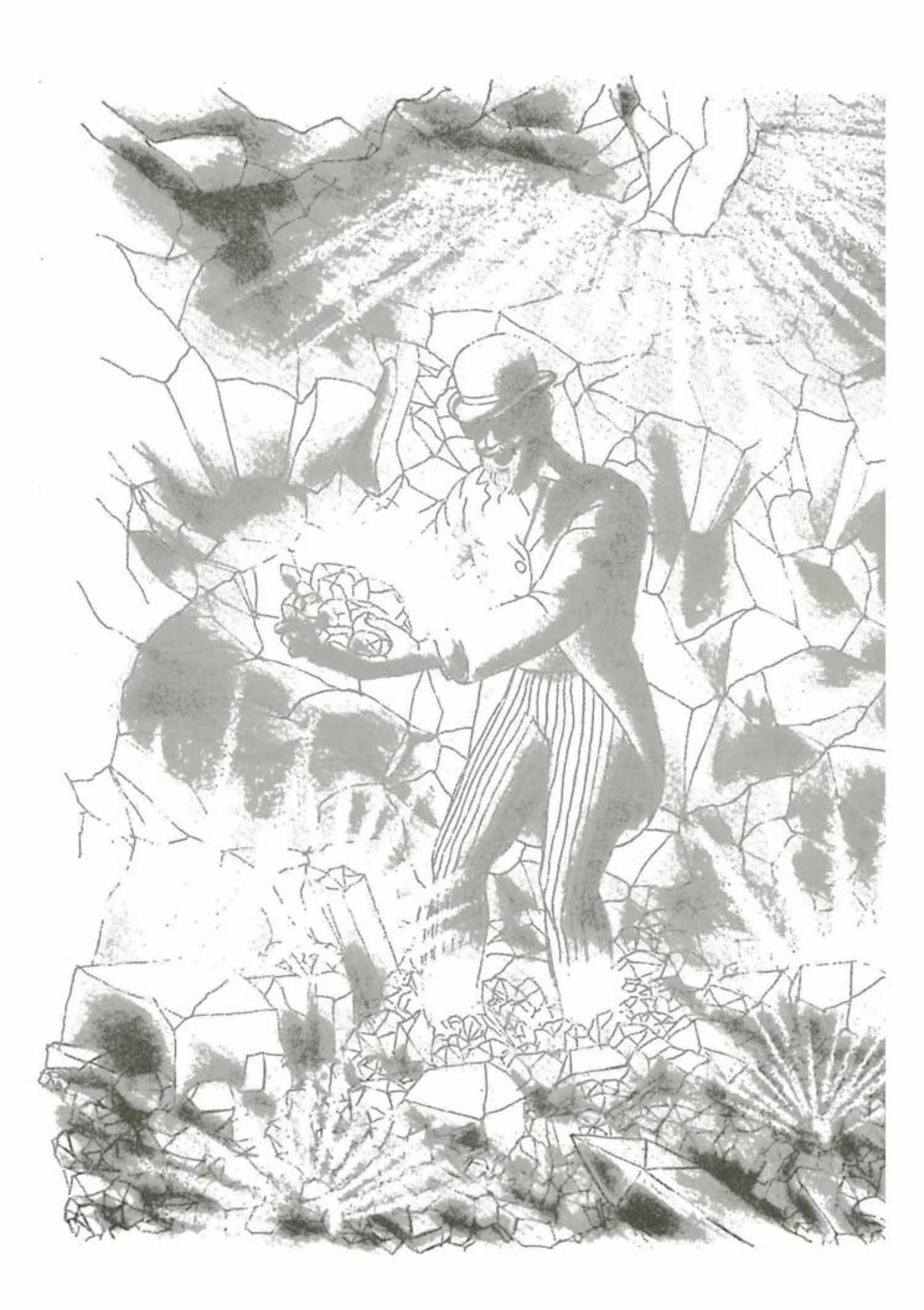
قليلا ثم اقترح أن نكمل السير. اصطحبنى إلى حائط الجبل خلف هذا المقعد وقد ظهر به مدخل مغطى بباب خشبى قديم مأخوذ من سفينة. فتش السيد إف بجيبه وأخرج نظارتين بعدسات داكنة وفسر هذا قائلا، «ستحتاج هذه النظارة ومهما حدث لا تخلعها ما دمنا داخل المنجم.» ارتديت النظارة وفتح السيد إف الباب القديم وطلب منى أن أتبعه فأطعته على الفور.

ما إن دخلت المنجم حتى فهمت لماذا لم تتحرك الأرض التى كانت تعلو هذا المكان وفهمت لماذا لم تتحرك الحوائط حولى ولماذا لم يتزحزح السقف أو الأرض تحت قدمى، ولماذا كان هذا المكان يمثل تراجعًا هادئًا فى طبيعة ثائرة ومتحركة.

كانت حوائط هذا المنجم، أيتها السيدات والسادة، وكذلك أرضه وسقفه، منحوتة من أصلب معادن الطبيعة: من الماس الخالص الصافى المتألق. كان البلور الماسى يصل حتى كاحلى، وكانت الأرض مغطاة بجلاميد من الماس وأحجار ماسية فى حجم الصخر الذى ترصف به الشوارع. إذا ألقيت بماسة من ماس جون كرز الشهير على أرض مناجم كراكاتوا للماس فسيكون من المستحيل العثور عليها مرة أخرى وكأنك ألقيت بحبة ملح فى كيس ملىء بالسكر. كانت هذه هى أحجار الماس فى أنقى صورة لها جاهزة لأن تقطع وتشكل، صخور من الكربون الخالص المبلور غير الملوث بأى أوساخ أو مواد ملوثة.

أدهشنى هذا المشهد بالطبع فقد قرأت ورأيت صورا لمناجم الملح الشهيرة ببولندا وكهوف الكريستال ببرمودا ولكن منظر هذا المنجم كان خاطفا للنظر أكثر بآلاف المرات من أى منجم آخر وكان يثير الروع والدهشة أكثر بكثير جدًّا، كان مشهدًا حقيقيًّا لرواية خيالية غير واقعية.





خضت بقدمى وسط أحجار الماس والتقطت حفنة من الأحجار فى يدى داعيا الأحجار الصغيرة أن تنسل من بين أصابعى وقمت بقذف حجرين ثقيلين فى حجم كرة البيسبول فى الهواء للعب بهما حتى شعرت فجأة كأنى طفل صغير أطلق له العنان فى متجر للحلوى.

سألت السيد إف بصوت مرتعش، «أيمكننى الاحتفاظ ببعض من هذه الأحجار؟».

أجابنى قائلا، «بالتأكيد. املأ جيوبك إذا شئت ولكن تعال معى إلى الخارج لحظة».

ملأت جيوبى بشغف وتبعته خارج المنجم. بدا نور الشمس بالخارج مظلما مقارنة بسطوع الأحجار البراقة المتألقة والمتلألئة بداخل المنجم. حتى بدون نظاراتنا الداكنة بدت السماء الزرقاء وكأنها تحولت فجأة إلى اللون الرمادى. كان من الصعب فى البداية تمييز الألوان فى هذه الطبيعة الاستوائية ولكن تأقلمت عيوننا بعد ذلك مع الظلام النسبى لنور الشمس وأصبح العشب أخضر مرة أخرى وعاد للسماء لونها الأزرق واكتسبت بشرة رفيق رحلتى لونًا وإشراقة أفضل.

«اجلس»، قال السيد إف مشيرا إلى المقعد القريب من المنجم. «لدى شىء أخبرك به. قد تظن أنك هبطت على جزيرة كراكاتوا مصادفة ولكن المصادفة الوحيدة هى دفع الرياح بك فى اتجاه كراكاتوا. قد تعتبر حادثة طائر النورس الذى ثقب منطادك وأجبرك على الهبوط هنا مصادفة ولكن إن لم يحدث هذا، لكنت أحدثت العديد من الثقوب بمنطادك بهذا المسدس. لذلك فقد كنت ستهبط هنا فى جميع الأحوال، عاجلا أو آجلاً إلا إذا غيرت

الرياح اتجاهه فجأة واصطحبتك إلى اتجاه مختلف. إذا كنت قد سافرت فوق جزيرة كراكاتوا، كنت ستصبح أول من يفعل ذلك من الغرباء وكنت سترى أن هناك بجزيرتنا منازل ومبانى ومتنزهات وملاعب.

كنت ستخبر بقية العالم أن هناك ناسًا تعيش بكراكاتوا ولم نكن سنرضى بحدوث هذا أبدا. صباح اليوم، رآك صبى صغير من جزيرتنا، وهو ابن السيد بى فأرسلونى للشاطئ ومعى مسدس لأتأكد من هبوطك فى جزيرتنا وقد اختارونى لأنى من أفضل الصيادين بالجزيرة. لقد رأيت منجم الماس وهو واحد فقط من مناجمنا، هناك العديد من الأراضى التى لم يتم استكشافها بعد حول قاعدة الجبل حيث لا تتحرك الأرض أبدا. أفهمت الآن لم ستظل ضيفا دائما لدينا؟».

طمأنته بإجابتى: «نعم، بالطبع».

«بعد أن تأخذ وقتًا كافيًا فى التفكير فى كل ذلك بدقة لاحقا، أعتقد أنك لن ترغب أبدا فى مغادرة كراكاتوا. ستحظى بالكثير من الثروة والسلطة عند امتلاكك سهما من المنجم. أنت تملك سهما الآن بالفعل لأن ملكية هذا المنجم مقسمة على كل من يعرف بوجوده بالتساوى. كان من الممكن أن نقتلك فور هبوطك على جزيرتنا ونخفى عنك سرنا بهذه الطريقة العنيفة ولكننا محظوظون لعدم وجود أى قاتلين بيننا.

«لذلك فبما أنك هنا فقد أصبحت من مواطنى كركاتوا بشكل طبيعى. تملك الآن سهما فى المنجم. إذا أمكنك إنفاق ما يعادل نصيبك من نقود فى البلاد الأخرى حسب السعر الحالى للماس فستنفق بليون دولار فى اليوم الواحد ما حييت. أما إذا أخذت نصيبك من الماس وشحنته فى

سفينة إلى بلد أخرى فستكون ارتكبت خطأ جسيمًا، فالماس غالى الثمن لأنه من المجوهرات النادرة فى البلاد الأخرى. إذا نقلت حمولة سفينة من الماس إلى أى ميناء بالعالم ستتسبب فى انهيار سوق الماس فينخفض سعر الماس حتى لا يساوى شيئا وستساوى حمولتك بالكاد ثمن حمولة زجاج مكسور.

«فى كل عام، يذهب رجال كركاتوا فى رحلة إلى بلد أجنبى ويكون البلد مختلفًا فى كل مرة. سأخبرك عن هذه الرحلات بالتفصيل لاحقا. نذهب لشراء مخزون العام من متطلباتنا ثم نعود مرة أخرى إلى كراكاتوا. يأخذ كل واحد منا معه ماسة صغيرة يبيعها لتاجر مختلف فى المدن الكبيرة المختلفة التى نزورها. فى البداية، ظننا أنه من اللازم أن نقسم بأننا لن نفشى بسر جزيرة كراكاتوا ومناجم الماس الموجودة بها لأى أحد ولكننا اكتشفنا أننا لن نحتاج لهذا فأنت تكتشف فور ذهابك لأى بلد آخر الثروة المذهلة التى نمتلكها بفضل مناجم الماس بكراكاتوا وتكتشف مدى السلطة والقوة التى يتمتع بها الماس فى الدول الأخرى وتتذكر أن إفشاء سر كراكاتوا سيتسبب فى انهيار سوق الماس فى العالم. لذا، ستتجنب ليس فقط ذكر كراكاتوا بل مجرد ذكر كلمة المحيط الهادى. الخطر الوحيد هو أن يسمعك أحد تتحدث عنها فى أثناء نومك.

«لقد سألتنى منذ قليل إذا كان بإمكانك أخذ بعض أحجار الماس. خذ قدر ما شئت فمن الطبيعى أن تريد أن تحمل معك بعض الماسات فى أول بضعة أيام لك فى الجزيرة. لقد تعودنا على هذه الأحجار حتى إننا نتركها هنا فى المنجم فهى لا قيمة لها فى جزيرتنا.

يمتلك كل فرد منا ثروة تفوق ثروة وزارة مالية الولايات المتحدة الأمريكية مائة مرة، ولكن لا يوجد لدينا مكان لإنفاق هذه الثروة لذا نترك الأحجار فى مكانها بالمنجم».

أشعرنى هذا الكلام كم كنت أحمق فسرت بخجل إلى المناجم وألقيت بالأحجار التى تساوى نصف مليون دولار ولكنها بلا قيمة هناك حيث التقطتها. أصيب عقلى بحالة من الاضطراب فالإثارة المصاحبة لاصطدام منطادى بشاطئ الجزيرة وزلزلة الأرض ورؤية هذه المناجم التى لا يصدق بوجودها عقل قد أرهقنى جسديا.

توقفت الأرض عن الدحرجة فى هذه الأثناء فى واحدة من وقفاتها القصيرة اليومية. أشار السيد إف إلى مجموعة من المنازل الغريبة على مسافة منا وقال لى: «هذه هى قريتنا. سنسلك هذا الاتجاه».

من شدة خوفى من تحرك الأرض مرة أخرى تحت أقدامنا، ركضت إلى القرية من مقعد إلى مقعد. تبعنى السيد إف عن كثب وقد بدا عليه الاستمتاع بمشاهدتى وأنا خائف من حركة الأرض البركانية. عندما وصلنا أخيرا أمام منزل السيد إف كنت أشعر بالإرهاق والتعب الشديد.

«أيمكنك أن تدلنى إلى غرفتى مباشرة؟» سألت السيد إف».أشعر بأنى مررت بقدر كاف من الإثارة اليوم. بعد أن أحظى بنوم هادئ الليلة، أعلم أنى سأكون فى حال أفضل حتى أتأقلم مع وضعى الجديد فى هذه الجزيرة الخلابة».

تفضل السيد إف ودلنى إلى غرفتى وأعطانى ملابس للنوم وأحضر لى وجبة غداء وقال لى، «طابت ليلتك».

شكرته وقمت بأكل الطعام فى الفراش وذهبت فى سبات عميق بعد قليل.



شعار النبالة لجزيرة كراكاتوا

شعار الجزيرة على هيئة ماسة محاطة بطبيعة استوائية ممثل عليها
مقلاة تسخن فوق قمة بركان لترمز إلى الحكومة الخبيرة فى المآكل.
ويقول الشعار: «ليست أشياء جديدة بل طرقًا جديدة».

الفصل السادس

الحكومـة الخبيـرة فى المـآكل

استيقظت فى الصباح التالى بعد أن قضيت ليلتى فى نوم هادئ وعميق. لقد علمت بأنى نمت جيدًا وبراحة تامة لأنى أحلم كثيرًا؛ وعندما أقضى ليلة هادئة تكون أحلامى سعيدة. أما إذا قضيت ليلة غير مريحة فأرى كوابيس فى نومى. فى تلك الليلة، حلمت بأنى عدت إلى فراشى المملوء بالغاز فى منطادى جلوب. يمكنكم تخيل دهشتى عندما استقيظت لأجد نفسى فى فراش كبير وجميل من طراز قديم وبه ظلة فى غرفة نوم أنيقة مؤثثة على طراز الملك لويس الرابع عشر. كان ورق الحائط بغرفتى أزرق اللون ومنقوشًا عليه زهور الزنبق ذهبية اللون. كانت الستائر مصنوعة من المخمل الأحمر وكان بطرف كل قطعة منها قماش ذهبى يمثل شمسًا تكتنفها الأشعة لترمز إلى ثروة وترف «ملك الشمس»، الملك لويس الرابع عشر، ملك فرنسا. لم ألاحظ تفاصيل غرفتى فى الليلة السابقة. بينما كنت أتناول عشائى فى الفراش على ضوء شمعة واحدة، لاحظت أن بفراشى ظلة ولكنى أظن أنى من فرط التعب والإثارة اللذين شعرت بهما فى أثناء اليوم، تخيلت أن الغرفة كانت مؤثثة بنفس الطراز الاستعمارى الأمريكى الذى تعودت عليه فى وطنى وذلك فى محاولة منى للشعور بالراحة.



غادرت الفراش وارتديت ملابسى. اكتشفت أن أحدهم قد أخذ بذلتى التى ارتديتها لبضع ساعات فقط فى اليوم السابق، والتى قد تجعدت قليلاً واستبدلت بها بذلة جديدة وقد راق لى ذلك كثيرًا. فى أثناء ارتدائى

لملابسى قرع السيد إف على باب غرفتى ودخل إلى الغرفة. تبادلنا التحية ثم أخبرته أنى قضيت ليلة هادئة ومريحة. فى أثناء حديثنا، سمعت صوت القعقعة المشئوم قادمًا من اتجاه الجبل فذهبت إلى النافذة ونظرت خارجها ورأيت الأرض أسفل النافذة تتحرك مجددًا. لم تكن تصعد وتهبط بنفس القوة التى اهتزت بها فى اليوم السابق بالقرب من الجبل، بل كانت الأرض تبدو مثل الحقول المتحركة على أرض محروثة. شرح لى السيد إف أن الأرض بقريتهم لم تتحرك كثيرًا؛ لأنها تقع فى بقعة أبعد ما تكون عن الجبل. سألته لم لم يتحرك المنزل الذى كنا به رغم تحرك الأرض من حوله فجاءت إجابته لسؤالى إجابة غريبة جدًّا:

«يقول لنا الإنجيل أن نبنى بيوتنا على أساسات من الحجر. وجدنا فى كراكاتوا أنه من الضرورى أن نبنى بيوتنا على أساسات أقوى حتى من الحجر فقد بنيت بيوتنا على أساسات من أحجار الماس الصلبة.» ثم أضاف، «هيا، سنخرج لتناول الفطور».

فى طريقى إلى أسفل المنزل، لاحظت أن منزل السيد إف لم يكن مؤثثًا على طراز الملك لويس الرابع عشر كلية ولكنه كان مؤثثًا على أفضل الطُرُز الفرنسية المختلفة المأخوذة من فترات مختلفة فقد رأيت غرفًا أخرى، منها المؤثث على طراز الملك لويس الخامس عشر ومنها المؤثث على الطراز الفرنسى الإمبريالى. عند مغادرتى المنزل، نظرت خلفى لألقى نظرة على مظهره الخارجى. كان يشبه مبنى بوتيت تريانون فى مدينة ڤرساى بفرنسا تمامًا، وهو المبنى الذى طالما اعتبرته واحدًا من المبانى المعمارية المفضلة لدى. كان وجود مبنى كهذا فى جزيرة صغيرة فى المحيط الهادى أشبه بالحلم البعيد.

نظرت حولى إلى المبانى الأخرى وكانت بنفس الدرجة من الروعة. فى أثناء تعثرى على الأرض المتموجة لاحظت مبانى أخرى بهذا الترتيب: مبنى مطابقًا تمامًا لمنزل مونت فيرون الخاص بجورج واشنطن؛ كوخًا مصممًا على الطراز الإنجليزى وبه سطح مصنوع من القش السميك؛ هيكلاً صينيًا جميلاً متعدد الأدوار، مبنى مصممًا على طراز العمارة الهولندية، نسخة مصغرة من فندق شبرد بالقاهرة، منزل السيد إف الفرنسى التصميم، وحوالى اثنى عشر منزلاً أخرى يمثل كل منها بلدًا مختلفًا. كنا متجهين إلى الكوخ الإنجليزى. دخلنا الكوخ ودخلنا غرفة الطعام حيث وجدنا ثمانين شخصًا آخرين يتناولون فطورهم. عندما دخلنا إلى الغرفة أعلن السيد إف بصوت مرتفع وواضح: «سيداتى سادتى، دعونى أقدم لكم البروفيسور شيرمان، المواطن الجديد بكراكاتوا.» رحبوا بى ترحيبًا حارًا جدًّا، فقد وقف الجميع وصفقوا لاستقبالى ثم اقترب منى الرجال مادين أيديهم لمصافحتى. تعرفت عليهم بهذا الترتيب السيد إيه، السيد بى والسيد سى، وصولاً إلى السيد تى. اتضح أن السيد بى كان هو مضيفنا بهذا الكوخ الإنجليزى. دلنا السيد بى إلى طاولة وجلسنا عليها. فور جلوسنا، التفت إلى رفيقى السيد إف وقلت له: «سيد إف، قبل أن أصبح فى حيرة أكثر من أمرى، أيمكنك أن تقص على قصة جزيرة كراكاتوا من البداية؟ أيمكنك أن تخبرنى كيف وصل كل هؤلاء الناس الطيبين إلى هنا؟ أيمكنك أن تشرح لى لم يختلف كل بيت فى معماره عن الآخر، ولماذا يوجد بالبيتين اللذين زرتهما حتى الآن غرف للطعام ضخمة جدًّا؟ أيمكنك أن تخبرنى لماذا يسمى كل الرجال هنا بحروف الأبجدية الإنجليزية؟ لم أتخيل يومًا فى حياتى أن هناك بلدًا بالعالم به عادات غريبة ومحيرة مثل هذا البلد».

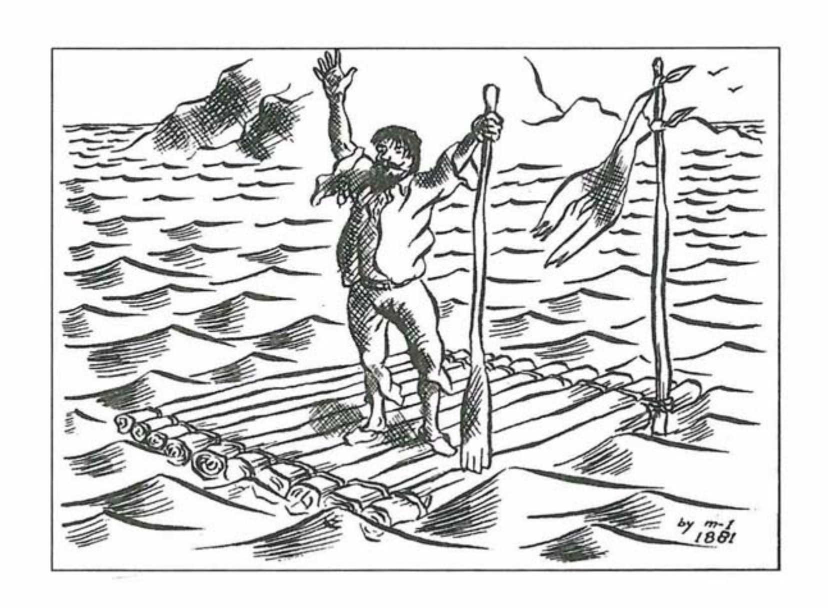
ضحك السيد إف وقال لى: «دعنا نتناول فطورنا أولاً.» ذهبنا إلى طاولة ضخمة عليها أطباق إحماء فضية كبيرة لحفظ الطعام ساخنًا، وكانت تحتوى على كميات كبيرة من الكلاوى الشهية وشرائح لحم الضأن ولحم الخنزير وكانت كل هذه الأطباق تشكل الفطور الإنجليزى المشبع. أحضرنا فطورنا وعدنا لطاولتنا حيث أخبرنى السيد إف حكاية كراكاتوا:

«منذ ثمانى سنوات، تحطمت وغرقت سفينة بالقرب من ساحل جزيرة كراكاتوا فى إعصار رهيب ونجا على الجزيرة بحار شاب يعرف الآن باسم السيد إم. نزل على الجزيرة فى حالة صحية جيدة وكان هذا من حسن حظه فقد غرق كل طاقم السفينة فى المحيط. عندما شعر بقعقعة الأرض تحت قدميه، أدرك أنه كان على سطح الجزيرة الأكثر خطرًا فى العالم وهى جزيرة كراكاتوا. لم يردْ أن يقترب من الجبل لأنه كان يعلم أن النشاط البركانى للجبل هو الذى سبب كل هذه الرجة العنيفة للأرض ولم يستطع البقاء على الشاطئ أيضًا لأن الرياح المصاحبة للإعصار تسببت فى هبوب عاصفة رملية خطرة جدًّا من الممكن أن تقضى على حياة أى إنسان. دلته فطرته للبحث عن مأوى فى الغابة. زحف بداخل الغابة فى اتجاه الجبل محاولاً أن يبعد قدر المستطاع عَن الشاطئ. لا بد أنه قد تعذب كثيرًا فى هذا، فبالإضافة لضرب الأشجار المتمايلة والشعب والنباتات التى كانت تضربها الرياح، كان يصعد ويهبط وهو زاحف مع حركة سطح أرض كراكاتوا المسببة للغثيان. فى وقت ما فى أثناء الليل وصل إلى قطعة الأرض الساكنة بجانب المناجم حيث لا تتحرك الأرض. تلمس طريقه فى الظلام حتى وجد أخيرًا فتحة فى حائط الجبل فظن أنها مدخل لكهف ما. زحف

بداخله ونام فى سلام نسبى لما كان يحدث بالخارج ولكنه لم يشعر بالراحة أبدًا عندما استيقظ، وجد نفسه بالطبع فى مناجم الماس.

«أول فكرة طرأت بباله عند اكتشافه أنه أصبح أغنى رجل فى العالم هى كيف يغادر كراكاتوا ويعود إلى بلاده حيث الحياة المتحضرة ومعه حمولة كبيرة من الماس. فى ذلك الوقت، كانت مغادرة كراكاتوا شيئًا صعبًا جدًّا فمن الصعب مغادرة مكان لا يجرؤ أحد من خارجه أن يقترب منه. كان هذا شيئًا جيدًا إلى حد ما فقد كانت هذه فرصة جيدة للتأقلم مع العيش فى كراكاتوا وإدراك حقيقة أنه من الممكن الحياة فيها والتفكير فى أنسب طريقة لاستغلال الثروة الهائلة الناتجة عن وجود هذه المناجم.

«قام ببناء طوف من الأخشاب لنفسه وقد أكمله فى شهر؛ لأنه لم يمتلك فى البداية أى معدات تساعده فى البناء. وجد فى مناجم الماس ماسة على شكل رأس الفأس فصنع منها فأسًا. كانت هذه أداة مصنوعة من المواد الخام ولكنه لم يحتج أن يجعلها حادة فهى مصنوعة من الماس. أكمل بناء الطوف وبدأ رحلته فى المحيط فى يوم ما حتى رأى سفينة تبعد عنه بمسافة كبيرة. كان قد اصطحب معه أربع ماسات فقط، ثلاث ماسات صغيرة فى حجم البلى وماسة كبيرة فى حجم كرة البيسبول. أنقذته السفينة وكانت متجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أخبر ربان السفينة أن سفينته قد تحطمت على شاطئ كراكاتوا واختلق قصصًا رهيبة عن مدى بشاعة الجزيرة. لم يكن الربان فى حاجة لهذه القصص حتى يقتنع برواية السيد إم فلم تكن لديه أدنى رغبة لزيارة كراكاتوا.



«عندما وصل السيد إم إلى مدينة سان فرانسيسكو، باع الماسات الثلاث الصغيرة لثلاثة تجار مختلفين مقابل حوالى عشرة آلاف دولار للقطعة الواحدة. ثم قام باختيار عشرين أسرة، وهى الأسر التى تراها هنا، وأغراهم للذهاب معه إلى هذه الجزيرة الخلابة، مستخدما الماسة الكبيرة كطعم لاستدراجهم. لقد اختار هذه الأسر بعناية فقد كان متطلبا من كل أسرة أولاً، أن يكون لديها ابن وابنة تتراوح أعمارهما بين الثالثة والثامنة. وثانيًا، أن تكون لديها اهتمامات إبداعية محددة مثل الرسم أو الكتابة أو العلوم أو الموسيقى أو العمارة أو الطب. لم تضمن فقط هذه المتطلبات تكوين أجيال مستقبلية فى كراكاتوا، بل افترض السيد إم أيضًا أن أصحاب الاهتمامات الإبداعية لن يشعروا بالملل فى جزيرة صغيرة مهجورة وأنهم سيتأقلمون

بشكل أسهل مع الظروف والمواقف غير المألوفة وسيشكلون أساسًا قويًّا لصفات وراثية تورث الثقافة للأجيال القادمة.

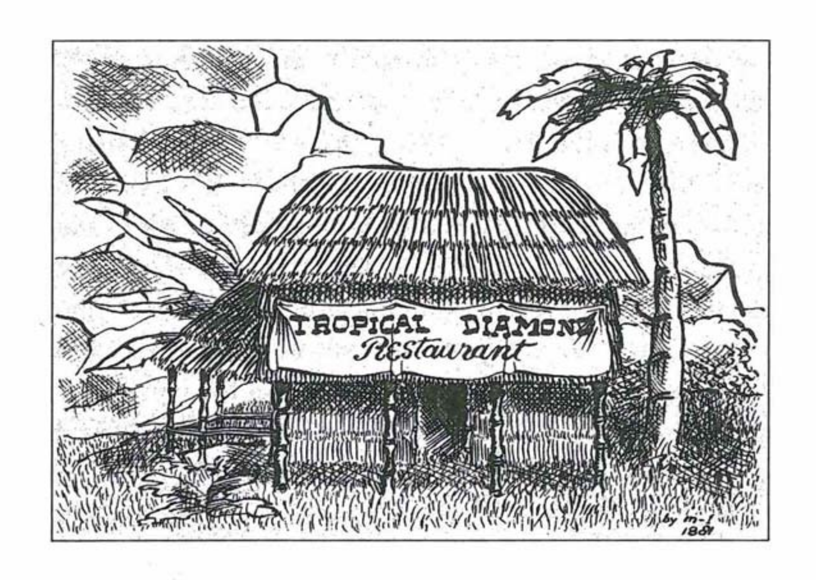
«اشترى السيد إم سفينة لنفسه بثمن الماسات التى باعها مقابل ثلاثين ألف دولار وقد كان البحار الوحيد بين أعضاء الأسر التى اختارها. بدأ فى تدريب بقية الرجال حتى يصبحوا بحارة مثله عن طريق اصطحابهم فى رحلات بسفينته وقد أصبحنا طاقمًا متمكنًا فى وقت قصير. حملنا السفينة بأسرنا ومؤننا وأبحرنا بعيدًا. كان هذا منذ سبع سنوات تقريبًا.

«تقع كراكاتوا بين جزيرتى جافا وسومطرة ضمن مجموعة صغيرة من ثلاث جزر من المفترض أنهم غير مأهولين بالسكان وهم كراكاتوا وفيرلاتن ولانج. تحجب جزيرة فيرلاتن خليجًا صغيرًا بعد مدخل لجزيرة كراكاتوا فلا يمكن لأحد أن يراه من جزيرة سومطرة، كما تحمى جزيرة فيرلاتن هذا الخليج من تقلبات مياه المحيط لذا خططنا أن نوقف سفينتنا فى هذا الخليج وقد فعلنا هذا فى منتصف الليل.

«كان عامنا الأول بكراكاتوا صعبًا جدًّا. فور رؤيتنا للمناجم، أصبنا كلنا بالطمع. لم تكن هناك طريقة لتقسيم الماس سوى تخصيص عشرين حصة بكتابة عشرين ورقة تعطى صاحبها حق امتلاك جزء مساوٍ للآخرين من المناجم. ولكن بدا أن هناك رغبة وطمعًا بداخل كل منا فى أن يكون المالك الوحيد لكل الماس. كان ببعض الأسر متخصصون فى البناء والعمارة فبنوا لأنفسهم أكواخا صغيرة ومريحة حيث استقروا وبدءوا حياة طبيعية جدًّا. كان بقيتنا ينام على الأرض أو بداخل المناجم فطلبنا من

المتخصصين فى البناء أن يبنوا لنا بيوتًا مثلهم فوافقوا بشرط أن نتنازل لهم عن حصصنا فى المناجم. رفضنا فى البداية ثم اكتشفنا ـ بعد شهور من الحياة الصعبة فى أصعب أيام الموسم الممطر ـ أننا لابد أن يكون لنا أكواخٌ فتنازلنا للعائلات الأربع عن نصيبنا فى المناجم فبنوا لنا أكواخًا فى المقابل وبهذا أصبحوا ملاك مناجم الماس.

«عندما أصبح لدينا بيوت بدأنا فى التفكير فى طريقة لاسترجاع نصيبنا من الماس. لم يكن هناك شىء يشترى فى كراكاتوا فكنا نعيش على ثمار النباتات الوافرة بالجزيرة. يتميز الطقس هنا بالرطوبة والدفء والثبات كما تمتلئ الأرض بالأحماض الفوسفورية والبوتاسيوم نتيجة لطبيعة الأرض البركانية؛ لذا فكل أنواع الثمار تنمو بشكل جيد هنا. فتحت واحدة من الأسر مطعمًا وقد كانت هذه فكرة جيدة جدًا. أرادت العائلات الأربع المالكة للماس أن تستعرض سلطتها، ولكن لم تكن هناك طريقة ينفقون بها هذه الثروة من الماس، ولم تكن هناك طريقة للوصول إلى أى بلد آخر سوى سفينتنا، ولم يكن ليكتمل طاقم السفينة إلا إذا اجتمع كل رجال الجزيرة من كل الأسر على متن السفينة. لم يرغب أحد من الأسر التى لا تمتلك الماس فى أن يصطحب الأسر المالكة الماس إلى الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك بدأت الأسر المالكة للماس فى استعراض سلطتهم عن طريق الذهاب إلى المطعم لتناول العشاء كل ليلة. كانت الوجبات بالمطعم غالية الثمن، اعتقد مطعم الماسة الاستوائية أن الوجبات الثلاث كانت تساوى نصيبًا واحدًا من الماس وبالرغم من ذلك فقد نجحت فكرة المطعم. فى وقت قصير، فتحت أسرة أخرى مطعمًا آخر يفوقه قليلاً فى الجودة، ثم تحول بيت آخر إلى مطعم فبدأت ثروة الماس تقسم بالتساوى مرة أخرى. بعد حوالى



أربعة أشهر من المنافسة الشرسة التى حولتنا كلنا إلى طهاة ماهرين، وجدنا أن كلاً منا استرد نصيبه وأصبحنا جميعًا فى حال أسعد. كان هناك تنوع كبير فى الطعام من بيت إلى بيت فقررنا أن نحتفل باسترداد حصصنا من الماس بإقامة وليمة كبيرة تشارك فيها كل أسرة بالطبق المفضل لديها. كانت مناسبة فخمة ومترفة وقد أنهينا الاحتفال بوضع دستور لحكومة كراكاتوا.

«لدينا دستور غير تقليدى وغريب بعض الشىء فحكومتنا أشبه بحكومة لإدارة المطعم. هناك عشرون أسرة فى الجزيرة، تمتلك كل منها مطعمًا وتديره فأصدرنا قانونًا يحتم على كل أسرة أن تذهب إلى مطعم مختلف فى كل ليلة من الشهر من مطاعم الجزيرة بميدان القرية بالتناوب. بهذا، لن تضطر أى أسرة إلى العمل سوى مرة واحدة كل عشرين يومًا وستحظى كل

الأسر بتنوع رائع فى أصناف الطعام.» فهمت الآن لماذا بدا المنزلان اللذان قمت بزيارتهما كالمطاعم فسألت السيد إف كيف حصلت الأسر على أسمائها المأخوذة من حروف الأبجدية الإنجليزية.

أجابنى السيد إف، «هذا أمر بغاية البساطة. هناك عشرون مطعمًا فى ميدان القرية فأسميناهم بترتيب الأبجدية إيه، بى، سى، دى، إيى، إف وصولاً إلى حرف تى وهو المنزل العشرون حول الميدان فقمنا بتغيير أسمائنا. على سبيل المثال، يعيش فى مطعم إيه، السيد إيه، والسيدة إيه وابنهما إيه-1 وابنتهما إيه-2. إنه أمر بسيط جدًا».

سألت السيد إف، «أهناك شىء آخر غريب فى دستوركم؟».

أجابنى، «لدينا تقويم مختلف لأيام السنة فى كراكاتوا فهو يعتمد أيضًا على نظام المطاعم. الشهور فى تقويمنا أقصر؛ فهناك عشرون يومًا فى الشهر الكراكاتوى ويسمى كل يوم على اسم عائلة فهناك يوم إيه ويوم بى ويوم سى وهكذا حتى يوم تى. هناك ثمانية عشر شهرًا فى العام الكراكاتوى. فى كل يوم من كل شهر، نأكل فى مطعم مختلف ففى يوم إيه، نأكل فى مطعم إيه وفى يوم بى نأكل فى مطعم بى وهكذا. لذا، فتضطر كل عائلة للعمل يومًا واحدًا فى الشهر وهو اليوم المسمى على اسمه».

قلت للسيد إف، «يبدو هذا معقولاً. ولكن أخبرنى كيف أصبح كل مطعم مختلفًا جدًا ومميزًا عن الآخرين؟ لقد أخبرتنى أن كل العائلات تأتى من سان فرانسيسكو وعندما رأيتهم وسمعتهم يتحدثون، بدا لى أنهم جميعًا أمريكيون، ومع ذلك تختلف منازلهم تمامًا عن بعضها، وكأن كلاً منها يمثل بلدًا مختلفًا وكأنه سراديق من بلاد مختلفة فى مهرجان عالمى».

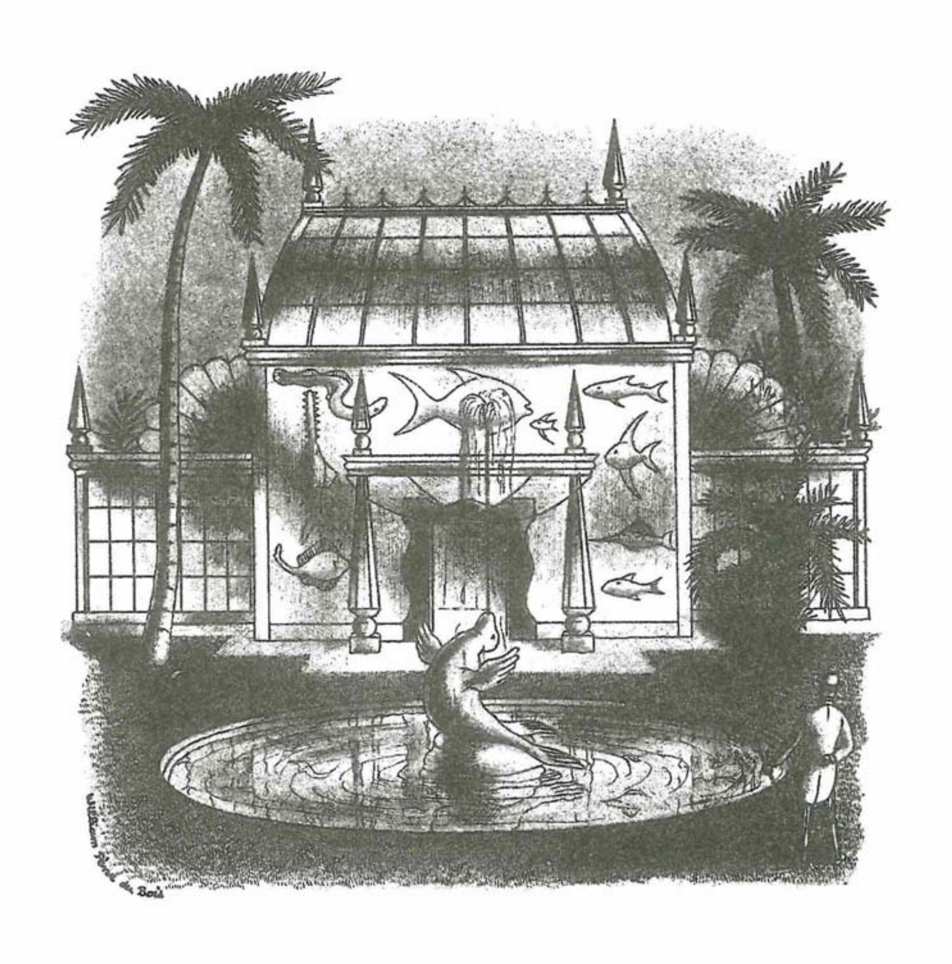
«كلنا أمريكيون هنا لكن جاءتنا فكرة بناء مطاعم عالمية حتى نضفى على أيام الشهر تنوعًا فى الطعام. فى بداية حياتنا هنا على الجزيرة، عندما اكتشفنا أننا يمكننا أن نعيش فى سعادة تحت حكومة إدارة المطاعم، قررنا أن نجعل كل مطعم مختلفًا عن الآخر حتى نتطلع إلى تناول طعام مختلف وشهى فى الأيام المختلفة. لدينا نحن الأمريكيين، أذواق فى الأكل مختلفة متوارثة عن أجدّادنا لذا قررنا أن يقدم كل مطعم الأكلات الخاصة ببلد مختلف، وقد رتبنا هذا أيضًا تبعًا للأبجدية، فالسيد إيه يدير مطعمًا أمريكيًّا ويقدم فقط الأكلات الأمريكية. نأكل الآن فى منزل السيد بى وهو مطعم بريطانى كما تدير عائلة سى مطعمًا صينيًّا وتدير عائلة دى مطعمًا هولنديًّا وعائلة إى مطعمًا مصريًا، وهكذا حتى عائلة تى التى تدير مطعمًا ومقهى تُركيًّا».

«وأنت يا سيد إف تدير مطعمًا فرنسيًّا، أليس كذلك؟».

أجاب السيد إف قائلاً: «إنه أمر سهل جدًّا».

سألته: «أليس هناك مطعم كراكاتوى؟».

أجاب: «بالطبع ويديره السيد كى وهو متخصص فى الأطباق المصنوعة من ثمار وطعام الجزيرة، فهناك أطباق غريبة تصنع من الخبز المقطوف من أشجار الخبز واللبن المشتق من جذع نخيل اللبن وأطباق مصنوعة من جوز الهند والموز وفاكهة أخرى غريبة كما أن معظم الأطباق تكون مصنوعة من الأسماك الرائعة التى نجدها بسهولة فى مياه المحيط. لم نستطع أن نجد تصميمًا لمبنى المطعم الكراكاتوى فقمنا بابتكار تصميم خاص له، مصنوع من كتل الزجاج المبلور التى ترمز إلى مناجم الماس وهى أكثر كنوز الجزيرة



حصانة وبداخل هذه الكتل وضعنا أسماكًا استوائية نادرة وملونة، وهذا لأنها كانت مصدرنا الأساسى للطعام طوال عدة شهور.

يبدو المطعم وكأنه بيت مصنوع من مكعبات الثلج والسمك الطازج، ولذا فهو مكان مُغْرٍ جدًا للأكل به فى أيام كى من شهور الصيف الحارة».

سألته: «ما جنسية المطعم الذى يديره عائلة إس؟».

«مطعم سويدى».

«وماذا عن عائلة أر؟».

«يديرون مطعمًا روسيًّا».

«يالروعة هذه الجزيرة!» تعجبت ثم قلت: «إنى أنتظر بلهفة يوم آى؛ لأنى أحب المكرونة السباجيتى كثيرًا».

طمأننى السيد إف قائلاً: «يقدم مطعم السيد آى الإيطالى أشهى أنواع المكرونة».

سألته: «هل لديكم أسماء للشهور؟».

«إلى حد ما ولكن أسماء الشهور هنا موسمية وتعتمد كليًا على مخزون الطعام لدينا فى هذا الوقت. لدينا الآن مخزون كبير من لحم الضأن، فلذلك أسمينا هذا الشهر، شهر الحمل. طلبنا من كل مطعم تقديم طبق من لحم الضأن فى قوائمهم للطعام. اليوم هو يوم بى من شهر الحمل لذلك نتناول شرائح لحم الضأن على الطريقة البريطانية وهى شهية جدًّا وصعب مضاهاتها. فى يومى وهو يوم إف، سأقوم بتقديم شرائح لحم الضأن مع صلصة البيارنيز الفرنسية أو ربما أقدم لحم الضأن المشوى الممزوج بالثوم. فى يوم تى سيقدم المقهى التركى شيش كباب المكون من لحم الضأن المشوى على أسياخ معدنية. تقدم مطاعمنا بالطبع أنواعًا مختلفة من اللحوم ولكن فى شهر الحمل، يمكنك دائمًا التأكد من وجود طبق مصنوع من لحم الضأن فى كل قوائم الطعام».

«كلما سمعت المزيد عن كراكاتوا راقت لي أكثر.

ولكن هناك شيئًا آخر يحيرني. كيف تحصلون على المؤن؟ وكيف حصلتم على خامات ومواد البناء عندما بنيتم هذه البيوت؟».

«كانت هذه نتيجة تشكيل حكومتنا المعتمدة على المطاعم. نحن سعداء جدًا هنا لذا لا يرغب أحد منا في أن يفشي بسر مناجم كراكاتوا للماس وقد أقلعنا عن محاربة بعضنا البعض من أجل التحكم الأناني في المناجم لذا لم يمنعنا شيء من الذهاب في رحلات متكررة لبلاد أخرى. نذهب لبلاد مختلفة في كل مرة ودائمًا نخفي أثرنا عن طريق بيع سفينة الشحن التي نذهب بها وشراء واحدة جديدة لذا لا يمكن لأحد أن يرى سفينة لنا في بلدين مختلفين. نوفر المال اللازم لتزويد سفينتنا بكل ما نحتاجه عن طريق اصطحاب بعض الماسات من منجم الماس معنا في رحلتنا. انتهينا من بناء آخر منزل مؤخرًا وقد استغرق بناء هذه المنازل سبعة أعوام. كانت عملية البناء عملية طويلة وتدريجية وقد عملنا بها كلنا بكد واجتهاد».

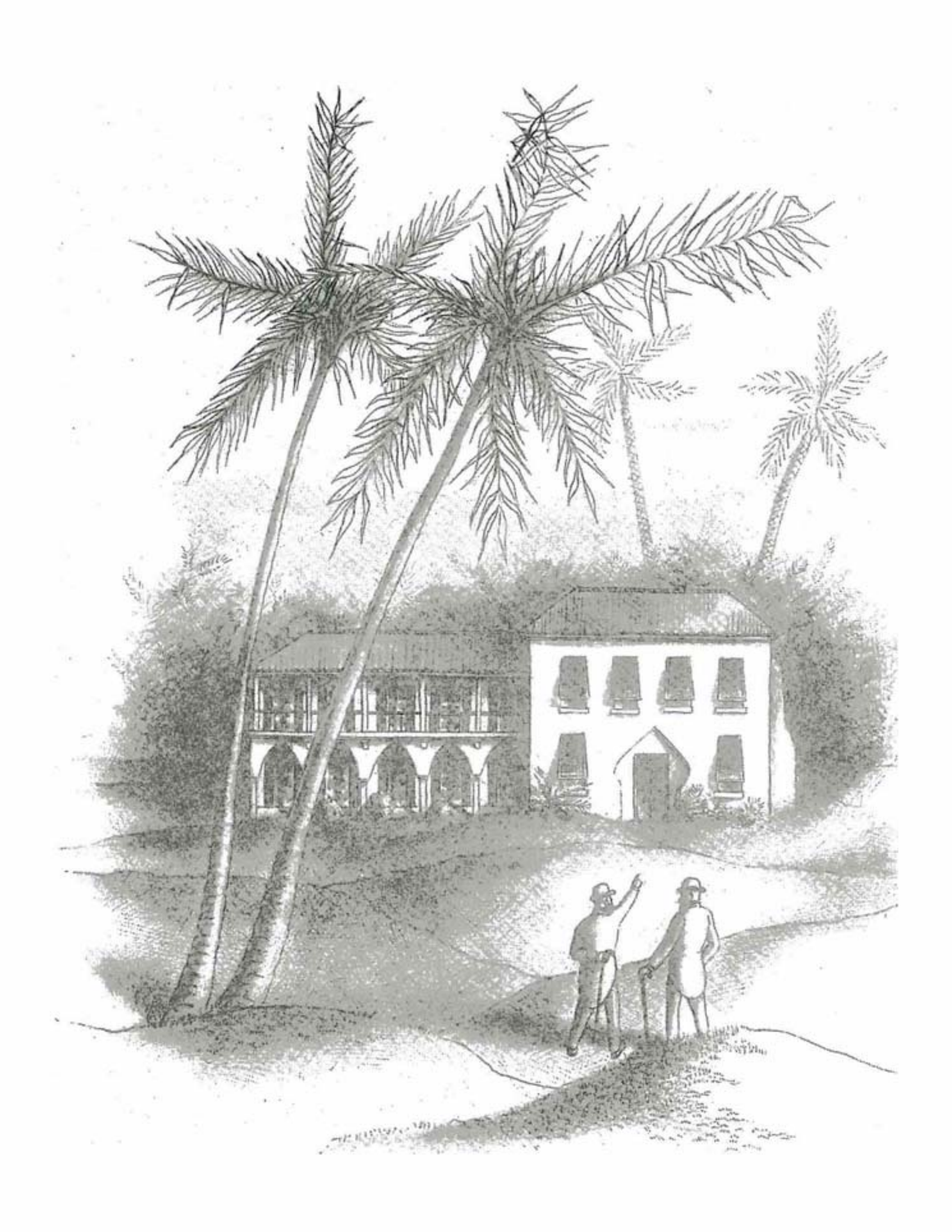
«ماذا عني؟ أنا وصلت لتوي وليس لدي أسرة. أتريدونني أن أغير اسمي؟ هل أبدأ في بناء مطعم خاص بي؟ لا أود أن أفسد النظام هنا فإنشاء مطعم آخر سيفسد تقويمكم. ماذا تريدونني أن أفعل؟».

أجابني السيد إف، «ستضطر للبقاء معنا في هذا الوضع الغريب السعيد أيضًا كضيف دائم لدينا. يمكنك البقاء في منزلي ما شئت أو عائلة السيد إف يمكنك أيضًا التنقل بين بيوتنا إن أردت. أما بالنسبة للطعام، فستتبع



تقويمنا اليومى وتأكل معنا كل يوم. بما أن عائلاتنا تستعد لاستقبال ثمانين شخصًا لتناول الطعام فلن يزعجها أبدًا أن تستقبل ضيفًا إضافيًا. بالنسبة للاسم، لا أحبذ أن تغيره فأنت لن تمتلك مطعمًا ولذا لن يكون هناك داعٍ لأن نسمى يومًا آخر باسمك. بالإضافة إلى أن الحرف الحادى والعشرين فى الأبجدية الإنجليزية هو حرف «يو» الذى يشبه فى نطقه كلمة «يو»، والتى تعنى بالإنجليزية «أنت» فكل مرة ينادى فيها شخص شخصًا آخر قائلا «يو» أى «أنت»، ستلتفت ظنًا منك أنه يناديك. إذا سألك أحدهم عن اسمك وقلت له «أنا يو» سيفهم أنك تقول: «أنا أنت». ستزعجك أجزاء كثيرة من حديث الآخرين فإذا قال أحدهم للآخر «أريد رؤيتك الليلة» مستخدما الضمير «يو» الذى يعنى «أنت» ستتساءل ما إذا كان يعنى أنه يريد رؤيتك أنت، السيد «يو»، وستتساءل لماذا قد ترغب هذه السيدة فى رؤيتك. أؤكد لك يا بروفيسور شيرمان أن اسم «يو» هو اسم سيئ جدًا».

ضحكت على كلام السيد إف ووافقته على أن ندع اسمى كما هو. ثم أخبرنى السيد إف أن هناك منزلاً غريبًا جدًا يريد أن يريه لى. «إنه منزل السيد إم الذى يدير المطعم المغربى. إن السيد إم هو الذى اكتشف جزيرة كراكاتوا، ولكن ليس هذا فقط بل ابتكر سبلاً لجعل الحياة بها أسهل وأفضل. السيدة إم ممرضة ولدى أطفالهما إم-1 وإم-2 عقول إبداعية. تعال معى لأريك ما أعتبره أروع بيت فى العالم».



الفصل السابع

بيت العجـــائب المغـــربى

فى طريقنا إلى منزل السيد إم، سألت السيد إف عما يفعله مواطنو كركاتوا فى أوقات فراغهم. «لقد أخبرتنى أن السيد إم اختار فقط العائلات ذات الاهتمامات والهوايات الإبداعية للمجىء إلى الجزيرة وقلت إنهم تم اختيارهم لأنهم سيكونون أقل عرضة للشعور بالملل فى جزيرة صغيرة كهذه. حسنا إذن. «سألته، «كيف يسير الأمر معكم؟ لديكم تسعة عشر يومًا فى الشهر، كما ينص الدستور بلا عمل ــ هل تشعرون فيها بالملل أم لديكم هوايات تشغل فراغكم؟».

«لدينا هنا ما يشغلنا مثلنا مثل أى بلد آخر باستثناء أن مناجم الماس التى نمتلكها تجعلنا نعيش فى مستوى معيشى أفضل بالطبع. الانشغال فى البلاد الأخرى دائما يفسر على أنه طريقة لكسب العيش، وكسب العيش فى أبسط أشكاله يعنى توفير الطعام والمأوى. تتولى حكومتنا القائمة على المطاعم مهمة توفير الطعام لنا كما أننا كرسنا كل قدراتنا الإبداعية لتوفير مأوى على أكبر قدر من الروعة. لقد بنينا هذه المنازل التى تراها واحدا تلو الآخر. اخترنا لكل بلد نمثله بيتا يعكس أجمل ما يميز هذا البلد وبنيناه. على سبيل المثال، يشبه بيتى كثيرًا، على سبيل المثال، مبنى بوتيت ترانون الشهير. لقد

قمت بشراء التصاميم المفصلة لمبنى بوتيت تريانون من متجر صغير بمدينة فرساى. تم تقطيع الأحجار اللازمة للبناء بالترتيب فى فرنسا خصيصا لنا وقد قمنا بشحنها فى سفينتنا وعدنا بها الى كراكاتوا. كانت تلك الأحجار مرقمة حسب ترتيبها المبين بالتصاميم. لقد استمتعنا جميعا ببناء منزلى مثلما يستمتع الطفل الصغير بتركيب لعبة الأحجار الصغيرة التى تكون أشكالا. فى رحلاتنا اللاحقة، اشترينا الأثاث الملائم لمنزلى. لقد عملنا كلنا سويا حتى اكتمل بناء وتأثيث كل المنازل. أشرف البناءون على البناء الفعلى، وقام الرسامون باختيار اللوحات أو بتقليد اللوحات الأصلية أو برسم لوحات جديدة لتزيين المنازل. كانت هوايتنا هى تأثيث وتزيين كل منزل من منازلنا، هواية رائعة لأغنى عائلات فى العالم ــ ونحن قد أصبحنا أغنى عائلات فى العالم. جعلتنا هذه الهواية نعمل بكد».

سألت السيد إف، «هل الطعام دائما جيد أم أن بعض العائلات يقدمون وجبات غير جيدة فى بعض الأيام لشعورهم بالكسل أو فقدهم الاهتمام بتقديم وجبات شهية؟».

«لم يخفق أحد بعد. عندما تدير مطعما، تصبح مهتمًا جدًّا بالطعام، وأظن أن الكبرياء هو الذى يجعل أى شخص يحاول أن يقدم وجبات أشهى من العائلات الأخرى. فى اليوم المخصص لك، تأتى كل الأسر لمنزلك لتناول الطعام. دائما ما أحاول أن أثبت أن يوم إف هو أفضل يوم فى الشهر. كما أن هناك سببًا آخر لاجتهادنا فى الطهى:

كلنا مهتمون بالطعام ونتوق إلى الأكل. إذا أعددت طعامًا سيئا فى يوم إف فى منزلى، هناك خوف من أن يفعل الآخرون مثلى فى أيامهم فنقضى فى النهاية شهرًا كاملاً من الطعام السيئ».

قلت: «فهمت».

«و لكن لا يسير كل شيء بشكل مرتب مثلما صورته لك خاصة الآن بعد أن انتهينا من تجهيز كل المنازل. مؤكد أننا نعمل بكد فى أيامنا من الشهر ولكن أصبحنا نقضى وقتا طويلا مؤخرا دون أن نفعل شيئا».

«وما العيب فى ذلك؟» سألته فى عجلة.

«لا شيء!» صاح السيد إف. «يسعدنى أن أرى أنك تحب التسكع. يعتقد البعض أن «العمل عبادة» و«من جد وجد» وأفكار أخرى من هذا القبيل. لقد أصبحنا خبراء فى التسكع هنا فى الجزيرة حتى أصبحنا فى حالة دائمة من الاسترخاء. عملنا الوحيد بجانب الطهى هو محاولة تسهيل حياتنا وحياة الآخرين. أنت على وشك أن ترى المنزل الذى كنا نعمل فى تجهيزه مؤخرا. لقد كان من أول المنازل التى بنيناها بالجزيرة ولكننا أضفنا إليه بعض التطورات الجديدة فإذا نجحت ابتكاراتنا التى ألحقناها بالمنزل سنقوم بتركيبها فى منازلنا.

أكمل السيد إف حديثه قائلا، «إذا نظرت إلى منزل السيد إم من الخارج سترى أنه منزل مغربى له بناء صلب وبسيط، وهذا من أهم الأسباب التى جعلتنا نعمل على بنائه أولاً، فمن السهل أن تطبق أفكارا جديدة على منزل مصمم بخطوط صلبة وبسيطة عن أن تطبق هذه الأفكار على منزل به قباب ومآذن مثل منزل السيد تى التركى على سبيل المثال. لقد اكتشفنا على الفور أن كلاً منا لديه أفكار للتطوير تتطلب قوة وطاقة محركة ميكانيكية؛ لذا طورنا أولا قبو منزل السيد إم. القبو بمنازلنا عادة ما نملؤه ببراميل الخمر،

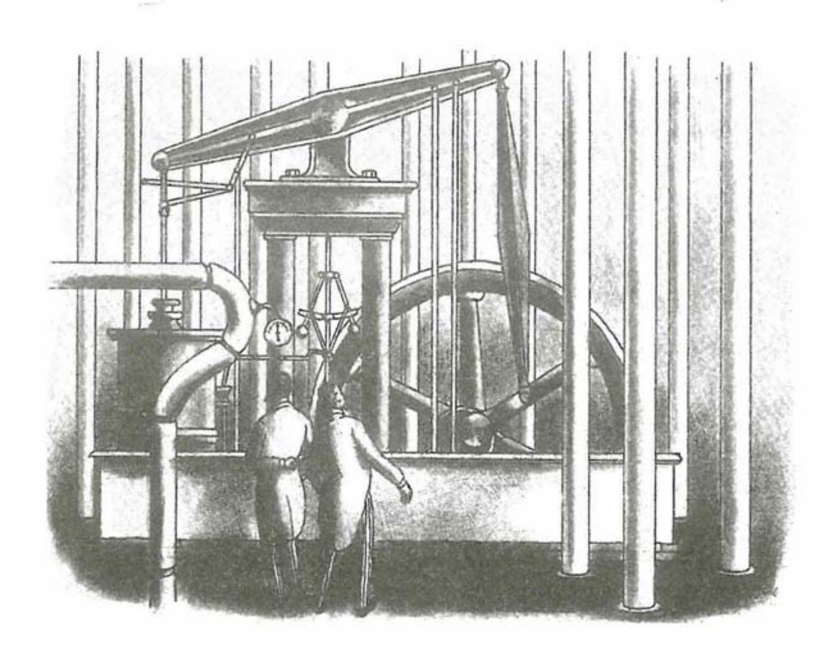
فقمنا بحفر قبو آخر منفصل عن المنزل بجانبه وبطنّاه بجلاميد الماس المعتادة لحمايته من التحرك تأثرا بتحرك الأرض وبنينا أعلاه سطحا وقمنا بنقل خمر السيد إم المغربى الفاخر إلى هذا المخبأ الجديد.

«معظم أفكارنا كانت تتطلب مضخات تدار بالماء لتدويرها؛ لذا قمنا أولا بتركيب محرك بالبخار فى قبو منزل السيد إم ـ ها قد وصلنا. هيا، سأريك القبو أولا».

استقبلنا السيد إم والسيدة إم وأولادهما،إم-1 وإم-2 بالتحية عند باب المنزل. لم يتحدثوا كثيراً فى أثناء الفطور فغادروا ووصلوا إلى بيتهم قبلنا بوقت طويل. لاحظ السيد إم على الفور أن السيد إف كان يصطحبنى فى جولة لمعاينة بيته فبدلا من أن يعقد الأمر، دعانا أن نعتبر البيت ملكًا لنا طوال النهار ودعانا أن نتجول فى أرجاء البيت كما شئنا ثم قال، «سأنزل للقبو لتشغيل بعض البخار حتى تستطيعوا تشغيل أى من الاختراعات إذا أردتم تجريبها».

تبعنا السيد إم إلى القبو حيث وجدنا سخانًا وفرنًا يشبهان نفس المعدات التى تجدها فى أى قبو فى أى بيت أمريكى وأخبرنا السيد إم أن تذكية النار من أجل تشغيل محرك البخار كانت فى سهولة إبقاء فرن عادى مشتعل. كانت الغرفة معزولة جيدا فمن المستحيل أن تعيش فى بيت فى جزيرة استوائية حيث حرارة الشمس المرتفعة التى تعلو المنزل وتطيق أيضًا حرارة الفرن التى تنبعث من أسفل البيت. بالطبع كان السخان موصولاً عن طريق أنابيب بمكابس محرك ضخم جدًا للبخار ـ وكان هذا مختلفًا تمامًا عما تجده بأى قبو أمريكى. كان بقية القبو أشبه بمتاهة من العمدان النحاسية المصقولة المنتصبة من الأرض وحتى السقف. كانت عجلة الموازنة الخاصة بمحرك

البخار تزود الطاقة اللازمة لتشغيل مضخات الماء التى كانت، من الواضح، تحرك العمدان النحاسية إلى الأعلى وإلى الأسفل. كان محرك البخار مرفقًا أيضًا بمولد للكهرباء. كان هذا القبو بمثابة غابة ميكانيكية أكثر تعقيدًا من غرفة المحركات بالسفن. كنت متلهفًا للخروج من هذا القبو، أولاً لأرى الأجهزة التى تديرها كل هذه الميكنة بالأعلى، وثانيًا لأنه لم يكن هناك مساحة بهذه الغرفة يمكنك التحرك بها دون أن تصاب بحرق أو تلطخ بالشحم أو تسحقك الميكنة أو تصاب بصدمات كهربية. بدا على السيد إف أنه كان لديه نفس الشعور حيال الغرفة، أما السيد إم وأبناؤه فقد كانوا يشعرون بالراحة فى هذه الغرفة فقد كانوا يندفعون فى هذه الغابة النحاسية لفحص شاشات القياسات دون أدنى قلق.



لاحظت فى أثناء مغادرتنا القبو قطعتين طويلتين من القماش الأبيض تهبطان إلى القبو من خلال شق طولى فى السقف. مرت هذه القطع العريضة من القماش فى غلاية مسطحة كبيرة ثم فى جهاز بدا لى كماكينة تجفيف مثل المكن الذى يستخدم فى مصانع الورق، ثم رجعت مرة أخرى إلى شق طولى آخر فى السقف عن طريق بكرات رافعة.

أجابنى، «هيا، سأريك غرفة نوم السيد إم وزوجته أولا».

صعدنا إلى المنزل ودخلنا غرفة نوم بالدور الأول. كانت مؤثثة بذوق مغربى رائع بالرغم من تحفظاتى على الذوق المغربى الذى لا يروق لى كثيرا. ولكن بعيدا عن هذه الملاحظات، لم ألحظ أى شىء غريب فى الغرفة فى البداية.

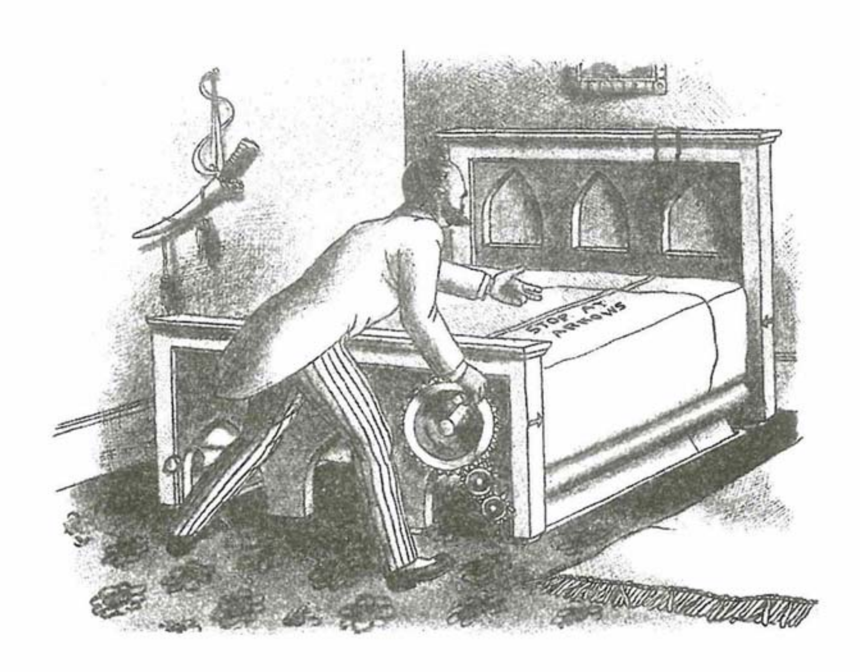
سألت، «أهناك أجهزة متطورة فى هذه الغرفة؟».

أجابنى السيد إف قائلا، «كانت السيدة إم تعمل كممرضة وبالنسبة للممرضات يصبح ترتيب الفراش جزءًا مملاً جداًّ من عملهن بعد فترة. إذا فكرت فى الأمر، فستجد أن الممرضات فى المستشفيات الكبيرة يقضين وقتا طويلاً فى أثناء عملهن فى ترتيب الفراش. من الطبيعى أن يسأَمن من هذا العمل سريعا خاصة إذا أصبحوا أغنياء فجأة مثل السيدة إم. لذا فقد ساعدنا جميعا السيدة إم على الحصول على هذا الفراش المذهل ذى الملاءات المتجددة».

سألت على الفور، «كيف يعمل؟».

اتجه السيد إف لمكتب السيدة إم وفتح الدرج العلوى وسحب منه ذراعًا للتدوير. أدخل بعد ذلك هذا الذراع فى فتحة فى الحافة الخشبية الأمامية

للفراش وطلب منى أن أشاهده جيدا. بدأ فى لف الذراع فبدأت الملاءة تتحرك عبر الفراش على بكرات متجهة إلى الحافة الجانبية للفراش ومنها إلى الأرض. شرح لى السيد إف ما يفعله،» عندما أقوم بلف هذه الذراع تمر الملاءة من خلال الحافة الجانبية ثم تتخلل الأرض لتصل إلى القبو حيث تمر بالغلاية التى يتم فيها عملية الغسل ثم تمر بعد ذلك فى بكرات مسخنة بالبخار لكيها، ثم ترتفع مرة أخرى عن طريق الشق المؤدى لأرض غرفة النوم فتعبر من هذا الشق إلى الحافة الجانبية الأخرى للفراش على بكرات حتى تصل إلى سطح الفراش. هذه الملاءات المتجددة محددة على حسب عرض الفراش ففى كل صباح تلف السيدة إم هذه الذراع حتى تمر العلامة المحددة لعرض الفراش من جانب إلى الجانب الآخر. بهذه الحركة تقوم



بتشغيل ماكينة الغسل وتحول الحرارة من الفرن إلى ماكينة التجفيف وبينما تكون قطعة من الملاءة فى مرحلة الكى، تكون قطعة أخرى من الملاءة ساخنة و جديدة على الفراش».

«مذهل! صرخت ثم سألته، «ماذا عن البطاطين؟»،

قال السيد إف، «بالله عليك يا رجل، لا نستخدم البطاطين أبدا هنا. إن جزيرتنا على بعد بضعة أميال من خط الاستواء».

أجبته، «نعم، هذا صحيح. هل قمتم بابتكارات لكل غرفة بهذا المنزل؟».

«نعم. اختارت كل أسرة غرفة للعمل بها بالرغم من أن أسرًا متعددة عملت معًا فى بعض الغرف. كنا جميعا مهتمين بغرفة الطعام التى سأريك إياها الآن. هناك مشاكل عدة، كما تعلم، مصاحبة لإطعام ثمانين شخصا حتى لو كان هذا يحدث مرة واحدة شهريا. هناك أربعة أفراد بكل أسرة والأطفال تساعد الآباء كثيرًا، ولكن مع هذه المساعدة يمكنك أن تتخيل المشاكل المرهقة المصاحبة لتحضير فطور بكميات كبيرة ثم رفعه عن المائدة ثم تحضير غذاء ثم رفعه ثم تحضير العشاء وهكذا. ما رأيك بغرفة الطعام هذه؟» سألنى السيد إف.

نظرت فى أرجاء الغرفة التى دخلناها لتونا. كانت غرفة كبيرة جدًا ولكنها كانت بلا أثاث. كانت الأرضية ملمعة بشكل جيد وكان بها تصميم لأشكال أسطوانية وكان بها أسطوانة كبيرة تحيط بها أربع أسطوانات أصغر فى الحجم. كان هذا التصميم مكررًا عشرين مرة على أرضية الغرفة. كانت هناك لوحات معلقة على الحوائط تمثل مشاهد لرجال عرب يهاجمون فى معركة على ظهر جيادهم كما كانت هناك صورحكام ووزراء وسلاطين.

أجبت السيد إف قائلا، «تبدو هذه الغرفة كقاعة مغربية للرقص. أين الكراسى وأين الطاولات؟».

«هذا هو ما أقصده.» أجابنى السيد إف، «أليست الغرفة هكذا سهلة التنظيف يا بروفيسور شيرمان؟ دون طاولات يصعب كنس الأرض من تحتها أو كراسى تعوق طريقك».

«رائع.» أجبته، «و لكن أين تجلسون للأكل؟».

رأيت الإثارة تشع من وجه السيد إف الذى قال، «شاهد هذا.» ثم خرج إلى الردهة حيث سحب رافعة كبيرة جدًا. عاد السيد إف بجانبى واصطحبنى لزاوية الغرفة البعيدة وقال لى، «انظر إلى الأرض.» فنظرت. خرجت فجأة نفخات من البخار من الأسطوانات المستديرة بالأرض ثم بدأت هذه الأسطوانات فى الارتفاع ببطء وكأنها حديقة مخيفة مليئة بنبات عش الغراب وسرعان ما خرجت مجموعات الأسطوانات من الأرض مشكلة مجموعات من الطاولات المستديرة إحداها محاطة بأربعة كراسى مسطحة بلا ظهر.

قال لى السيد إف،» يسهل التنظيف جدًا هنا فبعد أن يقوم إم-1 وإم-2 بإزالة الأطباق وطقم الفضية وأغطية الموائد، يخفض السيد إم الكراسى والطاولات مرة أخرى بسحب الرافعة للأسفل، ثم يبدأ هو والسيدة إم فى تنظيف الأرضية؛ لذا بحركة واحدة من هذه الرافعة يحتفظون بالكراسى والطاولات لمدة شهر فى مكان آمن».

«رائع! ماذا عن بقية الغرف فى منزل العجائب المغربى هذا؟».

أجابنى،» غرفة المعيشة ليست مطورة على الإطلاق، ولكنى سأريها لك إذا أردت».



«دلنى عليها».

أخفض السيد إف صوته كثيرا وشرح لى أن السيد بى والسيد كيو والسيد أر كانوا فقراء ولكنهم كانوا علماء مبتكرين؛ ولذا اختارهم السيد إم للقدوم إلى كراكاتوا. إنهم جميعًا مغرمون بالقوة الجبارة والاستخدامات المتعددة للطاقة الكهربية فهم الذين أصروا على تركيب مولد كهربائى لمحرك البخار المرفق به أشياء كثيرة بالفعل فى القبو. أعتقد أن الثروة

التى حصلوا عليها حديثا قد أثرت بعض الشىء على عقولهم. لم يكن السيد إم مشغوفًا بأن يترك لهم غرفة المعيشة لتكون تحت تصرفهم فهو يعتقد أن أفكارهم ربما تكون متقدمة أكثر من اللازم حتى فى كراكاتوا. لكنه لم يملك أن يفعل شيئا فهو قد سلم بالفعل غرفة لكل أسرة من الأسر الأخرى للعمل فيها؛ لذلك كان مجبرًا أن يسلم غرفة المعيشة لهؤلاء المخترعين المتبقين».

«وماذا فعلوا بها؟».

«وصلوا الكراسى والأريكة بالكهرباء.» أجابنى السيد إف بصوت هامس وكأنه يصف لى عملاً قام به شخص مجنون.

«لماذا؟» صرخت سريعًا وأنا على وشك دخول غرفة المعيشة.

«يقولون إنهم فعلوا هذا حتى يسهل التحرك بها فى الغرفة بسهولة. دعنى أريك كيف تعمل ».

لم أكن متلهفا لدخول هذه الغرفة الكهربائية، ولكنى شعرت أنه من الأفضل أن أتبع السيد إف أينما ذهب حتى أشعر بالأمان. كانت الأرضية مصنوعة من الفولاذ وكانت جميع الكراسى تبدو غريبة جدًا.كان بالذراع الأيسر لكل كرسى (كانت الكراسى ذات ذراعين) ذراع دفة مثل ذراع الدفة الموجودة بالمركب الشراعى. كان بالكراسى عجلات أيضًا، وكان هناك قضيب أعلى ظهر الكرسى ممتد حتى السقف، وفى نهايته فرشاة فولاذية تلمس السقف وكان السقف مغطى بشبكة من الأسلاك.

يقول العلماء الذين قاموا بتطوير هذه الغرفة أن المرء يبذل مجهودا كبيرًا فى تحريك الكراسى فى أرجاء الغرفة أو السير من الكرسى الذى يجلس

عليه إلى النافذة أو خزانة الكتب أو الطاولة لإحضار غليونه وهكذا. لقد اكتشفوا أن بعض الناس يسيرون مسافة نصف ميل غير ضرورية يومياً في أثناء تحركهم حول غرفة المعيشة. من المفترض أن توفر هذه الكراسى هذا العناء على الناس. انظر» قال هذا ثم جلس على كرسى ذى ذراعين وسحب ذراع الدفة أمامه وقال « سوف أتحرك الآن حول طاولة لعب الورق ثم أتوقف عند النافذة دون أن أبذل أى مجهود. هناك زر فى نهاية هذا الذراع. سوف أضغط عليه حتى يبدأ الكرسى فى التحرك. سوف أقود الكرسى مستخدماً ذراع الدفة ثم أوقفه بنزع أصبعى عن الزر. هل أنت مستعد؟».

«هيا، ابدأ» قلت هذا ورجعت إالى الوراء فى الزواية. ضغط السيد إف على الزر فى نهاية الذراع فاندفع الكرسى حول الطاولة بسرعة خطيرة ثم توقف أمام النافذة فجأة حتى إن السيد إف قفز من أعلى الكرسى إلى خارج النافذة المفتوحة.

تبع هذا وابل من الشرار الأزرق نتيجة احتكاك الفرشاة بالسقف الملىء بالأسلاك.

تسلق السيد إف النافذة إلى داخل الغرفة مرة أخرى وهو منقطع النفس وعلى وجهه نظرة حزينة وقال لى» كما ترى،ليس هذا ما قد نطلق عليه تطويراً فى غرفة المعيشة».

سألته « ألا يمكنهم تبطئته قليلاً؟»

«العلماء الذين صمموا هذه الأجهزة المميتة يصرون أنهم يستطيعون تبطئته، ولكن السيد والسيدة إم قد مرا بتجارب أليمة كثيرة بهذه الغرفة مثل



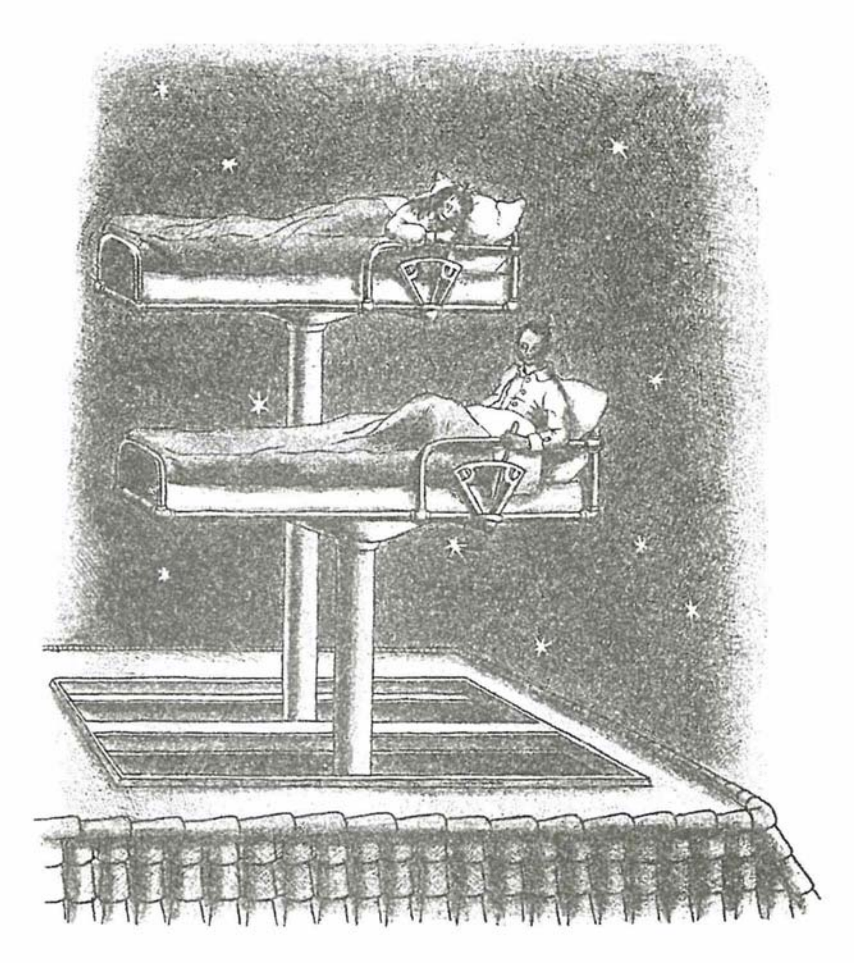
الإصابة بالصدمات الكهربائية وحوادث التصادم حتى إنهم رافضون تماماً الاحتفاظ بأى كراسى كهربائية من أى نوع. على الرغم من ذلك فإن أولادهم إم-1 وإم-2 مغرمون بهذه الكراسى؛ لذا فقد خصص لهم السيد والسيدة إم هذه الغرفة وحولوا غرفة اللعب الخاصة بهما إلى غرفة معيشة. يقضى أطفال الجزيرة ساعات طويلة يومياً فى قيادة هذه الكراسى سهلة القيادة فى أرجاء الغرفة والصراخ والاصطدام ببعضهم البعض. تكفى الأريكة أربعة أشخاص وهى أسرع قطعة أثاث فى الغرفة. لا يسعدنى التنبؤ بما سيكون عليه هذا الجيل الصغير الآلى».

وافقته على أن زمن الكهرباء الذى كنا على أعتابه حقًّا مخيف.



«كيف تبدو غرف نوم إم-1 وإم-2؟ أبها ملاءات متجددة أيضًا؟» سألت السيد إف.

أجابنى: «لا، فبعد أن شاهدا الكراسى والطاولات التى قمنا بتركيبها فى حجرة الطعام، قاما بتصميم أسرتهما بأنفسهما فهناك بكل سرير رافعة تجعله يرتفع أو يهبط. تطل غرفتهما على مناور كما هو الحال بمعظم الغرف بالطابق العلوى بالبيوت المغربية فيمكنهما رفع أسرتهما فى مستوى السقف حتى يشاهدا النجوم فى السماء خلال المناور، أو يمكنهما فتح هذه المناور والخروج منها إلى سطح البيت فى الليالى الحارة وأقصى ارتفاع لهما هو أعلى من السطح بقليل. يمكنهما أيضًا خفض أسرتهما من خلال فتحة فى



أرضية الغرفة حتى يصلا إلى دورات المياه بالطابق الأسفل. نحن فى حيرة من أمرنا، لا نعلم أى نوع من الأسرة نختار حتى نطبقه بمنازلنا: فراش السيد والسيدة إم ذو الملاءات المتجددة أم فراش إم-1 وإم-2 الشبيه بالمصعد. كما ترى فإن النموذجين بهما خصائص ممتازة.

«الغرف الأخرى بالمنزل بها أجهزة متطورة أيضًا فعلى سبيل المثال، هناك حوائط مقسمة إلى وحدات دوارة مزينة فيمكنك تغيير ديكور الغرفة بالكامل عن طريق الضغط على زر واحد، هناك أيضًا مطابخ بها أجهزة لغسل الصحون وأخرى للتجفيف، هذا البيت به كل وسائل الراحة التى يمكنك تخيلها. لقد شاهدت الآن جوانبه الأكثر إثارة».

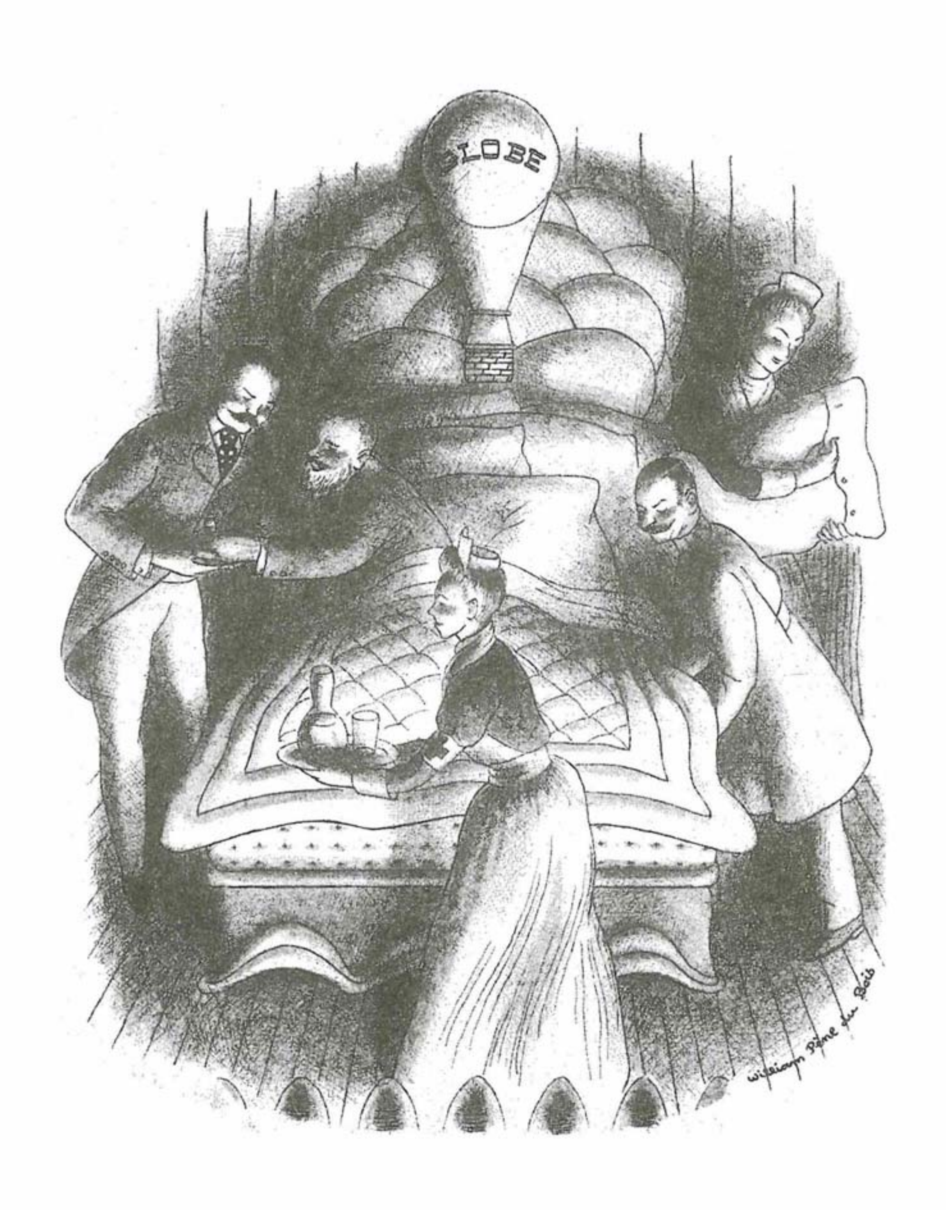
غمغمت قائلاً: «إنى عاجز عن الكلام.» ولكن بعد أن بدأت فى التفكير فى كل ما رأيته، صرخت فجأة بصوت مرتفع وقلت، «إنى رجل منطاد فدعنى أعترف لك بأن هذه الدقة تصيبنى بالملل فأنا، على سبيل المثال، أفضل غرفة الطعام الأنيقة الرائعة المليئة بالمرايا كثيرا عن ذلك البستان الآلى لنبات عش الغراب الذى زرناه فى هذا المنزل. إنه شىء غريب حقًّا أن يتجاهل التقدم المتطلبات اللازمة للأناقة والرقى التى تتطلب وقتًا أطول.لا أرى أى داعٍ لاستعجال أى جزء من حياتكم اليومية بما أنكم تنعمون بكل هذا القدر من الهدوء ووقت الفراغ».

أجابنى السيد إف قائلا: «قد يتفق معك معظمنا تماماً. يتفق معك الفنانون بيننا تماماً أما العلماء فهم يعبرون عن أنفسهم بطرق مختلفة. إنك رجل منطاد، سأريك الابتكارين الباقيين اللذين صممناهما فى الجزيرة إن كنت مهتما. أحدهما ـ وهو ما نسميه منطاد الطوافة السعيدة الشبيه بلعبة الطوافة السعيدة التى يركبها الأطفال بمدن الألعاب ـ يجمع بين الرياضتين الأكثر اعتماداً على الطبيعة، وهما رياضة ركوب المنطاد ورياضة ركوب المراكب الشراعية؛ ولذا فسوف تروق لك كثيراً. تعتمد حياتنا وحياة عائلاتنا هنا فى الجزيرة على نجاح هذه الابتكارات. لقد رأيت منطادك جلوب، ولذا أعلم أنك رجل منطاد بارع. إنى متأكد أن المنطادين اللذين اخترعناهما سيروقان لك كثيراً.

«أيتها السيدات والسادة،» أعلن البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان، «قبل أن أخبركم عن هذين الابتكارين، فلنأخذ فترة استراحة لمدة خمس عشرة دقيقة وهى فرصة جيدة لكم لاستيعاب الاختراعات الكثيرة التى أخبرتكم عنها وفرصة جيدة لى لأستريح قليلا. أعتقد أن آخر جزء من قصتى هو أكثر أجزائها إثارة فكما تعلمون من قراءتكم للجرائد فى أثناء الشهر الماضى، فقد اقتربت أحداث قصتى من التوقيت الذى انفجرت فيه جزيرة كراكاتوا الرائعة. أشكركم شكرا جزيلا على حسن استماعكم لى حتى الآن. سأخبركم لدى عودتكم عن اختراعين فوق العادة، كما سأخبركم عن الانفجار التاريخى الذى حدث فى هذه الجزيرة. شكرا لكم».

قضى الجمهور ثلاث دقائق من فترة الاستراحة يصفقون ويهللون للبروفيسور، ثم خرجوا من القاعة للحصول على بعض الراحة لأجسادهم والحصول على هواء منعش. سكب البروفيسور شيرمان لنفسه كوبا من الماء وشربه ثم تمدد على الفراش ونظر إلى الأعلى وهيأ نفسه لقضاء فترة الاستراحة فى راحة واسترخاء.




GLOBE
william Pène du Bois

الفصل الثامن

الطـوافـة الطائـرة

فى أثنـاء الاستراحة، اندفع المحافظ وكبير جراحى مستشفى سان فرانسيسكو إلى جانب فراش البروفيسور شيرمان للاطمئنان عليه. سألاه فى وقت واحد، «هل تشعر بالتعب؟» ثم سأله المحافظ، «أتفضل أن تستكمل غدا؟» وسأله كبير الجراحين، «كيف تشعر؟ أهناك أى شىء نستطيع أن نفعله لك؟».

أجاب البروفيسور، «أنا بخير».

سأله كبير الجراحين، «أتريد أن تغير الممرضات الماء فى غرفتك؟».

«لا يهم فطعمه جيد بالنسبة لى».

سأله المحافظ، «هل أحضر لك أى شراب منعش لتجديد نشاطك؟».

قال البروفيسور: «إن كنت مصرا». ركض المحافظ وهرول مسرعا إلى الخارج بينما انشغل كبير الجراحين بتسوية اللحاف على فراش البروفيسور. من المفترض أنه كان من الواضح للجميع، وبخاصة لشخص فى أهمية المحافظ أو كبير الجراحين أن كل ما كان يرغب فيه البروفيسور شيرمان فى أثناء فترة الاستراحة التى طلبها هو نيل قسط من الراحة.

عاد المحافظ ومعه مقدار رشفة من الشراب فابتلعها البروفيسور فى رشفة واحدة ثم قال مبتسما وهو ينظر إلى المحافظ وكبير الجراحين، «أتعلمون يا سادة أننى أجد هذا الوضع فى غاية الطرافة؟ فمنذ شهر تقريبا، كنت مجرد معلم رياضيات عادى جدًّا وكان من المستحيل أن أتشرف بمقابلة أى منكما وها أنتما الآن تخدماننى وكأنكما خادمان خصوصيان متمرسان. شكرًا جزيلاً على اهتمامكما بى الذى يؤكد لى مدى روعة رياضة ركوب المنطاد فأنت لا يمكنك أن تعلم إلى أين ستأخذك الرياح ولا تتوقع الحظ السعيد الذى ستقودك إليه.» ثم صرخ قائلاً: «فلتحيا المناطيد!». رد المحافظ وكبير الجراحين ببعض الضحكات البلهاء ثم ابتعدا عنه.

عند هذا الوقت كانت الخمس عشرة دقيقة قد انقضت وشعر البروفيسور شيرمان بالرضا عندما رأى الجمهور قد عاد إلى مقاعده بهدوء وجلس بترقب لسماع بقية القصة فلم يصدر أى من هذا الحشد الكبير أى صوت. كانوا فى انتظار سماع نهاية حكاية البروفيسور الرائعة.

تأكد كبير الجراحين ـ كما فعل من قبل ـ أن البروفيسور كان مسنودًا بالوسائد فى وضع مريح، وذهب المحافظ ليقف بجانب فراش البروفيسور مرة أخرى. بينما ارتكزت إحدى يديه على ظهر الفراش، التفت المحافظ للجمهور وقال:

«إنه لشرف كبير لى أن أقدم لكم البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان مرة أخرى».

شكر البروفيسور المحافظ وتنحنح ثم استكمل حديثه:

قادنى السيد إف إلى أول اختراع قد وعدنى بأن يرينى إياه وهو منطاد الطوافة السعيدة. فى طريقنا إلى الاختراع، أخبرت السيد إف أن اسم الاختراع يشبه أسماء الألعاب بمدينة الملاهى فسألته، «ما وظيفة هذا الاختراع؟».

أجابنى السيد إف، «إنه جزء من مدينة الملاهى التى يصممها أطفال كراكاتوا لأنفسهم. تتراوح أعمار أطفالنا الآن بين عشرة أعوام وخمسة عشر عامًا. عند عودتنا من رحلاتنا بالبلاد الأخرى، يساعدنا الأطفال فى تفريغ حمولة سفينتنا باهتمام بالغ. وفجأة اتضح لهم منذ عام تقريبا أنها قد تكون فكرة جيدة أن تخصص بعض الحمولات التى نعود بها لهم وحدهم، فهم شركاء فى مناجم الماس أيضًا. وافقنا أن نخصص لهم حمولتين كل عام فاجتمع الأطفال معًا ليقرروا ما أفضل الأشياء التى يودون شحنها فى السفينة. هذه المدينة للملاهى التى بدءوا بالفعل فى بنائها هى نتيجة تخطيطهم وتصميمهم هم. منطاد الطوافة السعيدة هو من اختراعهم وتصميمهم بمساعدة صغيرة منا».

سألته: «أهناك أى مدرسة بالجزيرة؟».

«لا يتلقى الأطفال هنا أى تعليم رسمى. لقد علمناهم القراءة والكتابة وحاولنا أن نعلمهم بعض قواعد الرياضيات. لقد شاركوا جميعا فى بناء منازلنا العالمية- وهذا فى حد ذاته عملية تعليمية وتثقيفية، ولكن بشكل عام نحن فى أشد الاحتياج لوجود مدرسة هنا. هل تعمل بالتدريس؟ فى أى مجال حصلت على لقب بروفيسور؟».

تمتمت قائلا، «أنا بروفيسور فى علم الطيران وأقوم بتدريس مادة نظرية المنطاد فى...كلية «أخف من الهواء» بمدينة سان فرانسيسكو.

شعرت بالحرارة تتدفق فى وجنتى وأنا أروى هذه الكذبة الرائعة. لم أكن أرغب فى العودة للتدريس مرة أخرى فقد كان التدريس هو الشىء الذى قمت بهذه الرحلة للابتعاد عنه.

قال السيد إف: «إنه عمل مثير للاهتمام. لا أذكر أننى سمعت عن هذه المؤسسة التعليمية من قبل مما يبين كيف يمكن للمرء أن يفقد الاتصال تمامًا بسرعة شديدة.

دمدمت قائلا، «إنها من المؤسسات التى أنشئت حديثا. إنها حديثة جدًا. ثم غيرت الموضوع سريعا وسألته عن طرق التسلية الأخرى الموجودة بالجزيرة.

«حتى الآن، لم يتح لهم الوقت سوى بتصميم وبناء الطوافة السعيدة، ولكنهم قد خططوا لبناء المزيد من الألعاب. معظم الألعاب المعتادة التى تجدها بمدن الملاهى لا تناسب جزيرة كراكاتوا لارتفاعها عن أشجار الغابة مما قد يتسبب فى أن يراها أحد من المحيط. فى الحقيقة، نحن لا نركب الطوافة السعيدة إلا بعد أن نفحص الأفق بدقة لنتأكد من عدم مرور أى سفن بالأفق. أما إذا وجدنا أى سفن مارة فلا نركب الطوافة. أترى ذلك العمود المرتفع البعيد؟».

«نعم. » كان عمودًا مستقيمًا يتساوى عرض قاعدته بعرض قمته، وكان مسنونًا كلولب، وكان ارتفاعه يبلغ حوالى خمسة وسبعين قدمًا.

«هذا العمود جزء من لعبة الطوافة السعيدة فهو المحور الذى تدور حوله اللعبة حتى ترتفع بشكل لولبى».

سألته، «ألا يمكن رؤيته من المحيط؟».

«بلى ولكن رؤية عمود واحد ليس كافيا لجذب انتباه السفن المارة».

وصلنا إلى غابة صغيرة من أشجار النخيل تشبه كثيرًا الغابة المهندمة التى رأيتها فى اليوم السابق ولكن بدلا من نباتات الغابة، كان بها مروج جزت حديثا. سرنا فى هذه الغابة لمسافة مائة ياردة تقريبًا. حتى وصلنا إلى أرض مقطوعة الشجر حيث وجدنا بواسطتها الطوافة السعيدة. كانت هناك ثمانية قوارب حول قاعدة العمود موصولات ببعضها البعض فكانت مقدمة كل قارب موصولة بمؤخرة الأخرى. بدلا من مساند المجداف، كان بهذه القوارب حلقتان نحاسيتان تمر خلالهما أعمدة أفقية تلتقى جميعًا عند العمود الرأسى الأساسى حيث كانت موصولة بمحور كبير لحلقة نحاسية أخرى كبيرة ملتفة حول العمود، مكونة بذلك أشعة لعجلة عملاقة. كان كل قارب مغطى بقماش مشمع فنزع السيد إف القماش عن أحد القوارب وأرانى إياه. كانت مجموعة من القوارب الشراعية الثابتة التى تصلح تمامًا للملاحة. لم يكن هناك أى صارٍ بأى من المراكب ولكن كان هناك مكان له. على جانب كل قارب، كان هناك منطاد كبير فارغ من الهواء مطلى باللون الأزرق الفاتح الشبيه بلون السماء. فى جانب من هذه الأرض المقطوعة الشجر، كان هناك كوخ صغير مصنوع من خشب البامبو، والذى ذكرنى ببيتى بالمنطاد. كان معلقًا على جدرانه الخارجية ثمانية خراطيم من الحرير ملفوفة جيدا ومرصوصة جنبا إلى جنب، كما كان هناك جرس بأعلى هذا الكوخ الصغير يمكن الوصول إليه عن طريق تسلق سلم خشبى.

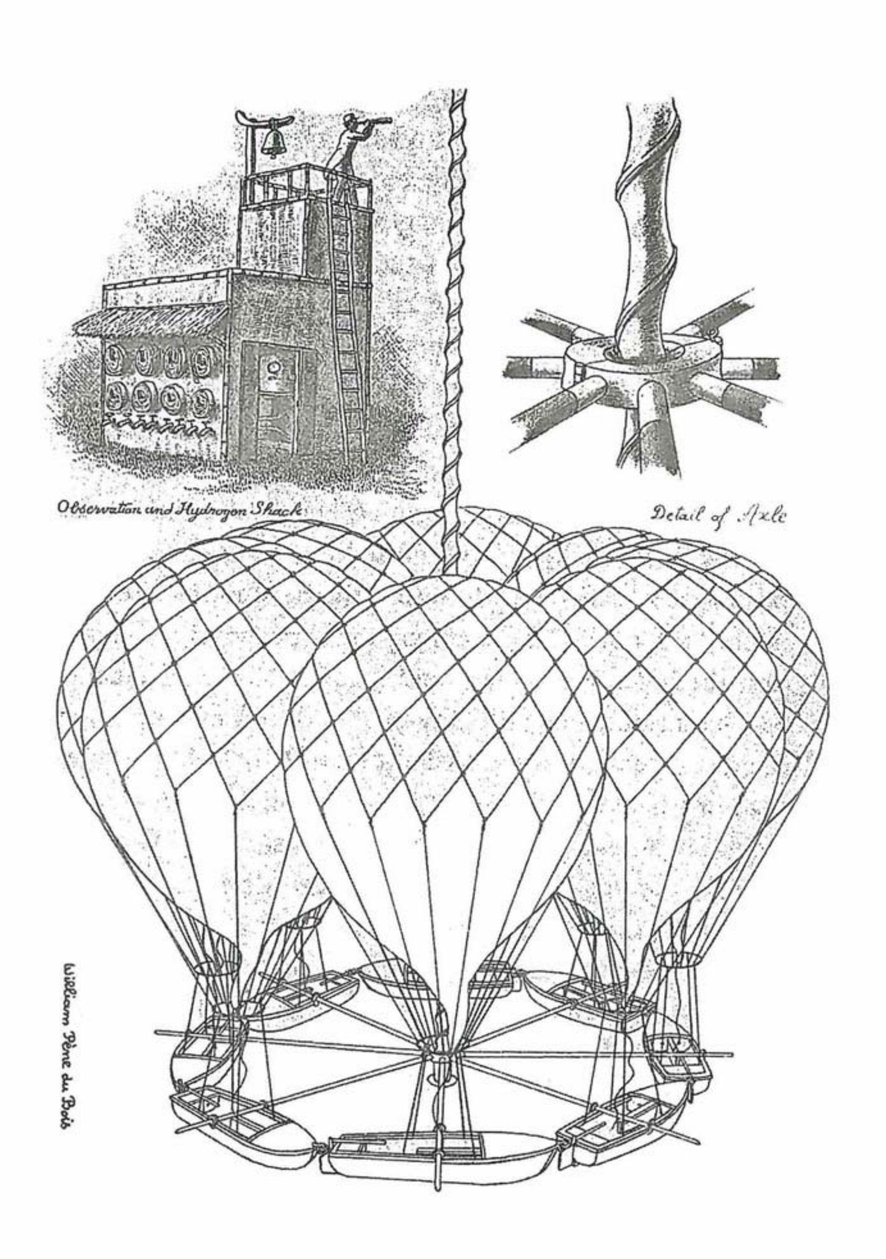
سار السيد إف تجاه هذا الكوخ ودخله وخرج منه مرة أخرى ومعه منظار، ثم تسلق السلم الخشبى إلى سطح الكوخ حيث تفحص الأفق بدقة بحثا عن أى سفن مارة. سألنى، «هل تود أن تغامر وتقوم بجولة بها؟ إن الطقس مناسب جدًّا اليوم».

«كرجل منطاد متحمس، أقبل بمنتهى الحماس ولكن كرجل فى السادسة والستين، لابد أن أصارحك بأنى متخوف بعض الشىء. هل هذا المنطاد آمن؟».

أجابنى السيد إف: «بالطبع. أتظن أننا سنسمح لأولادنا أن يركبوا اختراعا فيه خطر عليهم؟».

أجبته بعد أن طمأننى، «لا أظن ذلك. إنى واثق تمامًا أن أى اختراع يستخدم فيه المنطاد وتحركه الرياح لا يمكن وصفه بأى شىء سوى أنه ممتع».

قال السيد إف: «حسنًا إذن». ثم قرع الجرس أعلى الكوخ. تسبب هذا الجرس فى نفس رد الفعل من الأطفال الذى يتسبب فيه جرس الانصراف بالمدرسة إن لم يكن رد فعل الأطفال له أكثر سعادة وأكثر إثارة فقد أحاط بنا الأطفال سريعا عند سماعه. لم ينتظر الأطفال أى تفسير أو دعوة ففور وصولهم للأرض التى كنا بها، انشغلوا تمام الانشغال بتجهيز لعبة الطوافة السعيدة، فقد بدءوا بنزع القماش المشمع عن القوارب ولفه بنظام. ركض أربعة من الأطفال إلى الكوخ حيث قاموا بتجهيز آلة الهيدروجين والمضخات. قام ثمانية أطفال آخرون بإحضار الخراطيم الحرارية وأرفقوها



Twitter: @alqareah

بآلة الهيدروجين من طرف وبالمناطيد من الطرف الآخر. قاموا بنشر المناطيد وفردها برفق على الأرض وقاموا بوضع الحبال والشباك التى تربطهم بالقوارب حولهم وبجانبهم بدقة حتى لا تتشابك هذه الحبال عندما تمتلئ المناطيد بالغاز. بدأت المناطيد تمتلئ بغاز الهيدروجين ببطء وكانت المناطيد الأقرب للمضخات تمتلئ أسرع من الباقين. شاهد الأطفال هذه المناطيد وهى ترتفع عن الأرض ببطء، وكانوا يسوون الحبال باستمرار حتى لا تتشابك معا. سرعان ما امتلأت كل المناطيد بالهيدروجين وأصبحت مشدودة فوق القوارب التى كانت مربوطة بالأرض. حضر الأربعون طفلاً جميعهم وكانوا يعملون بجهد فى تحضير الطوافة السعيدة على الرغم من أنه لم يكن هناك مكان باللعبة إلا لأربعة عشر طفلا فقط. كان كل قارب يتسع لفردين لذا كان مجموع المقاعد بالقوارب ستة عشر مقعدًا، ولكنى والسيد إف كنا سنشغل مقعدين منهم. لم يتجادل الأطفال حول أدوارهم فى ركوب اللعبة فمن الواضح أنهم كانوا يتبعون جدولا للركوب بنظام. لاحظت أن بى-1 وبى-2 لم يكونا من ضمن الأطفال التى ركبت القوارب بعد تجهيزها. أعتقد أنهما لم ينضما لهم لأن هذا اليوم كان يوم بى من شهر الحمل؛ ولذا كان لديهما الكثير من العمل للقيام به فى المطعم البريطانى بمنزلهما. ركبت فى قارب مع إف-1، ولد السيد إف مع طفل آخر فى القارب المقابل لقاربنا من الناحية الأخرى من العمود. هكذا قال إف-1. «سيساعد هذا على حفظ توازن الطوافة السعيدة».

وقف طفلان بجانب كل قارب حيث قاما بفصل خراطيم الهيدروجين الحريرية بعد أن ركبنا كلنا بالقوارب وقاما بلفها مرة ثانية بالكوخ حيث

علقاها بحذر ثم عادا لنا مرة أخرى وأمسك أحدهما حبلا مربوطا بمقدمة القارب وأمسك الأخر حبلاً مربوطًا بمؤخرته. كان مع أحد الأطفال الراكبين بالمنطاد مسدس شبيه بالمسدس الذى يستخدم فى إعلان بدء السباق بين العربات.

وقف هذا الطفل وصاح بصوت مرتفع قائلا، «هل الجميع مستعد؟».

صاح الأطفال بصوت صاخب قائلين، «نعم.» كما اندمجت معهم أصواتنا أنا والسيد إف. عند سماع هذه الإشارة، قام الأطفال الواقفون بجانب القوارب بشد الحبال التى كانوا يمسكون بها لفك القوارب من الأرض ثم قاموا بالركض حول العمود فى اتجاه المناطيد لإعطائنا دفعة البداية.

انضمت القوارب معًا لتشكيل شكل إطار عجلة كبيرة بينما شكلت العمدان التى تخللت مساند المجداف النحاسية بالقوارب أشعة هذه العجلة. كانت هذه الأشعة ملحقة بحلقة نحاسية كبيرة مشكلة محور هذه العجلة. بدأت الطوافة السعيدة العملاقة فى الدوران حول العمود الذى يبلغ ارتفاعه خمسة وسبعين قدمًا، والذى كان يشير إلى السماء بشكل لولبى. قامت المناطيد برفع القوارب حول ذلك العمود حتى ارتفعت إلى الهواء. كلما زادت الطوافة ارتفاعا زادت السرعة أيضًا. كان العمود قد تم تشحيمه بحيث جعلنا نزداد سرعة كلما اقتربنا من قمة العمود. سألت إف -1 عما سيحدث عندما نصل إلى قمة العمود قائلاً: «هل سنقوم بتفريغ المناطيد من الغاز سريعا ونقوم بالدوران حول العمود إلى الأسفل فى الاتجاه المعاكس؟».

أجابنى إف-1: «لا بالطبع. سنقوم بالطيران فى الهواء».

«و كيف سنبقى العجلة مستقيمة ونحن فى الهواء؟».

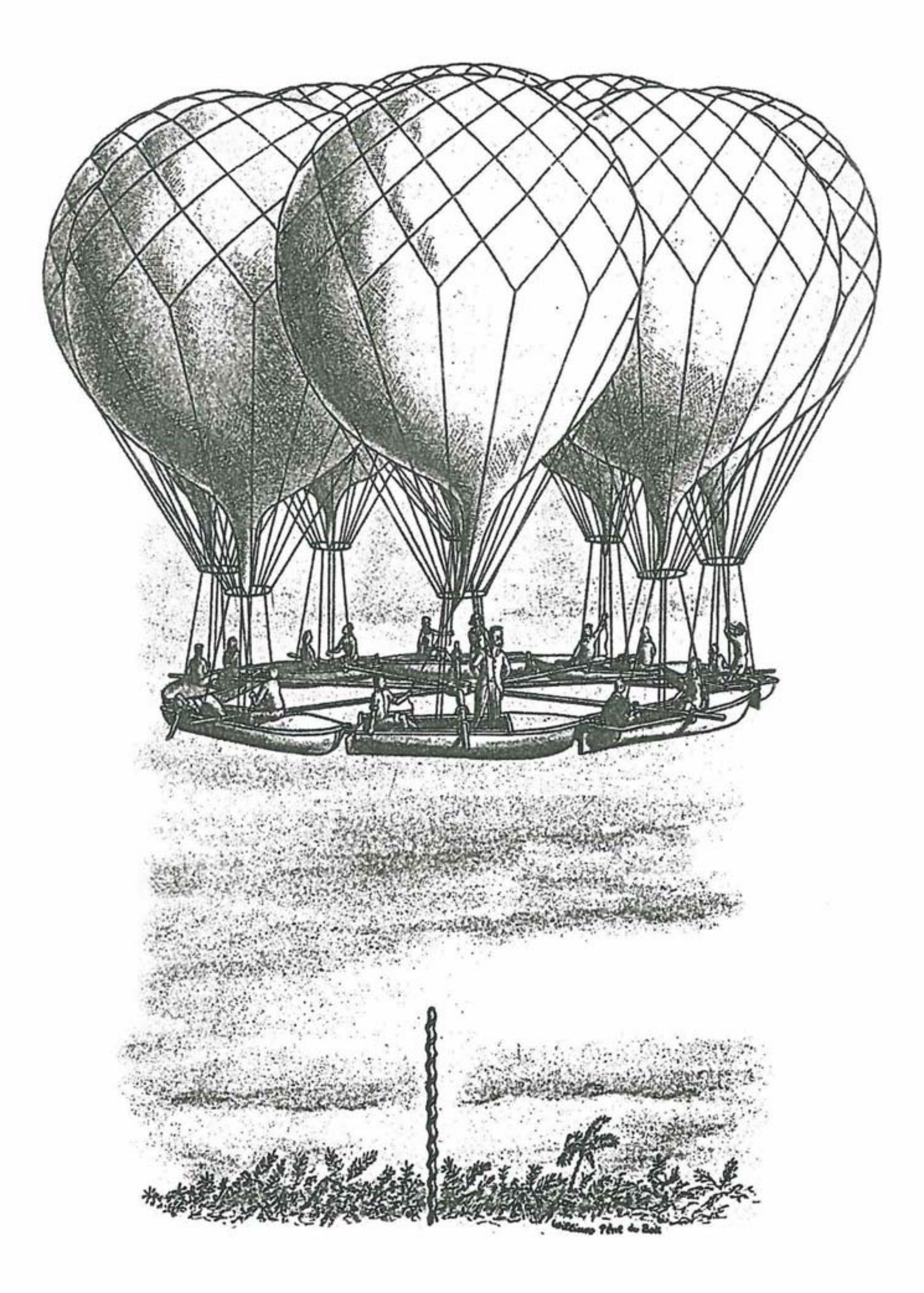
أجابنى: «سترى».

وصلنا سريعا إلى قمة العمود، اندفعت الطوافة السعيدة بقوة إلى الأعلى فور انطلاقها من العمود وبدأت الرياح فى حملنا فوق الجزيرة على الفور. كنا نزداد ارتفاعا بسرعة، وكنا بالطبع مازلنا ندور بسرعة كبيرة. كانت هذه الجولة أكثر متعة وإثارة من أى جولة قمت بها بأى منطاد من قبل. رأيت الآن كيف يحافظون على تساوى مستوى ارتفاع القوارب، فقد كان أحدالأطفال يمسك بكل قارب بالرباط الموصل للمنطاد الخاص بقاربه، وكلما ارتفع قارب عن مستوى القوارب الأخرى كان هذا الطفل يقوم بسحب الرباط حتى يطلق بعض غاز الهيدروجين من المنطاد حتى يعود القارب إلى نفس مستوى الارتفاع.

قلت لإف-1، «إن كنتم مضطرين للتخلص من الغاز للحفاظ على مستوى ارتفاع موحد للطوافة السعيدة فلن يمكنكم القيام سوى برحلات قصيرة بها».

أجابنى قائلا، «هذا صحيح فتحديد مدة رحلاتنا يعتمد على أشياء كثيرة مثل حالة الطقس وتوزيع الأوزان بالقوارب وتحكمنا بالأربطة الموصلة بالمناطيد، ولكن كما تعلم، فقد قمنا ببناء منطاد الطوافة السعيدة للقيام برحلات قصيرة للمتعة وليس للسفن».

قلت، «نعم، بالطبع».



كانت الطوافة السعيدة تتجه إلى الجبل واتضح لى أننا سنحلق فوقه فسألت إف-1 إن كان هذا يمثل خطرا. أجابنى، «إنه لا يمثل خطرا على قدر ما يمثل حظنا السيئ لأن هذا يعنى إن رحلتنا ستكون قصيرة».

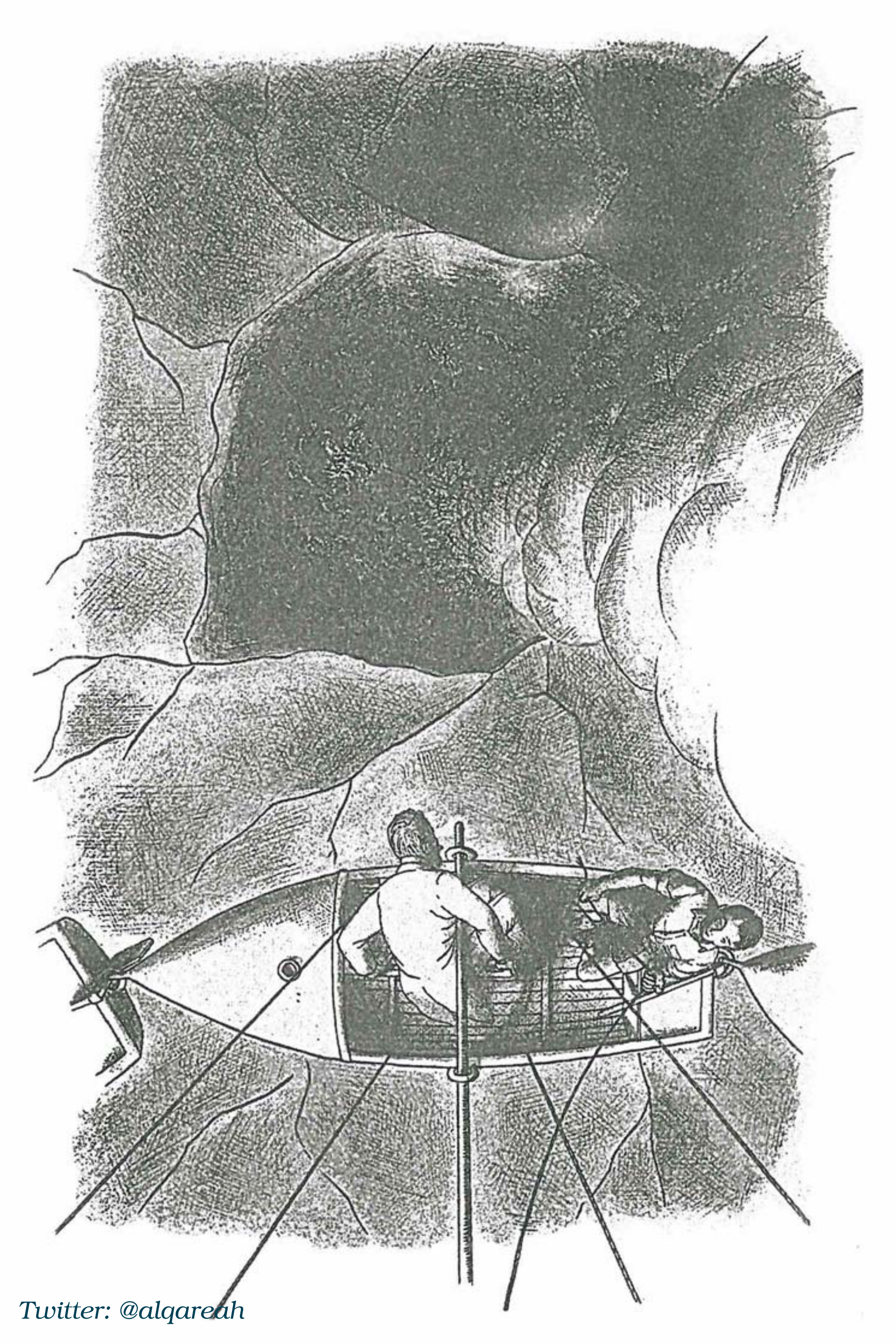
سألته، «لماذا؟».

«لأن فوهة الجبل البركانية مليئة بالهواء الساخن الذى يشكل نوعا من الفراغ. عندما نحلق فوق الفوهة، يقوم بامتصاص الطوافة إلى الأسفل بعنف ولذا نستخدم دائما الكثير من الغاز للتحكم بها والحفاظ على تساوى ارتفاع القوارب».

سألته، «أليس هذا خطرا؟».

أجابنى إف-1 ، «لا، فعندما نصل إلى الجبل، فسنكون قد ارتفعنا بشكل كاف لتجنبه. الخطر الوحيد برحلتنا هو الهبوط على الأرض أو الجبل أو فى أسوأ الأحوال بداخل الجبل فى حالة هدوء الرياح. إن كراكاتوا جزيرة صغيرة وإن كانت الريح نشطة فستحمل الطوافة إلى البحر. لقد قمنا ذات مرة برحلة فى يوم كانت فيه الرياح هادئة فى الأيام الأولى لنا على الطوافة فبعد أن ارتفعنا إلى الهواء وقمنا بالدوران فى الهواء لفترة، بدأنا فى الهبوط بالتدريج حتى هبطنا فى غابة من أشجار النخيل. لم يصب أحد بأذى، ولكن بعض القوارب قد تخدشت كما تقطع أحد المناطيد. منذ ذلك الحين، لم نقم برحلات بالطوافة إلا فى حالة وجود رياح شديدة».

كنا نقترب من الجبل فاتكأت على جانب القارب حتى أرى فوهة البركان. كان بداخلها دخان رمادى كثيف يزحف فى أرجائها حتى أنى شعرت أنى أنظر



إلى حفرة مخيفة مليئة بالأفيال. عندما أصبحنا فوق الجبل مباشرة، أصبح الجو مليئا بالهواء الساخن المحمل بالغازات الكبريتية فبدأت الطوافة بالتقلب بعنف فوق الفوهة وقام الأطفال المسئولون عن رباط المناطيد بمراقبة القوارب المقابلة عبر العجلة العملاقة التى تكونها القوارب حتى يتمكنوا من الحفاظ على توازن وثبات الطوافة. ملت على جانب القارب وأنا متشبث به حتى أنظر إلى فوهة البركان مباشرة. رأيت خلال المساحات التى كان قد هدأ بها الدخان بعض الشيء بحيرة من الحمم البركانية الذائبة الكثيفة فى حالة من الغليان والبقبقة البطيئة. كان هذا المشهد مخيفًا وباعثًا على الغثيان. فور إن ملت على جانب القارب اندفعت الطوافة فجأة إلى الأسفل ثم تمايلت من جانب إلى آخر عندما حافظ الأطفال على ثباتها مرة أخرى. لابد أنى أخذت نفسًا عميقًا من شدة خوفى فامتلأت رئتاى فجأة بالدخان الكبريتى الساخن. كانت الطوافة مازالت تدور فى الهواء بسرعة كما كانت تهتز وتتحرك بشدة فعدت برأسى مسرعًا داخل القارب وأغمضت عينى وتمددت فى باطن القارب حيث كان ما زال بإمكانى سماع قعقعة الجبل ممزوجة بهسهسة غاز الهيدروجين الخارج من المناطيد وأعتقد أنى تقريبا شعرت بالغثيان وهذا ما كان سيشعر به أى شخص فى مكانى. سرعان ما عبرنا الجبل وعدنا للهواء الهادئ النقى مرة أخرى فجلست بالقارب وشعرت بتحسن كبير.

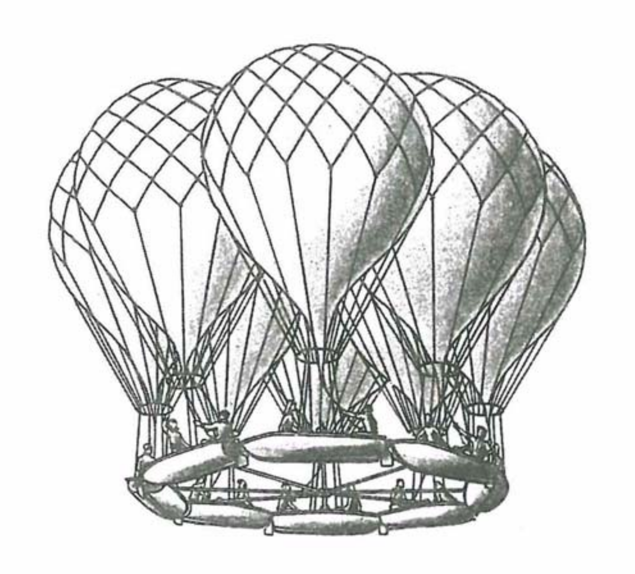
قال لى إف-1 الذى رأى أنى كنت على وشك فقدان الفطور البريطانى الذى تناولته بالصباح،» دعنى أصارحك يا سيدى بأنى قد شعرت بالغثيان أيضًا هذه المرة. يبدو أن الجبل عنيف الحركة اليوم على غير عادة. أتمنى ألا تكون هذه إشارة لحدوث شيء غير سار».

اعتبرت كلامه تعليقًا من رجل منطاد صغير ليواسى به رجل منطاد كبير جعل من نفسه أضحوكة فأخبرته أنه لم يكن هناك مبرر لتصرفى هكذا.

كان مشهد المحيط الهادئ الرائع يمر أمام أعيننا نصف الوقت كما كنا نستطيع أن نشاهد جزيرة كركاتوا بدقة ونحن نحلق فوقها كلما دارت الطوافة السعيدة. كانت الجزيرة تبدو رائعة من الأعلى، فقد كانت الحياة النباتية تبدو غنية ودافئة وناعمة الملمس كما بدا الجبل من أعلى مخيفًا ومثيرًا. بدت البيوت الممثلة لشعوب العالم وكأنها بيوت للدمى فى مروج مصنوعة من اللبادة كما بدا البيت الزجاجى الكراكوتوى وكأنه جوهرة متلألئة. كان من السهل رؤية الفرق بين الأراضى بداخل الجزيرة التى تم جزها وحلقة الغابة المحيطة بالجزيرة التى لم يتم جزها من قواربنا. كانت الجزيرة تبدو وكأنها حديقة ذات تصميم خاص محاطة بسياج كثيف من الشجيرات.

بعد تحليقنا لمدة خمسة وثلاثين دقيقة تقريبا فى الهواء، اقتربنا من سطح المياه. قام الأطفال الذين كانوا يتحكمون بأربطة المناطيد كالخبراء فى هذا المجال بخفض الطوافة السعيدة برفق حتى لمست مياه المحيط. قمنا بلفة كاملة بالطوافة فى المياه قبل أن نتوقف ببطء. صحت قائلا، «حسنا. كانت هذه أكثر الرحلات التى قمت بها إثارة وغرابة».

استلقينا أنا والسيد إف والأطفال بالقوارب واسترخينا لبرهة من الوقت للاستمتاع بالشمس ناظرين إلى الأعلى حيث كانت المناطيد الآن نصف فارغة وتتمايل للأمام والخلف مع حركة الرياح. فجأة وقف أحد الأطفال؛ الطفل الذى أطلق النار لإعلان بدء الرحلة، وقال: «حسنا إذن. هيا بنا جميعًا».



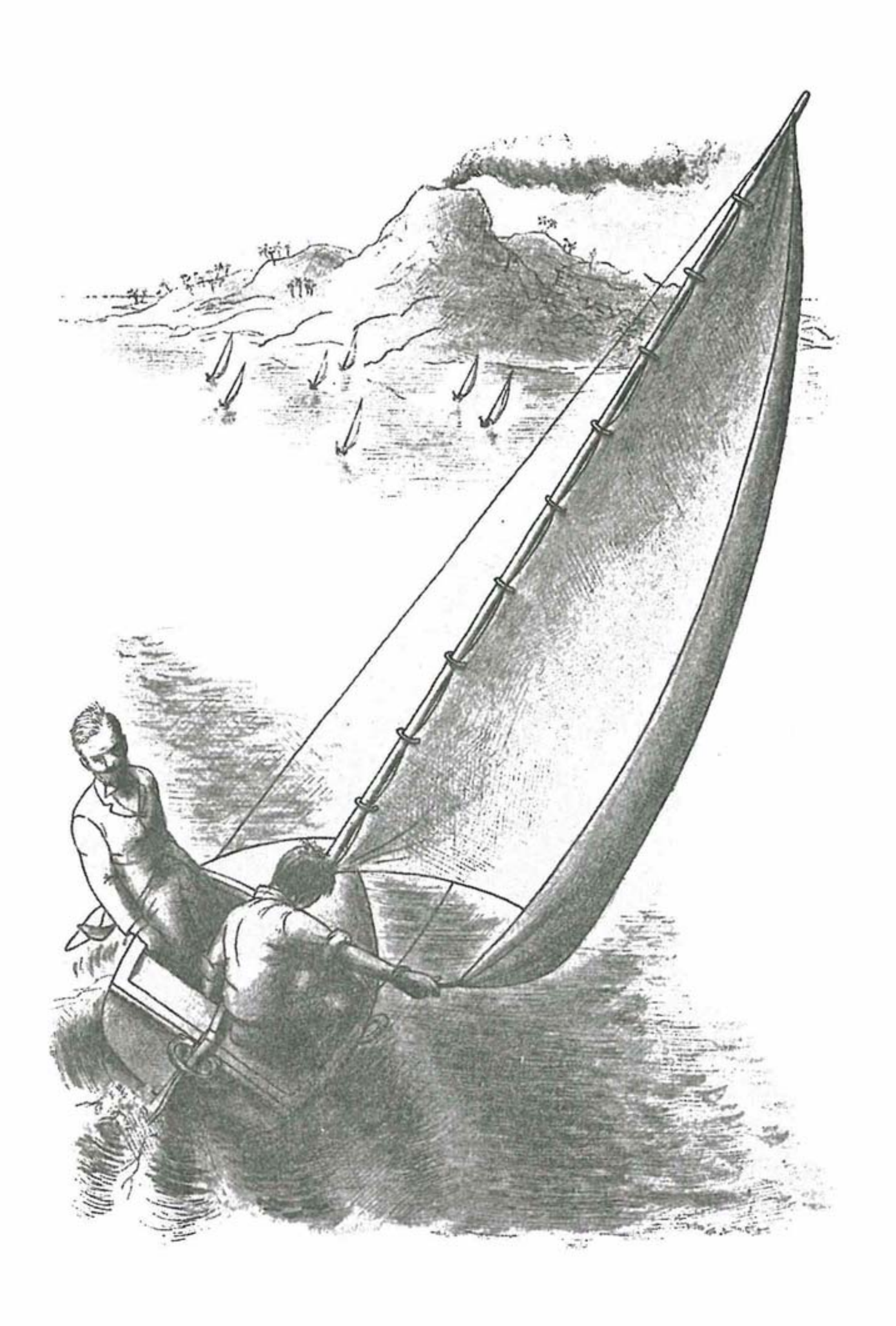




عندما سماع هذا الأمر الذى أصدره هذا الصبى، وقف بقية الأطفال وقاموا بتفريغ المناطيد من الغاز وتطبيقهم بقواربهم دون أن يدعوهم يلمسوا المياه. لقد طبقوا المناطيد بالطول أولا ثم لفوهم من الأعلى إلى الأسفل حيث كان منفس الغاز، وحتى يدعوا الغاز يخرج كلية من المناطيد فيجعلوا من كل منطاد حزمة صغيرة ومرتبة. فتحوا بعد ذلك الخزانات الصغيرة بالقوارب، والتى كان بها أشرعة القوارب فأخرج كل منهم شراع قاربه ووضع مكانه المنطاد الذى قام بطيه.

سالت إف-1: «كيف تبحرون بهذه القوارب وهى ملتحقة ببعضها البعض مثل العجلة هكذا؟ وماذا تستخدمون بدلا من الصارى؟» أدركت فورا مدى حماقة أسئلتى فبينما كنت أطرح هذه الأسئلة، تبين لى كيف يقومون بحل هذه المشكلات.

أولا، قام الأطفال بفصل القوارب عن بعضها البعض. بعد أن انتهوا من ذلك، كانت القوارب مازالت ملتحقة ببعضها البعض من خلال العمدان التى كانت تشكل أشعة العجلة الضخمة. كانت هذه العمدان، كما يبدو، تحل محل الصوارى عندما يستخدمون القوارب للإبحار. فى كل قارب، دفع كل طفلين عمود قاربهما ناحية المحور المركزى حتى انزلقت العمدان بكل القوارب من حلقات المجداف النحاسية الموجودة بكل قارب. بعد ذلك، قاموا بفك العمدان من المحور النحاسى المركزى. قام جميع الأطفال بفك أعمدتهم من المحور سوى الصبى الذى كان يصدر الأوامر والتعليمات فقد سحب عمود قاربه وبه المحور إلى القارب بفصلهما بداخل قاربه وحفظ المحور بخزانة منفصلة. الآن وقد حصل كل منهم على صارى قاربه، أصبح من السهل أن يضعوها فى الثقوب المخصصة لهم. بذلت أنا والسيد إف



أقصى جهدنا للعمل بنفس كفاءة بقية أعضاء الطاقم. سرعان ما زودنا القوارب بالأشرعة وأصبحنا على أتم الاستعداد للإبحار والعودة إلى الجزيرة. الشىء الوحيد الذى لم يكن بهذا الاختراع المحكم هو الحاجة لوجود مرفأ عائم. أخفضنا الألواح المركزية بقواربنا واصطففنا استعدادا للسباق فقد كان من عاداتهم التسابق بالقوارب فى طريق العودة. أخرج الصبى الذى أعطى الإشارة المسدس وأطلق النار للإعلان عن بدء السباق فانطلقنا فى اتجاه الجزيرة بأقصى سرعة تحملنا بها الرياح. يؤسفنى أنى كنت عائقًا فى طريق إف-1 بدلا من أن أكون له عونا. كنا آخر من وصل بالسباق وقد تأخرنا عمن سبقونا بسبع دقائق. أرسينا بعد ذلك القوارب برصيف قريب من سفينة الشحن الراسية بالخليج المختبئ بعيدا عن الأنظار ثم اجتمعنا جميعا على الشاطئ. شرح لى إف-1 أن الصبى الذى كان يعطى الأوامر وإشارات البدء كان «قبطان اليوم» وكان هذا اللقب شرفا يحظى به الأطفال بالتناوب.

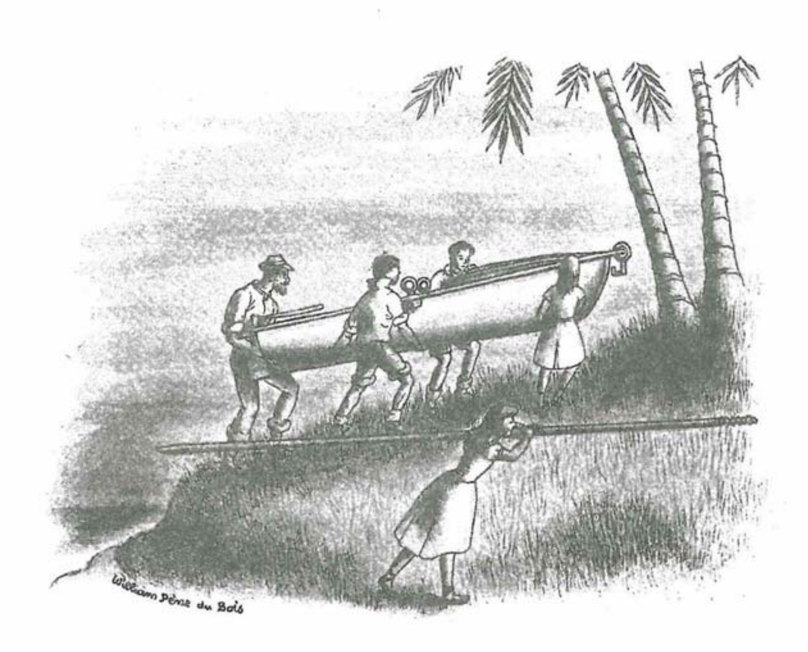
أعلن قبطان اليوم أنه نظرا لكون هذه أول رحلة لى بالطوافة السعيدة فلن تحسب نتيجة هذا السباق فى السجل الرسمى للنتائج. هتف أف-1 معبرا عن فرحته مما جعلنى أشعر بالإحراج. حدثنى قبطان اليوم على انفراد بعد ذلك ونصحنى بأسلوب مهذب بأن أتعلم الإبحار بما أنى أصبحت مواطنًا دائمًا بكراكاتوا فأخبرته أنى سآخذ بنصيحته.

أنهى قبطان اليوم الاجتماع بإعلانه أننا سنقوم بتجميع الطوافة السعيدة ثانية عند العمود الطائر بعد العشاء مباشرة ثم قال وهو ينظر فى اتجاهى بنظرات صارمة، «أريد من الجميع الحضور وتقديم يد المساعدة».

هأنذا أتلقى الأوامر من طفل صغير بعد أن قضيت أربعين عاما فى مهنة التدريس، وقد وجدت هذا التحول المستحيل الذى كان يحدث لى حتى

الآن شيء ممتع ومضحك، فقد كنت الآن أبعد ما يكون عن روتين المدرسة الممل الذى كنت أكرهه بشدة.

قلت بصوت مرتفع، «سأحضر بالتأكيد.» فنظر إلى الجميع وضحكوا. لقد استغرقت الرحلة خمس ساعات ولذا فقد فاتتنا وجبة الغداء. التهمت العشاء الرائع الذى تناولناه بالمطعم البريطانى ثم ذهبت مع السيد إف إلى العمود الطائر. قرع قبطان اليوم الجرس المعلق أعلى الكوخ حتى يجتمع الأطفال ثم قام بتقسيمنا إلى ثمانى مجموعات، كل منها مكون من خمسة أفراد. (لم يحضر بى-1 وبى-2 لانشغالهم بالمطعم). عملت كل مجموعة بقارب حتى تم تجميع الطوافة السعيدة خلال أقل من نصف الساعة وبالرغم من ذلك شعرت بعد ذلك اليوم الملىء بالأحداث برغبة شديدة فى النوم وبالفعل ذهبت سريعا فى نوم عميق.




William Pène du Bois

الفصل التاسع

طـوف النجـــاة المنطـادى

صباح اليوم التالى تناولت الفطور مع أقرانى الكراكاتويين بمطعم السيد سى الصينى. دعونى أخبركم بصراحة شديدة أنى ليس لدى أدنى فكرة عما كانت تتكون أصناف الطعام التى تناولتها فى أثناء الوجبات الخاصة بيوم سى. أنا لست مغرمًا بالأكلات الشرقية على الإطلاق ولم أجرؤ أن أسأل عما كنت أتناوله خوفا من أن يزيد أى شرح دقيق لمكونات الطعام من عدم الارتياح الذى كنت أعانى من الشعور به فى أثناء كل وجبة من وجبات ذلك اليوم. لاحظت أن كل الأطفال كانوا يعبثون بالطعام فى صحونهم لشعورهم بقلق مماثل لقلقى تجاهه. اتبعت أسلوبهم فى أكل القليل من الطعام عن طريق إزالة اللوز المحمص بحذرمن فوق الطعام وترك بقيته. وبخنى السيد إف على هذا التصرف الذى ينم عن جبنى وافتقارى للذوق الرفيع وأخبرنى أنى لابد أن أظهر بعض الشجاعة والرغبة فى تجربة أشياء جديدة إن كنت أرغب فى اكتساب مهارة تذوق الطعام الجيد. أكدّت له أنى أرغب فى أن أصبح خبيرًا بارعًا فى الأطعمة بشدة وأنا أعيش فى ظل حكومة المطاعم ولكنى كنت أفضّل أن أصل إلى هذا الإنجاز بعد فترة طويلة من المرور بمراحل تدريجية.

سألنى السيد إف عما أريد فعله بعد الفطور فأجبته بأنه بما إنى سأظل ضيفًا دائمًا بالجزيرة بلا عمل أقوم به، فكرت فى أن أقضى وقتى فى فعل ما كنت أفعله فى وطنى فى أثناء أيام العطلة. فى سان فرانسيسكو فى يوم حار مثل ذلك اليوم، يوم سى من شهر الحمل بكراكاتوا، كنت عادة أذهب لشاطئ ما وأمارس السباحة. اقترحت على السيد إف الذهاب للسباحة وراقت له الفكرة كثيرا فارتدينا ألبسة السباحة والبرانس وسرنا عبر الحافة الخارجية للغابة حتى وصلنا إلى شاطئ مرجانى نظيف وجميل. لقد وصلت إلى كراكاتوا بعد ظهر يوم إيه وكان اليوم يوم سى، أى اليوم الثالث. فى هذا الوقت القصير كنت قد اعتدت السير على أرض الجزيرة المتحركة بشكل جيد. لقد شعرت بالذهول والفخر من السرعة التى اكتسبت بها «أرجل الجبل».

بدا لى هذا الشاطئ الصغير غريبا جدًّا مقارنة بشواطئ بلدى، فقد كان المحيط هنا هادئًا بينما كان الشاطئ هو الذى يتحرك صعودا وهبوطا.

سألت السيد إف، «هل السباحة هنا جيدة؟».

أجابنى، «سترى بنفسك أنها رائعة».

خضت طريقى فى مياه المحيط حتى وصلت المياه إلى خصرى، وهناك شعرت بشعور مبهج. ارتفعت الرمال تحت قدمى مع حركة سطح الأرض حتى وجدت نفسى خارج المياه ثم انخفضت مرة أخرى حتى وصلت المياه إلى رقبتى. كنت واقفا فى نفس المكان، ولكنى ظللت أخرج من المياه وأرجع إليها، فقد كنت أمضى لحظات قليلة تحت الشمس الاستوائية الملتهبة ثم تغمرنى المياه الباردة الصافية مرة أخرى حتى تصل إلى رقبتى؛ كنت أرتفع خارج المياه وأنخفض داخلها دون أن أتحرك من مكانى على

الإطلاق. لقد خاض السيد إف بداخل المياه أكثر منى إلى مستوى أعمق، وكان يبدو مستمتعًا بأن تغمره المياه حتى فوق رأسه ثم ترفعه حركة الأرض حتى تصل المياه إلى ركبتيه فقط. عندما وصلت المياه إلى مستوى خصرى فى واحدة من نوبات ارتفاعها المؤقتة، غطست إلى مستوى أعمق من المياه حتى أستطيع ممارسة السباحة. لم أكن قد ابتعدت كثيرًا عندما ارتفعت الرمال تحت قدمى مرة أخرى ورفعتنى بالضغط على بطنى التى كنت أسبح عليها حتى خرجت عن المياه. كان هذا شعورًا غريبًا جدًّا. شرح لى السيد إف أنه لابد من الخوض بعيدًا فى المياه العميقة للاستمتاع بالسباحة وقال، «لابد أن تبتعد كثيرًا حتى تصل المياه إلى خصرك عندما ترتفع الأرض لأعلى نقطة ارتفاع لها. اتجهت بالفعل للمياه العميقة سائرًا أحيانًا و«مجدفًا مثلما تفعل الكلاب» أحيانًا حتى ابتعدت كثيرًا حيث استمتعت بالسباحة.

عندما عدنا إلى الشاطئ، قررنا أن نأخذ حمام شمس وأخبرنى السيد إف أن أفضل شىء يمكن القيام به هو أن ندع سطح الأرض يقلب أجسادنا عندما يتحرك وعدم محاولة الثبات على وضع واحد. فعلنا ذلك فقامت الشمس بتحميص أجسادنا من جميع الجهات. لقد استمتعت حقًا بهذا اليوم المبهج حتى أنى قررت أن أكرر هذه التجربة بشكل يومى.

كنت قد استعرت من السيد إف الليلة السابقة الأطلس حيث قمت بالبحث عن جزيرة كراكاتوا. وجدت أنها تقع فى نطاق سوندا البحرى بين جزيرتى سومطرة وجافا وأنها تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن هاتين الجزيرتين الكبيرتين. عندما تفحصت الخارطة حتى أتتبع مسار رحلتى التى قمت بها بمنطادى جلوب، تعجبت عندما رأيت ذلك الهول من البلاد الذى مررت من فوقه دون أن أدرى. لابد أنى قد حلقت فوق بحر سيليبز بين مدينة مندانو

بجنوب الفلبين وجزر سيليبز كما مررت فوق بورنيو لمدة ليلة كاملة مقتربًا بشدة من جبالها وفى أحيان كنت على وشك أن ألمس الأرض. لقد ارتعدت لمجرد التفكير بما قد يحدث إذا كنت قد اصطدمت بقمة جبل من جبال بورنيو فى أثناء نومى الهادئ على فراشى المملوء بالغاز. إن المحيط الهادئ أكبر محيط مائى بالعالم وكراكاتوا التى تبلغ مساحتها ثمانية عشر ميلاً مربعًا تعد واحدة من أصغر الجزر بالمحيط الهادى. لقد بدأت رحلتى بغرض أن أهبط بقارة آسيا، أكبر قارة بالعالم، مررت فوق العديد من الجزر الكبيرة وسافرت عبر آلاف الأميال فوق مياه المحيط حتى هبطت على هذه البقعة الصغيرة من الأرض. إذا قام قبطان سفينة ما برحلة متجهًا إلى الصين على سبيل المثال وفاتته ببعض الآلاف من الأميال فرسا بكراكاتوا بدلاً من الصين، كان سيحرم من مكافأته ويجرد من سفينته. أما بالنسبة لرجال المنطاد، فإن ما حدث معى هو شىء طبيعى جدًّا وشائع، فإنه من الغريب وغيرالمعتاد أن تهبط قريبًا من وجهتك فتبعد عنها مائة ميل فقط. كنت أفكر فى مدى الروعة والحرية اللتين نشعر بهما والمفاجآت التى نقابلها فى أثناء السفر بالمناطيد كما تذكرت منطاد الطوافة السعيدة الذى قمت برحلة رائعة على متنه ذلك اليوم. خطر ببالى بعد ذلك كم كانت هذه الطوافة كبيرة فى الحجم وبدا لى أنه من السهل رؤيتها من جزيرة جافا أو سومطرة إذا ما حلقت بالسماء فى يوم صافٍ فسألت السيد إف عن خطر تعرضها للرؤية فى أثناء استمتاعنا بالشمس الدافئة.

أجابنى قائلاً: «لانشعر بالقلق حيال هذا الأمر لعدة أسباب. أحد هذه الأسباب هو أن الطوافة السعيدة مطلية باللون الأزرق الفاتح الشبيه بلون السماء؛ ولذلك فيصعب رؤيته من هذه المسافة البعيدة، السبب الآخر هو

أن الطوافة السعيدة لا تبتعد لمسافة أكثر من خمسة أو ستة أميال؛ ولذا فهى لا تقترب كثيرًا من أى من جزيرتى جافا أو سومطرة، كما أنه من المعروف عن جبل كراكاتوا أنه يتجشأ بأشياء غريبة والمناطيد الدوارة والقوارب تبدو وكأنها حلقة كبيرة من الدخان الأزرق من على بعد. هناك سبب آخر مهم جدًّا لعدم قلقنا حيال هذا الأمر ففى عام 1877، وهو العام الثانى لنا بالجزيرة، اهتز الجبل هزة عنيفة جدًّا أرعبت كل سكان نطاق سوندا بجزيرتى جافا وسومطرة حتى إنهم انتقلوا للعيش نحو الداخل بعيدًا عن الساحل بخمسة وعشرين ميلاً فى كلتا الجزيرتين. اهتزت وقتها جزيرة كراكاتوا فتكونت الأمواج بالمحيط بنطاق سوندا وانتقلت من كراكاتوا وهى مركز الهزة إلى الخارج فى اتجاه الجزر الأخرى حتى إن أمواج المحيط الهائلة غمرت البيوت الساحلية بالجزر الأخرى. أصابت قعقعة الجبل الناس بالذعر الشديد كما تسببت الأمواج بضرر كبير لهم حتى إنهم ابتعدوا عن أطراف الجزر فى عجلة شديدة. لذلك نحن نعتقد أنه لا يجرؤ أحد على العيش على مقربة منا بخمسين ميلاً».

صحت قائلا، «ياإلهى! ماذا حدث لكم من هذا الانفجار وأنتم تعيشون هنا بالجزيرة؟».

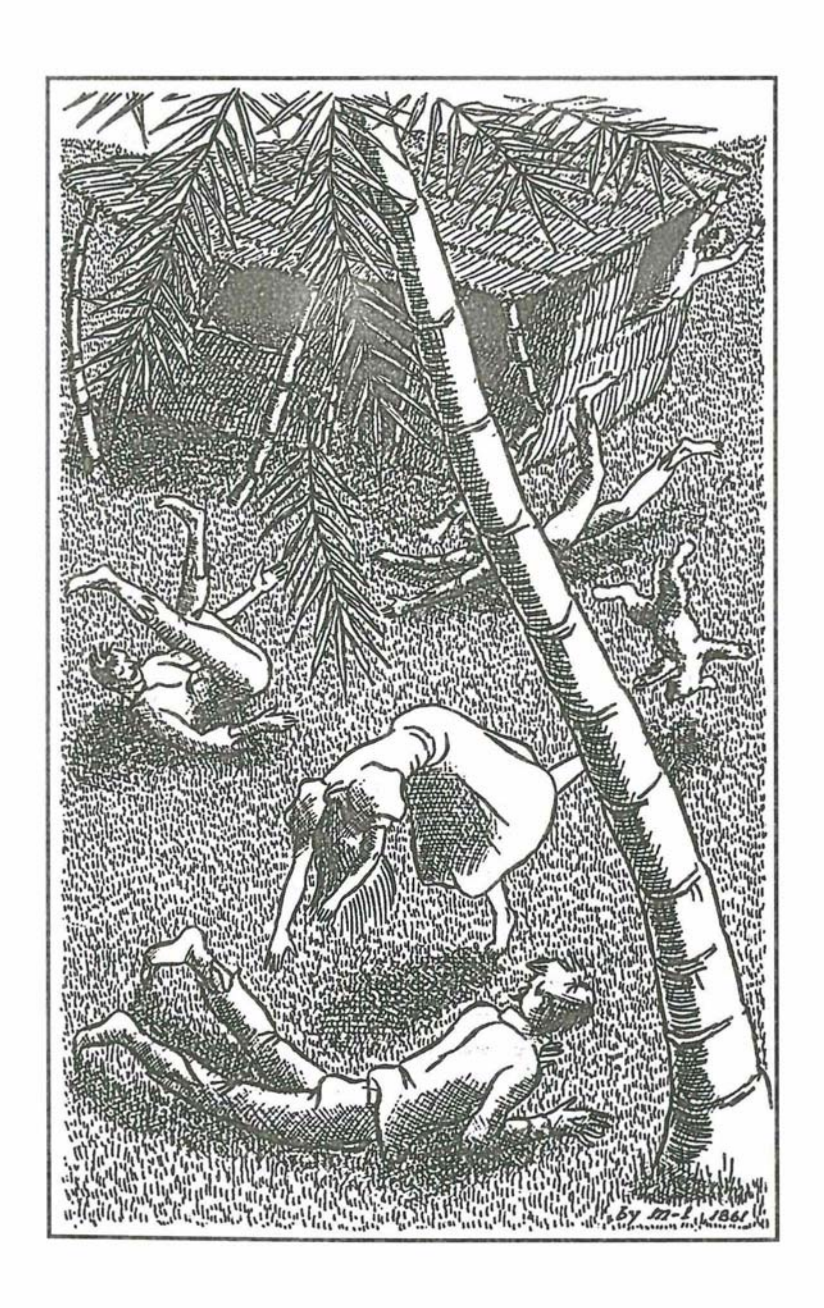
«لقد كان الأمر سيئًا للغاية فقد انهارت العديد من الأكواخ التى كنا نعيش بها فى ذلك الوقت وكأنها بيوت مصنوعة من الورق. لم يصب أحد بأذى بالغ رغم فقد كثير منا لوعيه نتيجة سقوطنا المفاجئ على الأرض. لم تزعجنا كثيرًا ضجة الانفجار فى الجزيرة وأظن أن هذا يعود لوجودنا بداخل الجزيرة فى أثناء حدوث الانفجار مما جعل هذه الضجة محتملة فإذا وقفت بالقرب من سلاح مدفعية ضخم فى أثناء إطلاقه للنار، ستشعر بانزعاج أقل

مما قد تشعر به إذا كنت واقفًا على بعد خمسين قدمًا من إطلاق النار. بعد الانفجار، ساعد بعضنا بعضًا فى القيام من على الأرض وساعدنا هؤلاء الذين يحتاجون للمساعدة ثم بدأنا فى إعادة بناء بيوتنا».

ذكرنى هذا الكلام بقضية أخرى طالما حيرتنى فسألت السيد إف، «لماذا تعيشون على قمة بركان خامد بينما يمكنكم العيش بأى بلد آخر فى رخاء وترف بفضل حفنة فقط من أحجار الماس؟».

«إن سؤالك يدعو للحيرة وليس له إجابة منطقية. إنه يثير أيضًا عدة تساؤلات أخرى مماثلة فعلى سبيل المثال: لماذا لا يعتبر أى مليونير بأى بلد أخرى نفسه غنيًا بشكل كافٍ حتى يتقاعد ولماذا يسعى لإضافة مليون آخر لملايينه؟ لماذا يحاول ملوك المال ذوو الملايين العديدة من الدولارات تجميع بليون دولار بالرغم من أن هذا المبلغ الضخم أكبر بكثير مما قد ينفقونه طوال حياتهم؟ ما دمنا أبقينا أمر مناجم الماس لدينا سرًا، فستظل ثروتنا ـ نحن العشرين عائلة بكراكاتوا ـ ثروة بقية العالم أجمع. لدى هذه المناجم للماس تأثير سحر علينا. لا يمكننا العيش سعداء بأى بلد آخر سيظل يراودنا الحلم بهذه الثروة غير المشهودة من قبل، والتى تركناها بالجزيرة. لكننا لا نستطيع أن نأخذ ماسنا، أى كل أحجار الماس بالمناجم، لأى بلد آخر دون أن نحطم قيمته. طمعنا فى المزيد جعل منا عبيدًا، فقد حبسنا أنفسنا بسجن من الماس لا نريد الخروج منه. كما أننا نشعر بالسعادة هنا وأعتقد أن معرفتنا بأن كلاً منا لديه ثروة تفوق ثروات العالم على مر التاريخ مجتمعة يزيد من السحر الكراكاتوى الذى يبقينا هنا».

«ولكن هذا السحر، كما تسمونه، لا يبدو لى منطقيًا لسبب بسيط هو أنه يهدد رغبة إنسانية أخرى أعظم بكثير من الرغبة فى الثراء، وهى بوضوح



شديد الرغبة فى الحياة. كيف يمكنكم العيش هنا بسعادة وأنتم مهددون باستمرار بانفجار البركان فى أى لحظة؟ إنى أرى أن هذه الجزيرة تشبه الديك الرومى المحشو بغاز النتروجلسرين. إن سطح الأرض الذى يعلو ويهبط بحركة رشيقة الآن تحركه الحمم البركانية الذائبة. إذا حدث شرخ بسطح الأرض ستندفع بداخله مياه المحيط الهادئ الباردة. يمكنك أن تتخيل ما قد يحدث عند احتكاك المياه الباردة فجأة بالحمم البركانية الذائبة فستصبح هذه الطبقة الصخرية الرقيقة المجوفة المتحركة فجأة مثل غلاية مغطاة فوق موقد تحتوى على ماء يغلى. سيتسبب البخار فى ضغط يؤدى إلى انفجار الغطاء من على الجزيرة بأكملها. لن ينجو أحد من مثل هذا الانفجار. بم ستفيدكم ثروتكم من الماس حينها؟».

«نحن على دراية تامة بهذا الاحتمال، ومع ذلك يزعجنى أن أسمعه منك. نحن ننظر إلى هذا الاحتمال بهذا الشكل:

«إذا حدث الأمر بهذه السرعة التى وصفته بها، فلن يتسنى لأحد أن يفكر أو يدرك ما يحدث له وهذا يعنى موتاً بلا ألم. أما إذا كان هناك إنذار، وهو ما نتوقع حدوثه، فلدينا وسيلة سريعة للهروب من كراكاتوا. إذا أمهلنا هذا الإنذار عشر دقائق فقط للرحيل من الجزيرة، سنمضى فى طريقنا بأمان متجهين إلى بلد آخر. بوجود هذه الوسيلة للهرب والعلم بأن جزيرة كراكاتوا ظلت قائمة لمدة طويلة من الزمان دون أن تنفجر يجعلان الحياة هنا تحت التهديد الدائم بالفناء محتملة».

سألته، «ما هذه الوسيلة؟ هل تبقون سفينتكم دائرة وفى وضع الاستعداد طوال الوقت؟».

قال السيد إف، «سيستغرق رحيل السفينة من هنا أكثر من عشر دقائق. إن وسيلتنا للهروب هى الاختراع الأخر الذى وعدتك بالأمس أن أريك إياه. لقد عملنا فى بناء هذا الاختراع بدقة لمدة شهور عديدة، وقد بدأنا العمل به بعد الانفجار الكبير الذى حدث عام 1877. تعتمد حياتنا على هذا الاختراع ولكننا لم نستطع تجربته نظرًا لضخامة حجمه وحاجته لقوة محركة هائلة. ليس هناك سبب يمنعه من النجاح، وبهذا أعنى، بما أنه ليس هناك سبب نظرى يعيق نجاح هذا الاختراع فلابد من أن يثبت كفاءته فى رحلته الأولى. إنه عبارة عن منصة طائرة، وهى منصة ضخمة تكفى لأن تحملنا جميعًا إلى الهواء سريعًا فى خلال عشر دقائق من إصدار الجبل للإنذار».

«منصة تستطيع حمل عشرين أسرة، تتكون كل منها من أربعة أشخاص؟ إن هذا يشبه ألعاب الأطفال المستوحاة من البساط السحرى. كيف تأملون فى أن تجعلوها تطير بكم؟».

أجابنى السيد إف، «باستخدام المناطيد».

راقت لى هذه الفكرة كثيرًا فقد كانت فكرة أن يأتمن ثمانون شخصًا وسيلة سفر متقلبة وخطرة مثل المناطيد على حياتهم مرعبة ولكن ممتعة جداً.

«أنتم مستعدون للمخاطرة بحياتكم على متن هذه البدعة المنطادية. إن هذه الفكرة تروق لى كثيرًا. منذ فترة قريبة، كنت بدأت التفكير فى أهل كراكاتوا على أنهم بليونيرات تقليديون يتسمون بالطمع والملل، أما الآن فأعتقد أنكم حالمون وصعب شفاؤكم من هذه الرومانسية الحالمة. أيمكنك أن تخبرنى كيف يمكن أن يحمل هذا الاختراع وزنًا كبيرًا كوزن عشرين عائلة عن الأرض؟».

قال السيد إف، «اسمح لى. نحن لا نخاطر بحياتنا على أى وسيلة نقل متهورة مثلما تعتقد. لابد لهذه المنصة المنطادية أن تعمل! لابد أن ينجح هذا الاختراع. لا يمكنه أن يخفق. سأريك».

ذهبت حيث كان السيد إف مستلقيًا وجلست بجانبه وراقبته وهو يرسم رسمًا تخطيطيًا للمنصة على الرمال. رسم المنصة برؤية من أعلى ورسم عشرين منطادًا حول حافتها الخارجية. كانت المنصة مستطيلة الشكل. بدأ بكتابة أرقام على الرمال ثم قال، «لا أعلم كم يبلغ وزن المنصة تمامًا ولكنها مصنوعة من أخف أنواع خشب الصنوبر بالعالم الذى استوردناه من جنوب أمريكا خصيصًا لهذا الغرض. إنها مصنوعة من العارضات الخشبية الخفيفة وقد جعلنا هناك مسافة بين الألواح المصنوع منها الأرضية لتكون أخف فى الوزن. يتكون الدرابزين حول المنصة من الخشب المجوف وهو أخف أنواع الخشب على الإطلاق. قبل أن أخبرك عن المناطيد، دعنى أوضح لك أن الأرقام التى سأذكرها هى أرقام كاملة دون كسور حتى يكون هناك هامش من الأخطاء احتياطى من أجل نجاح الآلة؛ لذا سيتم حساب قوة المناطيد بأقل مما هى بالفعل، وسيتم حساب الأوزان التى ستحملها أثقل مما هى بالفعل. ليس هناك طريقة دقيقة لحساب وتخطيط اختراعات المناطيد فكثير من الأشياء تعتمد على الأحوال الجوية وأحوال الطقس ونقاء الهيدروجين المستخدم، لذا سأستخدم أرقامًا كاملة بلا كسور».

قلت له، «إنى أفهم ما تقول؟».

«ترفع المنصة المنطادية عشرة مناطيد كبيرة يبلغ حجم كل منها **32,400** قدم مكعب بالإضافة إلى عشرة مناطيد أخرى فى نصف حجم المناطيد الكبيرة، ويبلغ حجم كل منها **16,200** قدم مكعب. ستحلق المناطيد

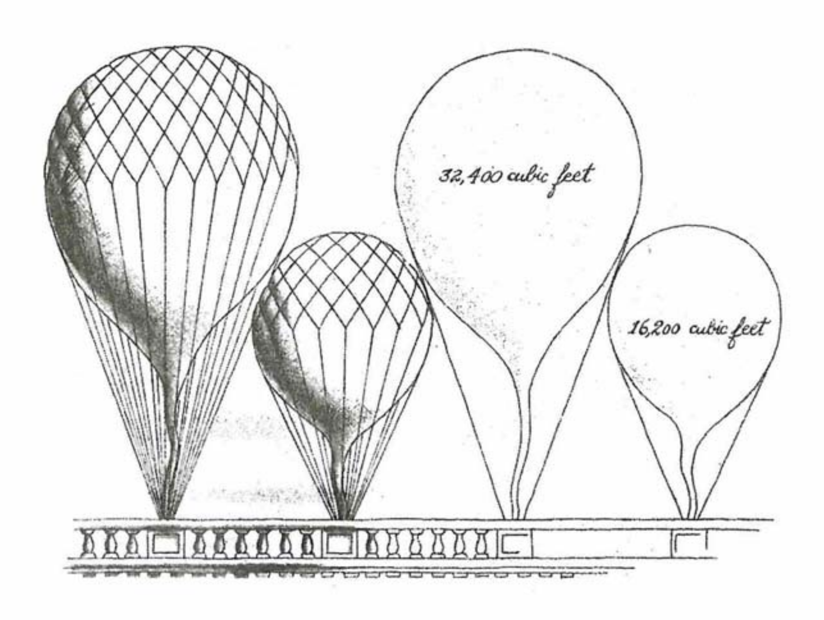


الكبيرة أعلى من الصغيرة التى ستوضع فى المساحات ما بين المناطيد الكبيرة. بهذا تتناوب المناطيد الصغيرة والكبيرة حول المنصة، فهناك منطاد كبير ومرتفع ثم آخر صغير ومنخفض وهكذا».

قلت: «فهمت».

«الكمية الإجمالية من الهيدروجين اللازمة لملء العشرين منطادًا هى 486,000 قدم مكعب. لدى الهيدروجين الحر قوة رفع تساوى تقريبًا 70 رطلاً فى كل ألف قدم مكعب؛ لذا تبلغ قوة الرفع لدى العشرين منطادًا جميعًا 45,360 رطلا».

«كم تعتقد وزن الثمانين شخصًا؟».



أجابني، وهو يكتب أرقامًا أخرى على الرمال، «حسنًا، إذا قسمت الثمانين شخصًا حسب جنسهم، ستجد أن نصفهم من النساء، وإذا قسمتهم حسب أعمارهم، ستجد أن نصفهم من الأطفال. في هذه الظروف، أعتقد أن الوزن الأكثر أمانًا في الحساب هو مائة وثلاثون رطلاً للشخص الواحد. سيزن الثمانون شخصًا جميعًا 10,400 رطل. ولكن، انتظر. كم يبلغ وزنك؟».

أجبته، «لأعطيك رقمًا آمنًا بلا كسور، أزن 180 رطلا».

قال السيد إف، «حسنًا. هذا يجعل من الوزن الإجمالي 10,580 رطلا» يتبقى 34,780 رطلاً من قوة رفع المناطيد لتولي أمر الوزن الإجمالي للمنصة».

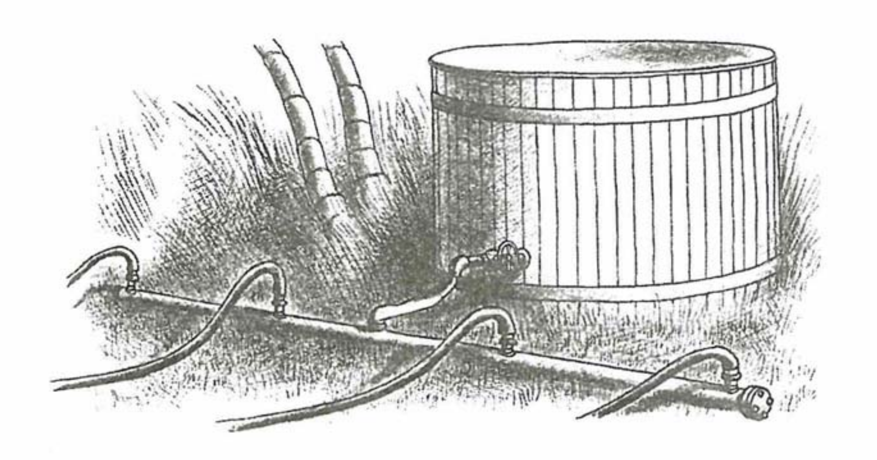
وافقت السيد إف بأن الفكرة تبدو معقولة جدًّا ثم قلت له، «ولكن هناك شيء واحد يؤرقني. كيف ستملئون المناطيد بالهيدروجين وترفعون المنصة إلى الهواء فى عشر دقائق فقط؟».

«هذه هى أصعب مشكلة واجهتنا. تعال معى لأريك المنصة وأريك كيف حللنا مشكلة تحقيق الفرار السريع».

لبست برنس البحر وتبعت السيد إف الذى تخلل حافة الغابة. بعد مدة طويلة من السير، وصلنا إلى أرض مقطوعة الشجر بعيدة قدرالإمكان عن الجبل حيث تقع المنصة العملاقة. تذكرت أنى قد رأيتها من الطوافة السعيدة فى اليوم السابق وقد ظننت حينها أنها منصة للاحتفال والرقص وبوسطها منصة للفرقة الموسيقية، والتى اتضح لى الآن أنها أسطوانة فولاذية كبيرة.

أرانى السيد إف أربعة أوعية خشبية ضخمة للسوائل، يقع كل منها على الأرض بالقرب من جانب من جوانب المنصة، وكان بها خراطيم موصلة بالمناطيد بشكل شبيه بـ«المذراة» كما أطلق عليها السيد إف. كان يخرج من كل وعاء خرطوم كبير يتفرع إلى خراطيم صغيرة، يوصل كل منها بمنطاد.

«هكذا نعتقد أننا حللنا مشكلة الإقلاع السريع بهذا الهيدروجين المركز. تحتوى كل من هذه الأوعية على ثلاثمائة ألف قدم مكعب من الهيدروجين المركز والمضغوط فهناك ألف وستمائة رطل للبوصة المربعة الواحدة. يحفظ الهيدروجين بأسطوانات فولاذية مغمورة بالمياه بداخل الأوعية حتى نقلل من خطر التسرب ونتجنب أن تتعرض الأسطوانات لأشعة الشمس الحارقة.



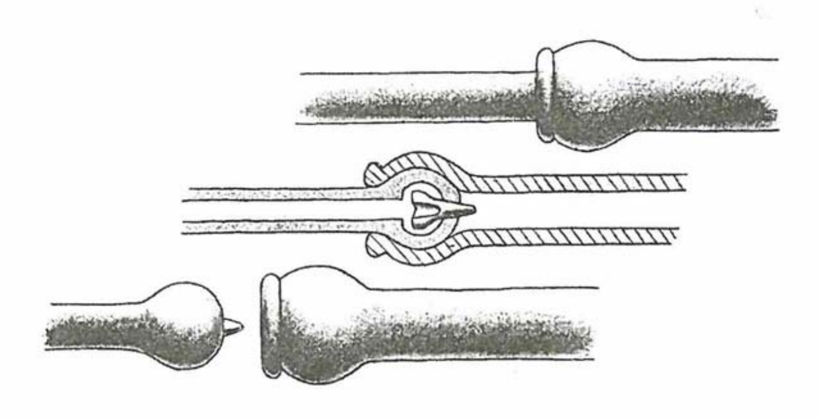
فى حالة الطوارئ، سنسرع جميعًا إلى المنصة وستقف كل عائلة بجانب واحد من المناطيد. سنقوم بفتح الصمامات الكبيرة بالأوعية الأربعة حتى تبلغ أقصى قوة لها. ستقوم كل أسرة بمراقبة المنطاد الخاص بها حتى تتأكد من عدم تسبب اندفاع الهيدروجين به فى أى قطع أو تعقيد للمنطاد. سنقوم بملء المناطيد الصغيرة أولاً. هناك رافعة بجانب كل منطاد للتحكم بالصمام الذى يوصل له الغاز. عندما يمتلئ ثلاثة أرباع من سعة المناطيد الصغيرة، ستغلق صماماتها مما سيسرع من ملء المناطيد الكبيرة بالغاز حيث إنها ستنفرد بتلقى كل الضغط».

التقط بعد ذلك السيد إف أحد الخراطيم وأرانى إياه، كانت هناك وصلة كروية بكل خرطوم منها وشرح لى أن فصل الخرطوم عن هذه الوصلة يتطلب سحبه بوزن مائة وخمسين رطلاً ثم قال لى، «هناك وصلة كهذه بكل خرطوم فيكون مجموع الوزن المطلوب لسحب العشرين خرطومًا ثلاثة آلاف رطل. لا نقوم بربط المنصة المنطادية بالأرض قبل الإقلاع، فهذه الخراطيم هى

التى تبقيها على الأرض. عندما يندفع الغاز بالمناطيد حتى ترتفع المنصة يصبح هناك قوة سحب تبلغ ثلاثة آلاف رطل على العشرين خرطوماً. تفصل بعد ذلك المنصة نفسها عن وصلات الخراطيم وتقفز إلى الهواء وكأن أحدًا قد دفعها دفعة قوية. هناك صمام بطرف الكرة فى كل وصلة كروية تدفع بالغاز بداخل المنطاد، ولكنها تمنع الغاز من الخروج عندما تصل الوصلة بالأوعية. عندما تطير المنصة فى الهواء، سنقوم بسحب الخراطيم وتوصيلها بالخراطيم الخارجة من وعاء الهيدروجين المضغوط الصغير الموجود بالمنصة. سنستخدم هذا الغاز الموجود بالمنصة فى قيادة رحلتنا والتحكم بها».

«كيف يمكنكم التحكم برحلة المنصة؟».

«يمكننا الارتفاع حتى مستوى معين بإضافة المزيد من الهيدروجين للمناطيد كما يمكننا جعل المنصة تهبط عن طريق إزالة الخراطيم من وعاء الهيدروجين الموجود على المنصة وإطلاق الهيدروجين من المناطيد. أما عن وجهتنا فتحددها الرياح كالعادة. لكن بما أننا لدينا ما يزودنا من الهيدروجين فليس هناك أى سبب سواء كان من الرياح أو من سوء الحظ، يمنعنا من السفر لمسافة هائلة بالمنصة».



«كيف تحافظون على توازن المنصة؟».

«لقد خططنا أن نفعل هذا بنفس الطريقة التى نحفظ بها توازن الطوافة السعيدة ولكن بطريقة معكوسة، فنحن لا نرغب فى القيام برحلات طويلة بالطوافة السعيدة؛ ولذا نحافظ على توازنها عن طريق إطلاق الهيدروجين من الجانب الأعلى حتى ينخفض ويصبح فى مستوى الجانب المنخفض، أما على المنصة المنطادية فسنقوم بإضافة الهيدروجين للجانب المنخفض حتى يصبح فى مستوى الجانب الأعلى فتصعد المنصة ككل إلى الأعلى وتزداد ارتفاعًا بدلاً من أن تنخفض وتهبط لأسفل. ستقف كل عائلة بجانب منطادها على المنصة حتى توزع الأوزان بشكل متساوٍ.» هناك رافعة بجانب كل منطاد، كما رأيت، للتحكم فى الغاز الداخل إليه. سيكون الصبى فى كل عائلة هو المسئول عن هذه الرافعة، لخبرته الكبيرة فى منطاد الطوافة السعيدة عندما يهبط منطادهم قليلاً عن مستوى الآخرين».

تجولت فى أرجاء المنصة وقد كانت ألواح الأرضية رطبة تحت قدمى وكنت أرى العشب بالأرض تحت المنصة.

من خلال المسافات التى تفصل بين الألواح. حاولت أن أتخيل هذه الأرضية وهى طائرة فى الهواء وكيف يمكننى أن أرى من خلال ألواحها أى مدينة نحلق فوقها. كم كان شيئًا مرعبًا ورائعًا بنفس الوقت أن تحلق فى الفضاء على متن بناء بهذا الحجم الهائل مع ثمانين شخصًا آخرين. كانت مناطيد المنصة مطوية ومحفوظة تحت قماش مشمع فقمت بفحص العديد منه وقد كانت مناطيد رائعة مصنوعة من الحرير الجميل المعالج بالمطاط وكان كل منها مطليًّا بألوان قوس قزح المختلفة. حاولت أن أتخيل رد فعل الناس بالبلاد الأخرى إذا ما نظروا للأعلى فوجدوا هذه المنصة المنطادية



بالسماء بأرضيتها الشبكية البيضاء المحاطة بدرابزين مصنوع بذوق عالٍ يميل على حافته مواطنو كراكاتوا بثيابهم الأنيقة الدالة على ثرائهم والعشرين منطادًا ذات الألوان الزاهية بأعلى المنصة والهدوء المرعب الذى تتحرك به هذه المناطيد الضخمة، والذى ظهرت به فجأة فى سمائهم. ليست هناك أى ضجة مصاحبة للسفر بالمناطيد فبأى وسيلة أخرى للسفر هناك ضجة مصاحبة له تحذر من قدومها حتى السفن تحدث موجات فى أهدأ مياه تمر فيها. أما المناطيد، فهى تتسم بالصمت فيما عدا الحالات النادرة التى قد تسمع بها صفير الرياح الشبيه بصوت الأشباح وهى تتخلل الأحبال. ليس هناك أجمل من السفر بمنطاد أخف من الهواء.

علقت قائلا، «سيكون ظهور المنصة المنطادية فوق أى بلد أجنبى له مظهر جذاب وممتع بالتأكيد».

«قال السيد إف، «كان لهذا المظهر دور مهم فى تصميم المنصة فلم يكن من الضرورى أن نتكبد كل هذا العناء بتصميم هذا الدرابزين الخشبى الجذاب بنحته وتجويفه والتفكير والعمل بطلى المناطيد فأى درابزين بسيط الشكل وأى مناطيد عادية الشكل واللون كانت ستفى بالغرض مالم نكن نفكر بالمظهر. إذا اضطررنا للهبوط بأى بلد آخر، نريد أن يستقبلنا الناس كزوار مميزين قد أعلنوا وصولهم بطريقة مبهجة بدلاً من أن يتشككوا فى كوننا معتدين على بلادهم بآلة حربية طائرة.» ثم أضاف قائلاً، « بالمناسبة، هل لديك مظلة هبوط؟».

أجبته، «لا بالطبع، فقد ألقيت بكل شىء من على متن منطادى جلوب. لم أكن أحمل معى واحدًا على كل حال فلم أر أنى قد أحتاج واحدًا».

«لدى كل عائلة هنا مظلة هبوط عائلية وهو من اختراعنا.

لقد صممنا المظلة العائلية حتى تبقى كل عائلة مكونة من أربعة أفراد معًا فى أثناء الهبوط».

«ألا يمكنكم الهبوط بالمنصة؟».

قال السيد إف، «بالكاد فأولاً، من الصعب العثور على مساحة كافية لهبوط هذه المنصة المنطادية الضخمة. ثانيًا، من الصعب تفريغ المناطيد من الهواء بسرعة كافية لمنع الرياح من دفعها وسحبها عبر الريف. لابد من تفريغها ببطء حتى نتمكن من الهبوط بهدوء قبل أن نتمكن من هذا، ستسحبنا الرياح وتمزق المنصة لتحولها إلى شظايا مما سيعرض حياتنا

للخطر. لا نجرؤ على المخاطرة بالهبوط بهذا الشكل؛ لذا فقد خططنا أن نقفز من المنصة بالمظلات واختيار البلاد والأماكن التى نهبط عليها بعناية، هنا إذا حلقنا فوقها. إنى أنصحك بأن تحضر لنفسك مظلة بأسرع وقت ممكن يا بروفيسور شيرمان».

سألته، «كيف يمكننى الحصول على مظلة بكراكاتوا؟».

«إن السيد إم وزوجته هما اللذان قاما بتصميم المظلات العائلية. من المؤكد أنه تبقى لديها بعض الأقمشة الحريرية التى تكفى لصنع مظلة فردية لك».

ذهبنا معًا إلى منزل عائلة إم المغربى وشرحت للسيدة إم مشكلتى.

قالت، «بالطبع يمكننى صنع مظلة لك، ولكن هذا العمل سيستغرق أسبوعين. لا أظن أنك قد تحتاجها قبل ذلك الوقت. لا أتمنى أن يحدث هذا على أية حال».

قالت هذه الجملة الأخيرة ضاحكة.

قلت، «بالطبع لن أحتاجها. خذى وقتك فليس هناك داع للاستعجال».



الفصل العاشر

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

قضيت صباح يوم السادس والعشرين من أغسطس، عام 1883، أو يوم «دى» من شهر الحمل بكراكاتوا، مثلما قضيت صباح اليوم السابق، فى ممارسة السباحة والاستمتاع بحمام الشمس بذلك الشاطئ المرجانى الصغير المبهج. بعد الفطور الخفيف الذى تناولته باليوم السابق بمطعم السيد سى الصينى، التهمت الفطور الهولندى الذى تناولناه بمطعم السيد دى باستمتاع شديد. كان الفطور يتضمن العديد من أكواب من أغنى وأشهى شيكولاتة ساخنة شربتها بحياتى. خشيت أن أقوم بالسباحة مباشرة بعد ذلك الفطور الدسم فأخذت حمام شمس مع صديقى المخلص، السيد إف، لمدة ساعة عند وصولنا للشاطئ. شعرت بالسرور عندما لاحظت اكتساب بشرتى لون حمرة الشمس الداكنة. كانت بشرتى قد احترقت من الشمس أول مرة عند وصولى الغريب بجسد عار للجزيرة، ثم اكتسبت المزيد من الحمرة يوم أن حلقنا بالطوافة السعيدة، ثم اكتسبت اللون الداكن باليوم السابق بالشاطئ. بذلك تحول لونى الشاحب الذى كان يميزنى عن أهل الجزيرة سريعا.

قال السيد إف بينما نقلته حركة سطح الأرض بالقرب منى، «لقد طرحت على العديد من الأسئلة حتى الآن وقد بذلت ما بوسعى لإجابتها.

أعتقد أنك تعلم الآن كل شىء يمكنك أن تعلمه عن الحياة بكراكاتوا. الآن، دعنى أطلب منك أن تخبرنى بكل ما تستطيع تذكره من أخبار مسقط رأسى، سان فرانسيسكو، المدينة التى وصلت منها لتوك، والتى لم أرها منذ سبعة أعوام».

أجبته، «هذا من حقك.» ثم بدأت أفكر فى أنسب طريقة لفعل هذا. كمدرس، كنت مربوطا بحياة اجتماعية رتيبة، ولكنى كنت أعرف العديد من الناس. كانت أعمار الأطفال الذين كنت أقوم بتدريسهم تتراوح بين العاشرة والخامسة عشرة، وهى نفس أعمار أطفال كراكاتوا، ولذا فقد اعتقدت أن آباء الأطفال الذين كنت أقوم بتدريسهم كانوا فى نفس عمر السيد إف. وصفت له سان فرانسيسكو وكأنى كاتب عمود بصفحة أخبار المجتمع، فقد أخبرته أخبار الناس هناك وكأنهم أعز أصدقائى، وأخبرته بما كانوا يفعلونه فى الحفلات والمسرح والسيرك وحفلات العشاء وكل المناسبات الاجتماعية التى تذكرت أنى قد حضرتها مع أى منهم. كانت هذه فكرة رائعة فقد كان يعلم بعض الناس الذين ذكرتهم فى حديثى كما سمع عن آخرين من أصدقائه بكراكاتوا. أعتقد أن الإنسان، عندما يفكر بوطنه أو مسقط رأسه، لا يفكر فى الشوارع والمبانى قدر ما يفكر بأصدقائه ومعارفه الشخصيين وأقاربه. كلما ذكرت اسم صديق له، كانت عينا السيد إف تلمع وكان يلاحقنى بسيل من الأسئلة. لقد أذهلته كل التفاصيل والحكايات والنوادر التى قصتها له عن أطفالهم فقال لى، «لابد أنك مغرم بالأطفال فإنك تتخذ

موقفًا ظريفًا ومتعاطفًا مع حكاياتك عن الخدع والمقالب التى يمارسونها فى فصولهم». كنت مازلت لا أريد أن أخبر أى أحد بالجزيرة عن اشتغالى بالتدريس ولكن عندما كنت أخبر السيد إف عن أخبار أصدقائه بسان فرانسيسكو، كنت أتذكر أطفالهم بشكل واضح، فقد كنت أراهم يومياً على عكس آبائهم الذين كنت أزورهم فى مناسبات نادرة ومعظمها رسمية. قلت للسيد إف وأنا أضغط على أسنانى، «نعم، لقد كنت دائما قريبا من الأطفال».

أكملت حكاياتى للسيد إف وقد ذكرت المزيد من معارفه وقصصت عليه كل الأحداث التى استطعت تذكرها عنهم. لقد كان السيد إف مستمعا جيدا فقد كان ممددا على ظهره قبل أن أقص عليه حكاياتى، أما الآن فقد رفع نفسه عن الأرض وسند على مرفقيه لسماعى وقد بدا فى غاية الانبهار برواياتى. قال السيد إف، «انتظر لحظة. لا أريد أن أقاطعك ولكنى لدى فكرة رائعة. إن الجميع هنا من سان فرانسيسكو، ومن المؤكد أنهم سيستمتعون بالسماع عن أصدقائهم القدامى وأطفالهم مثلما أستمتع الآن. أيمكنك أن تقص علينا هذه الحكايات بغرفة الطعام بعد الغداء؟».

أجبته،» سيكون ذلك من دواعى سرورى».

قال السيد اف، «رائع. لا يمكنك أن تتخيل كم سيروق لهم هذا. إن حديثنا دائما ما يتطرق الى سان فرانسيسكو ولكننا لم يعد لدينا أخبار جديدة عن أصدقائنا القدامى منذ سنين».

مارسنا بعض السباحة وجففنا أجسادنا بأشعة الشمس ثم عدنا إلى منزل السيد إف. فى أثناء ارتدائى لملابسى، ذهب السيد إف فى جولة إلى البيوت الأخرى ليخبر الجميع عن الحكايات التى كنت سأرويها لهم.

شعرت بالسرور لأنى بهذه الطريقة البسيطة قد استطعت رد بعض جميلهم وحسن ضيافتهم لى.

استمتعنا بغداء شهى مكون ببساطة من كميات كبيرة من جافانشى ريجستافت وهى أكلة مكونة من أرز جزيرة جافا المطهى بنكهة بهار الكارى الهندى على الطريقة الهولندية بجزر الهند الشرقية التابعة لهولندا. كانت كركاتوا تابعة لجزر الهند الشرقية ولكن لم يجرؤ أى رجل هولندى أن يطأ بقدميه على الجزيرة. تناولنا الكثير من هذا الأرز الحار كما شربنا أكوابًا عديدة من شاى جافا البارد الرائع. كنت أشعر بالحرارة بسبب احتراق جلدى من الشمس حديثًا، كما كنت أشعر بالحرارة بداخلى من تأثير بهار الكارى الحار الشهى، وبعد تناول العديد من أكواب الشاى البارد، شعرت بالدفء فى كل جسدى وأصبحت مستعدا لبدء الحديث.

انتظر السيد إف حتى أخلت عائلة دى موائد الطعام ثم وضع كرسى على إحدى الموائد. طلب السيد إف الهدوء من الحضور ثم قام بتقديمى كمتحدث بأسلوب ظريف وودود جدًا ثم نظر إلى وأشار إلى الكرسى. صعدت على المائدة وجلست على الكرسى ثم بدأت حديثى بعد أن استقرت العشرون عائلة فى وضع مريح لسماعى. كانت استجابتهم لى رائعة ومرضية جدًا فكلما ذكرت اسما، كان يبتهج وجه أحد الحضور على الأقل عند سماع ذلك الاسم المألوف له. كان الجميع منهم يلكزون بعضهم بمرافقهم للفت انتباههم لشىء أقوله، كما كانوا يبتسمون وعلى وجوههم نظرات حنين إلى أرض الوطن. أسعدنى كثيرا القيام بهذا الحديث البسيط الذى أسعدهم جدًا. بينما كنت أتحدث، كانت كل العيون مثبتة علىّ

باهتمام بالغ وكنت أنظر حول الغرفة حتى أرى ردود أفعالهم عند سماع أى اسم أذكره، ثم أحاول تذكر حكايات أخرى أخبرهم بها. بينما كنت أنظر خارج النافذة، لاحظت أن حركة الأرض كانت أكثر نشاطا عن العادة ولكن لكونى مواطنًا جديدًا بكراكاتوا لم أكن أعلم فى البداية إذا كان هناك شىء غريب فى هذا النشاط مما يدعو للقلق فأكملت حديثى. أتذكر أنى قد تحدثت لمدة ثلاث ساعات متواصلة قبل أن يقاطع حديثى حدث مؤسف وفريد. لاحظت أن الأرض كانت تتحرك بقوة متزايدة فنظرت إلى ساعة يدى. كانت حركة سطح الأرض تستقر تمامًا عادة لمدة بضع دقائق فى الساعة ولكن ذلك اليوم، زادت الحركة لمدة ساعتين أو أكثر دون توقف. كان هذا شيئًا يدعو للقلق فجذبت انتباه الجميع له. التفت الجميع ونظروا من النافذة فلم يبدُ القلق إطلاقًا على بعض منهم بينما شعر البعض الآخر بالذعر. لم أشعر بارتياح أبدًا حيال هذا الأمر. سار السيد إم فى اتجاه النافذة ونظر خارجها ثم قال بعد عدة دقائق، «لا أعتقد أن هناك ما يدعو للقلق أو الانزعاج فقد تحطمت معظم بيوتنا فى سنة 1977 ولم يحدث شىء».

قال السيد تى، «ولكن بيوتنا فى ذلك الوقت كانت مجرد أكواخ».

«أعلم ولكنها كانت مبنية على أساسات من الماس أيضًا وهذا البيت على سبيل المثال لم يهتز ولو قليلاً حتى الآن. تفضل يا بروفيسور شيرمان واستكمل حديثك».

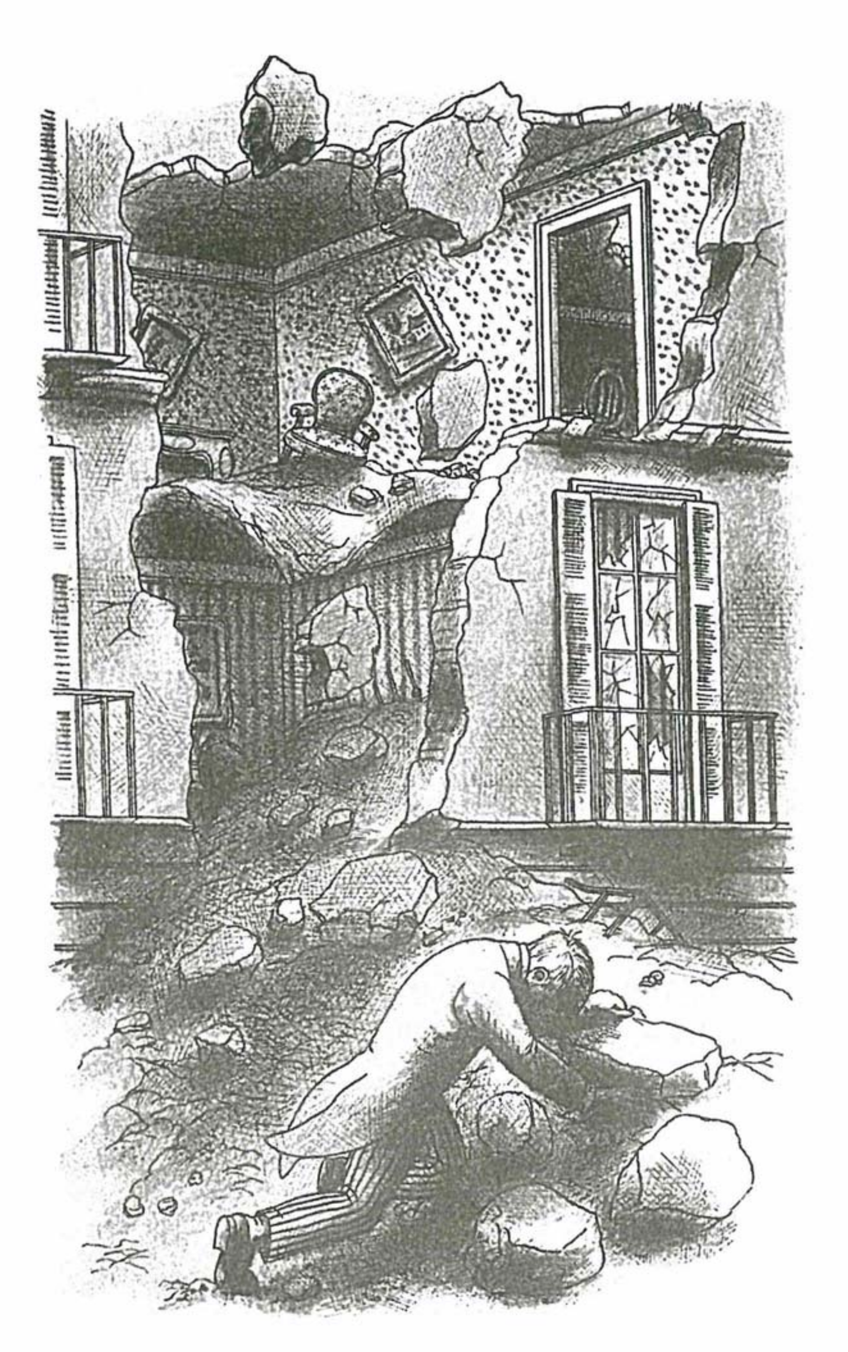
شعر الجميع بالطمأنينة بعد سماع كلام السيد إم ولكنى لم أشعر بالراحة وأنا أتحدث مثلما كنت أشعر من قبل وقد شعرت بأن الحضور كانوا يشعرون

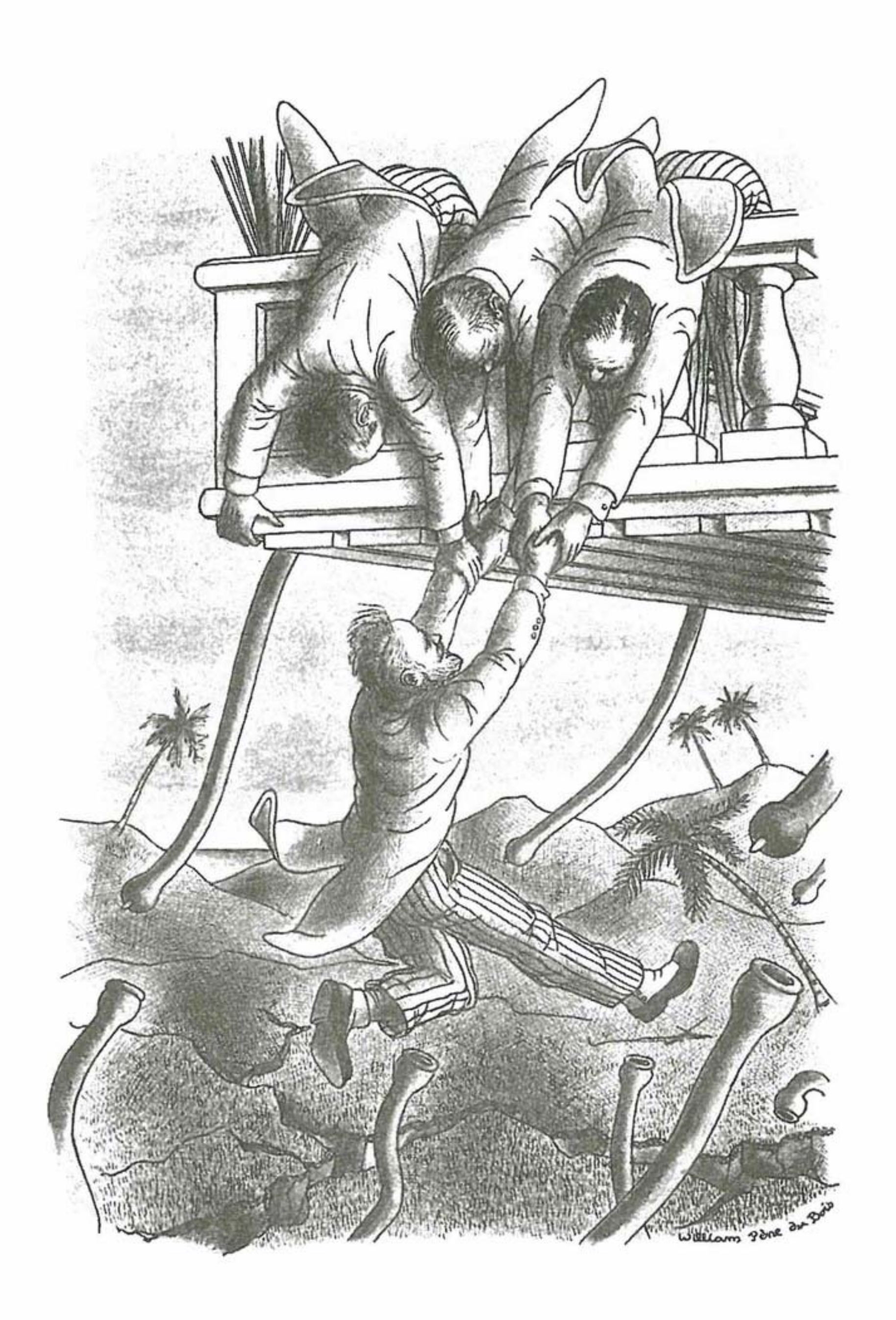


بقلق مماثل. وفجأة ـ أستطيع تذكر هذا المشهد بوضوح وكأنه يحدث الآن ـ تشقق الحائط المقابل لى ببطء و هدوء فأصبح به شقٌ كبيرٌ لدرجة تسمح برؤية الشمس من خلاله. كان ذلك أرعب وأبشع مشهد رأيته بحياتى. سقطت كميات كبيرة من مسحوق اللصوق من هذا الشق على رءوس الجميع بالغرفة وفتحت فجأة النوافذ القريبة من هذا الحائط المشقق، والتى كانت مغلقة حتى لا تقاطع الضجة الصادرة من قعقعة الجبل حديثى. أما الآن، فقد كان صوت قعقعة الجبل يدوى بقوة عارمة من خلال الشق بالحائط والنوافذ المكسورة.

اندفع السيد إم إلى الطاولة التى كنت أجلس عليها وقفز فوقها وبدأ على الفور بإصدار التعليمات. «أريد جميع النساء والأطفال أن يسرعوا إلى المنصة فورا ويبدءوا فى إزالة الأغطية عن المناطيد! أريد من الرجال أن

يذهبوا جميعًا لبيوتهم لإحضار مظلاتهم العائلية (صعقت عندما سمعت كلمة «مظلة») ثم يسرعوا إلى المنصة المنطادية! أريد من الأولاد الستة البالغين من العمر خمسة عشر عامًا إحضار كل الطعام الذى أعدته السيدة دى للعشاء الليلة والإسراع به إلى المنصة.» صفق عاليا فخلت الغرفة على الفور. التفت إلى السيد إم وقال، «لقد تدربنا على هذا آلاف المرات فلا تنزعج يا بروفيسور شيرمان. إنى واثق أن كل شيء سيكون على ما يرام. سننطلق فى أقل من ربع الساعة. أنت الرجل الوحيد الآن بلا مهمة لأدائها. لدينا جميعا كميات كبيرة من الماس وضعناها فى أكياس مرفقة بمظلاتنا العائلية. لم لا تأخذ دلوا وتحاول الذهاب إلى المنجم لأخذ بعض الماسات؟ إذا أخذت بعض الماسات الكبيرة، ستتكفل بك جيدًا. ولكن لا تقترب من المنجم إذا كان هناك خطرٌ عليك. أرجوك يا شيرمان لاتقترب من المنجم إذا...» كان يصرخ ورائى فقد كنت مسرعا فى طريقى إلى المنجم فور أن سمعت اقتراحه بأن أذهب هناك. للأسف، كان ذلك مضيعة للوقت فقد كان من المستحيل الاقتراب من الجبل. كنت أعلم أنه لم يتبق سوى عشر دقائق وهو الوقت اللازم لملء المناطيد. حاولت الركض إلى المنجم ولكن حركة الأرض طرحتنى أرضًا. حاولت السير فتقدمت بوهن وترنحت وتخبطت حتى تعثرت. حاولت الزحف على الأرض ولكن قعقعة الأرض ظلت تلفنى على جانبى. نظرت إلى الأعلى على الجبل أمامى ورأيت فورا أنه من المستحيل الوصول إليه فى هذا الوقت القصير المخصص لى للذهاب إليه. قذفت الدلو واستدرت وبدأت فى الركض خلال القرية حتى أصل للمنصة. كنت أترنح وأتلوى من حركة الأرض




William Pène du Bois

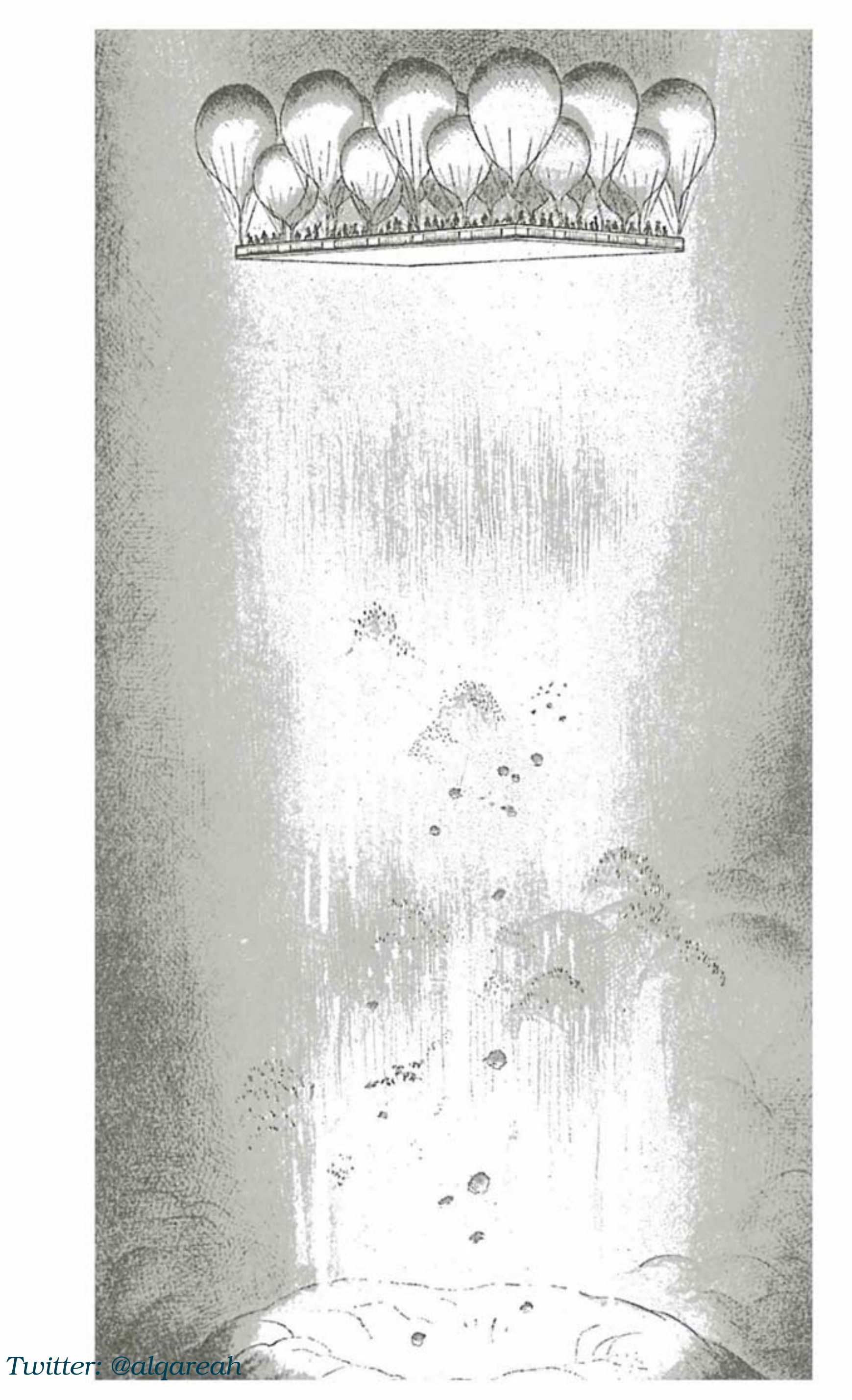
حتى إنى كنت أسقط على الأرض كل بضع أقدام على الطريق. كنت آخر من رأى قرية كراكاتوا على الأرض. وصلت إلى القرية قبل أن يتحطم البيت الكراكاتوى الزجاجى بلحظات فشاهدته وهو يتحول إلى شظايا متناثرة حتى استوى بالأرض فى سيل من الزجاج المكسور. كان منزل إم المغربى الملىء بالاختراعات المبهرة يحترق مثل حلوى البودنج الضخمة ولا شك فى أن هذا الحريق كان نتيجة خلل كهربائى بغرفة المعيشة الكهربائية. عندما وصلت إلى المنصة المنطادية، كانت قد بدأت فى الارتفاع فوق خراطيم الغاز والاستعداد للقفز والانطلاق فى الهواء. كانت العديد من الأيادى ممتدة من المنصة لالتقاطى. مددت يدى عاليا فسحبونى من ذراعى فى نفس الوقت الذى فصلت فيه المنصة نفسها عن الأرض ورفعونى إلى ظهر المنصة. أتذكر أنى سمعت أصوات طقطقة الوصلات الكروية المطاطية وهى تنفصل واحدة تلو الأخرى وكأنها عشرون غطاء فلينيًّا لزجاجات الشمبانيا تطقطق فى أثناء فتحها ثم انطلقنا سريعًا، نحن الواحد والثمانون كراكاتويًّا، فى الهواء.

قضينا أول لحظات لنا على المنصة فى حالة من الهرج والمرج فكانت بعض النساء تصرخ وكان بعض الأطفال يبكون، أما الرجال فكانوا فى حالة من الانفعال الشديد فى أثناء محاولاتهم لتوصيل الخراطيم بوعاء الهيدروجين بينما كان الأولاد المسئولون عن الرافعات الموصلة للغاز بالمناطيد يصيحون فى الرجال ليسرعوا حتى يتمكنوا من ضبط ارتفاع المنصة. كنا نحلق فوق الجبل على منحدر متعرج ولم نستطع الارتفاع فى السماء سريعًا. كان ربط وصلات الخرطوم يتطلب قدرًا كبيرًا من الصبر

بالإضافة إلى دفعه بقوة مائة وخمسين رطلاً. كان الرجال يمسك كل منهم بطرف من الخرطوم ويدفعونه فى اتجاه بعضهم البعض فى عجلة وانفعال ثم ينزلقون ويخبطون رءوسهم. بعد انطلاقنا بثلاث دقائق، كان الجميع يصرخون ماعداى. كنت أخشى التدخل فى هذه المناورة التى يفترض أنهم تدربوا عليها كثيرًا خوفًا من أن أتلقى من أحدهم لكمة ثائرة وغاضبة فى أنفى. وأخيرًا وصلت الخراطيم كلها فى آخر لحظة من اليأس والربكة. بدأ كل صبى على الفور فى إضافة الغاز لمنطاده. ألقى السيد إم بالمياه التى كانوا يستخدمونها فى عزل وعاء الهيدروجين عن المنصة عن طريق الكبس على رافعة بقدميه فارتفعت المنصة العملاقة قبل الاصطدام بقمة الجبل. كنا نحلق فوق فوهة البركان مباشرة وبدلاً من أن يسحبنا الفراغ إلى أسفل الفوهة كما حدث فى أثناء تجولنا بالطوافة السعيدة، عندما كان الجبل ساكنًا، دفعتنا قوة من الهواء الساخن الخارج من الفوهة عاليًا فى السماء. بعد أن أصبحنا على ارتفاع نصف ميل، أصبحنا فى حالة من السكون مقارنة بما كنا عليه. كانت هناك بعض الرياح ولكنها لم تكن قوية بشكل كافٍ حتى تدفعنا بعيدًا عن هذه القذيفة الساخنة المحملة بالكبريت، فقد كناعالقين فوقها مثل كرات السليوليد العالقة بمياه النهر الصغير بأروقة الرماية. لقد قضينا، أيها السيدات والسادة، هذه الليلة الرهيبة الطويلة أعلى ذلك البركان.تسبب الهواء الساخن الخارج من فوهة البركان والارتفاع الذى وصلنا إليه فى تمدد الهيدروجين بالمناطيد حتى بدت على وشك الانفجار. كان من المستحيل أن نضيف المزيد من الهيدروجين بالمناطيد حتى نرتفع بعيدا عن قذيفة الهواء هذه كما كان من

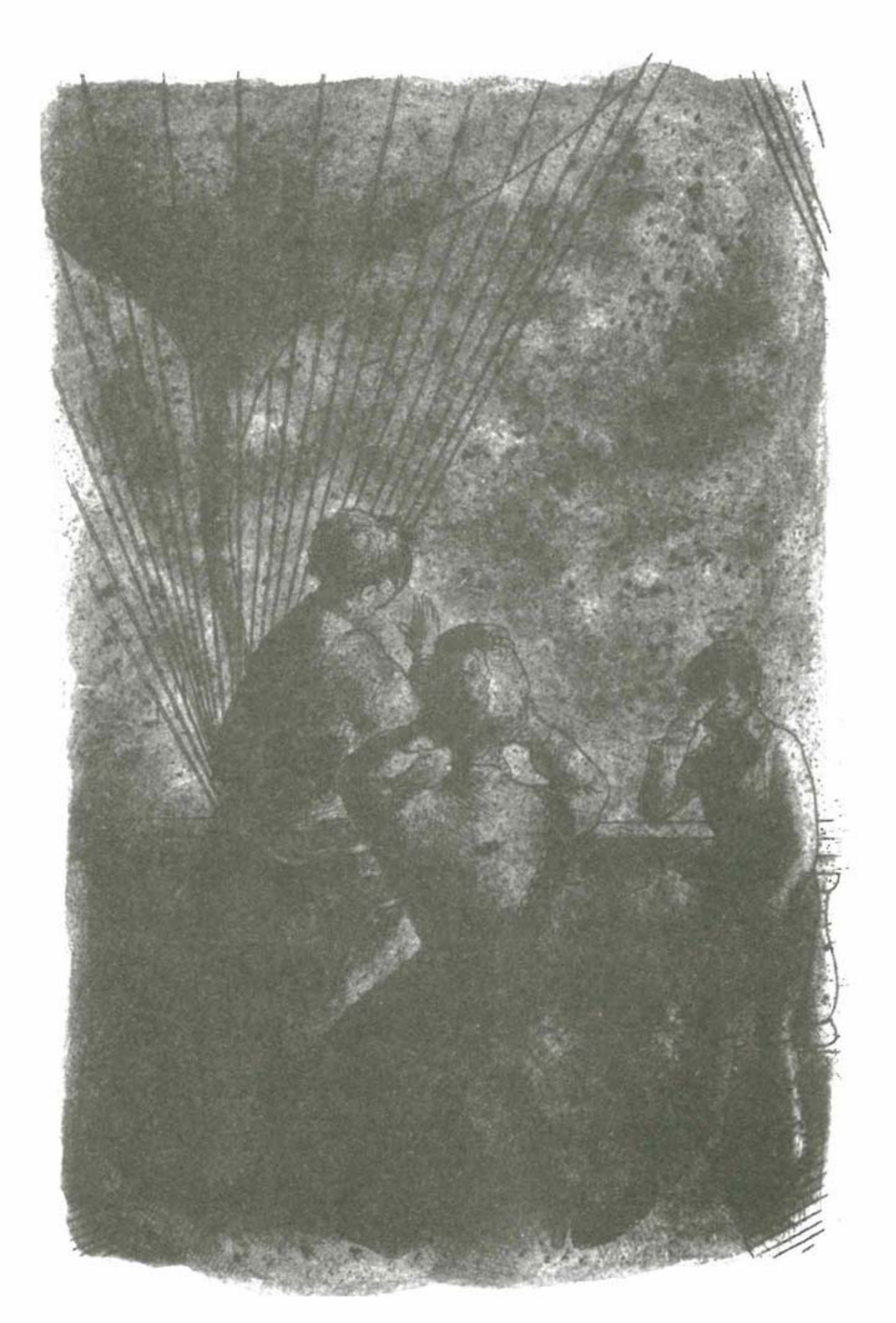
الغباء أن نطلق الغاز من المناطيد ويقل ارتفاعنا فنصبح على مقربة أكثر من الجحيم الذى كنا نحلق أعلاه. كان الجانب المشرق الوحيد فى تلك الليلة التعيسة هو إبقاء تيارالهواء الصاعد من فوهة المنصة على مستوى موحد ومتوازن على الرغم من تمايلنا بالمنصة جيئة وذهابا بعنف شديد فى بعض الأحيان. جعل الضوء المتوهج الخارج من الفوهة كل شىء حولنا باللون الأحمر مما زود من شدة الحرارة حولنا. كانت الحرارة حارقة بالفعل حتى دون اللون الأحمر الذى كان يحيط بنا. كان وضعنا وضعًا ساخرًا جدًّا فقد كنا على أقصى ارتفاع حلق عليه أى منا من قبل وبالرغم من ذلك فقد كنا نشعر جميعا بأننا قريبون من الجحيم بالأسفل أكثر من أى وقت مضى. لقد أبقت الحرارة أيضًا طعامنا دافئًا، ولكن لم يرغب أى منا فى تناول أى طعام تلك الليلة.

قضينا سبع عشرة ساعة فوق البركان، من الساعة الخامسة عصر يوم السادس والعشرين حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى. فى ذلك الوقت كانت قذيفة الهواء قد فقدت قوتها، كما بدا لنا فانخفض ارتفاعنا فأصبحنا على ارتفاع مائة قدم تقريبا من البركان أو خمسمائة قدم تقريبا فوق مستوى البحر ثم جاءت الرياح لتبعدنا عن تلك الفوهة المخيفة. انشغل الأولاد فى ضبط توازن المنصة مرة أخرى بينما نظر رجال ونساء كراكاتوا إلى جزيرتهم بشوق وحنين معتقدين أن الانفجار قد انتهى وأنهم قد تسرعوا فى الرحيل. لم أشاركهم هذه المشاعرعلى الإطلاق فقد هدمت كل المنازل ولم أكن أرغب فى العودة لهذه الجزيرة التى أصبحت الآن مكانًا مهجورًا ومخيفًا حتى إن كانت مناجم الماس سليمة.



حلقنا فى الهواء حتى أصبحنا على ارتفاع ميل واحد أعلى جزيرة جافا. وفجأة، تفجرت جزيرة كراكاتوا من جراء سبع انفجارات سريعة مدوية وتبعثرت أجزاؤها فى الهواء على مدى بصرنا. اهتزت منصتنا الطائرة جيئة وذهابا من أثر هزة الانفجار. تشبث القريبون منا من الدرابزين به بشدة خوفا على حياتهم بينما انقلب بعض الواقفين بمنتصف المنصة مثلما تتقلب الكعكة بالمقلاة. كنا نبعد عن الجزيرة بسبعة وعشرين ميلاً عندما حدث الانفجار، وكانت هذه مسافة كافية لشعورنا بالأمان. إذا كنا أقرب من ذلك، كنا سنقع من على ظهرالمنصة إلى نطاق سوندا. لم نستطيع رؤية ما تبقى من كراكاتوا؛ لأنها كانت مغلفة بسحابة سوداء ضخمة وكثيفة جدًّا من الزجاج البركانى والرماد والدخان والحمم البركانية، مبعثر بداخلها أحجار الماس التى تساوى بلايين الدولارات. لحسن حظنا، تسبب الانفجارفى تيارهواء قوى مثلما يتسبب إلقاء حجرة ببحيرة ما فى موجات على سطحها فدفعنا الهواء بعيدا عن مكان الانفجار سريعا.

كنا نخشى سقوط الرماد أو الحجارة أو حتى أحجار الماس فوقنا فتتسبب فى ثقب المناطيد ولكن ما حدث هو أننا سرعان ما وجدنا أنفسنا مغلفين بسحابة سوداء من الغبار. كانت هذه السحابة كثيفة جدًّا لدرجة استحالة الرؤية من خلالها؛ ولذا كان من الصعب جدًّا حفظ توازن المنصة. حلقنا وسط هذه السحابة لساعات دون أن نستطيع رؤية ما إذا كنا نحلق فوق الأرض أو المحيط. كنا نخشى من أن يكون مصيرنا الاصطدام بقمة أى من جبال جافا. ربطنا المناديل حول وجوهنا حتى لا نتنفس كثيرا من الرماد المسحوق المركز الكثيف والزجاج البركانى المحلقين معنا وقد بدا لنا لبعض الوقت



أننا ما دامت الرياح تسحبنا، ستظل بقايا كراكاتوا المتناثرة تلحقنا وسيظل شبح الجزيرة الميتة يلاحقنا ويغلفنا. كانت الرياح الناتجة عن الانفجار هائلة جدًّا حتى إنها كانت تدفعنا بعنف فى الفضاء بسرعة شديدة جدًّا طوال تلك الرحلة غير العادية.

عندما أتذكر الآن وضعنا مع الطعام وقتها، أرى أنه كان الأطرف والأغرب فى تاريخ السفر بأطواق النجاة. كان معنا ثلاثة أوعية معدنية ضخمة من الأكلة الهولندية التى أعدتها السيدة دى لعشاء ليلة الانفجار. كانت تسمى هذه الأكلة ستامبوت فون زوركول ميت روكوورست. كان معنا أيضًا وعاء كبير من كاكاو فان هوتن وصندوق من جبن جودة الهولندى. لقد سمعت من قبل عن رجال ناجين من حوادث تحطم سفنهم يعيشون على بسكويت البحر القاسى والماء فقط، أما نحن، مواطنى جزيرة كراكاتوا السابقة فقد كنا نعيش على هذه الأكلة الهولندية. كانت هذه الأكلة مكونة من اللحم المطهى فى مرق اللحم والكرنب المخمر والسجق. شعر السيد إم، وهو أول من اكتشف مناجم الماس وأقنع العشرين عائلة الأخرى بالذهاب للعيش بالجزيرة، بأنه مسئول عن الجميع فى هذه الأزمة فأشرف بنفسه على تقسيم أجزاء ضئيلة من الطعام ومقدار ثلاث رشفات من الكاكاو على كل منا كما أشار على جميع العائلات بالقفز من المنصة فور رؤيتهم للأرض، أيا كان البلد الذى نحلق فوقه ما عدا عائلة واحدة وقال، «لدى سبب وجيه لهذا الطلب فبروفيسور شيرمان ليس لديه مظلة وسيضطر للهبوط بالمنصة. سيكون من المستحيل الهبوط بها على الأرض؛ لذا سيضطر للمخاطرة بالاصطدام بأى مياه يحلق فوقها. ستقوم العائلة التى

ستتطوع بأن تبقى معه على المنصة بمساعدته فى التحكم بالمناطيد حتى يرون أنهم يقتربون من المياه ثم تقفز بمظلتها، تاركة المنصة لبروفيسور شيرمان. أريد من جميع العائلات ما عدا واحدة أن تقفز فى أقرب فرصة ممكنة حتى يكفى الفائض من الطعام للبروفيسور شيرمان الذى قد تستغرق رحلته فوق الأرض عدة أيام؛ ولهذا سنترك صندوق الجبن سليما له بما أنه الطعام الأقل عرضة لأن يفسد».

أعرت كلامه هذا انتباها كبيرا فقد بدوت فى حديثه وكأنى البطل الرئيسى البائس فى رواية ميلودرامية على وشك البدء.

سأل السيد إم بعد ذلك الجميع عن الأسرة التى تود أن تتطوع للبقاء معى حتى تسنح لى الفرصة أن أحاول الهبوط فى البحر. تطوعت أسرة إف على الفور للبقاء معى فابتهجت لهذا كثيرا.

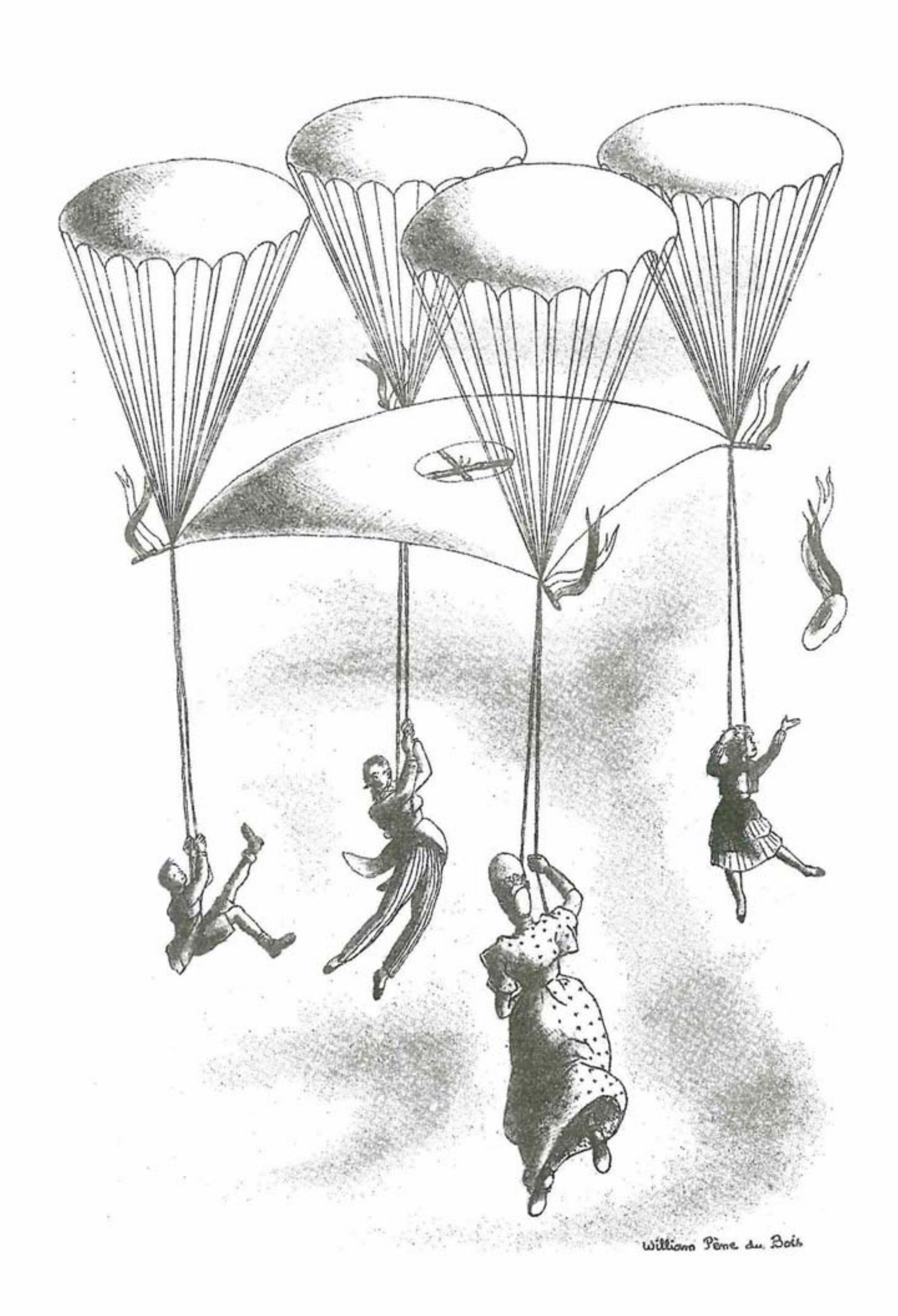
فى عصر اليوم الثانى، خفت السحابة السوداء حتى استطعنا أن نرى أننا لم نعد نحلق فوق جزيرة جافا. إنى أحاول منذ ذلك الوقت إعادة تصور مسار رحلتنا بالمنصة وأعتقد أننا كنا وقتها نحلق فوق المحيط الهندى. فى عصر اليوم الثالث، رأينا أننا نقترب من الأرض، فصاحت التسع عشرة عائلة وهتفت فى حالة من الإثارة وعانقوا بعضهم البعض وبدءوا فى الرقص للتعبير عن فرحتهم. أما عائلة إف، فأسرعوا إلىّ ووقفوا بجانبى ليظهروا لى عدم رغبتهم فى تركى وحدى حتى نصل إلى جسم مائى آخر.

سرعان ما بدأنا فى التحليق فوق الأرض التى كانت عبارة عن غابات كثيفة النباتات. كان السيد إم متكئا على الدرابزين ليتفحص بدقة طبيعة

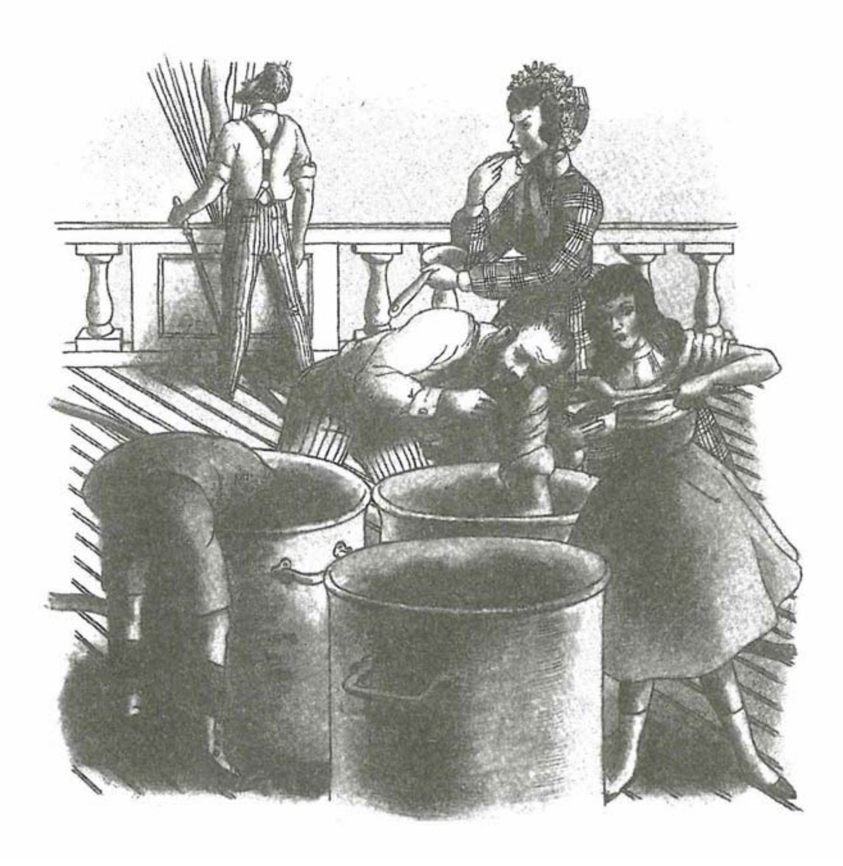
البلد الذى كنا نحلق فوقه. أشار إلى شجر الساج وشجر الصندل كما لاحظ حمرة الأرض فقال، «هذه هى الهند».

بدأت التسع عشرة عائلة فى تحضير مظلاتهم العائلية بسعادة. كانت هذه المظلات مصممة بشكل جيد، سأحاول جاهدا أن أصفها لكم. كانت هناك قطعة مربعة من قماش الحرير مشدودة على عمودْين من خشب البامبو القوى متقاطعيْن بشكل قطرى، يصل كل منهما زاوية من زوايا قطعة القماش بالزاوية المقابلة لها. كان معلقًا بكل زاوية مظلة، ومعلقًا فى كل منها نطاقان مرفق بهما حزام حتى يرتدى كل فرد من العائلة حزامًا منها فعندما يقفزون يكون الأب والأم والولدان معًا. يبقيهم عمود البامبو على مسافة من بعضهم البعض حتى لا يكون هناك خطر أن يصطدموا ببعضهم البعض فى الهواء.

كان الجميع يتطلع بشغف للعثورعلى مكان جيد للهبوط به. فى البداية لم نحلق سوى فوق غابات كثيفة ثم اقتربنا من بعض القرى الصغيرة. نصح السيد إم الجميع بعدم الهبوط على أى من القرى؛ لأن أهلها لن يستطيعوا تمييز المظلات فانتظروا حتى رأوا مكانا بعيدا يبدو أكثر تحضرا فودعوا عائلة إف وودعونى، متمنيين لنا حظا سعيدا ثم قفزوا جميعًا فى نفس الوقت حتى يكونوا معًا عندما يهبطون إلى الأرض. اندفعت المنصة المنطادية بقوة وارتفعت فى الهواء بعد أن خف الوزن الذى تحمله فاستأنفنا، أنا والسيد إف والسيدة إف وإف-1 وإف-2 رحلتنا التى استغرقت تسعة أيام مفزعة أخرى وحملتنا عبر الهند وإيران وتركيا والمجر والنمسا وألمانيا وبلجيكا حيث تركتنى عائلة إف أخيرا، فاستكملت الرحلة وحلقت عبر انجلترا حتى تمكنت من الهبوط بالمنصة فى المحيط الأطلنطى. لقد استمتعنا فى تلك


William Pène du Bois

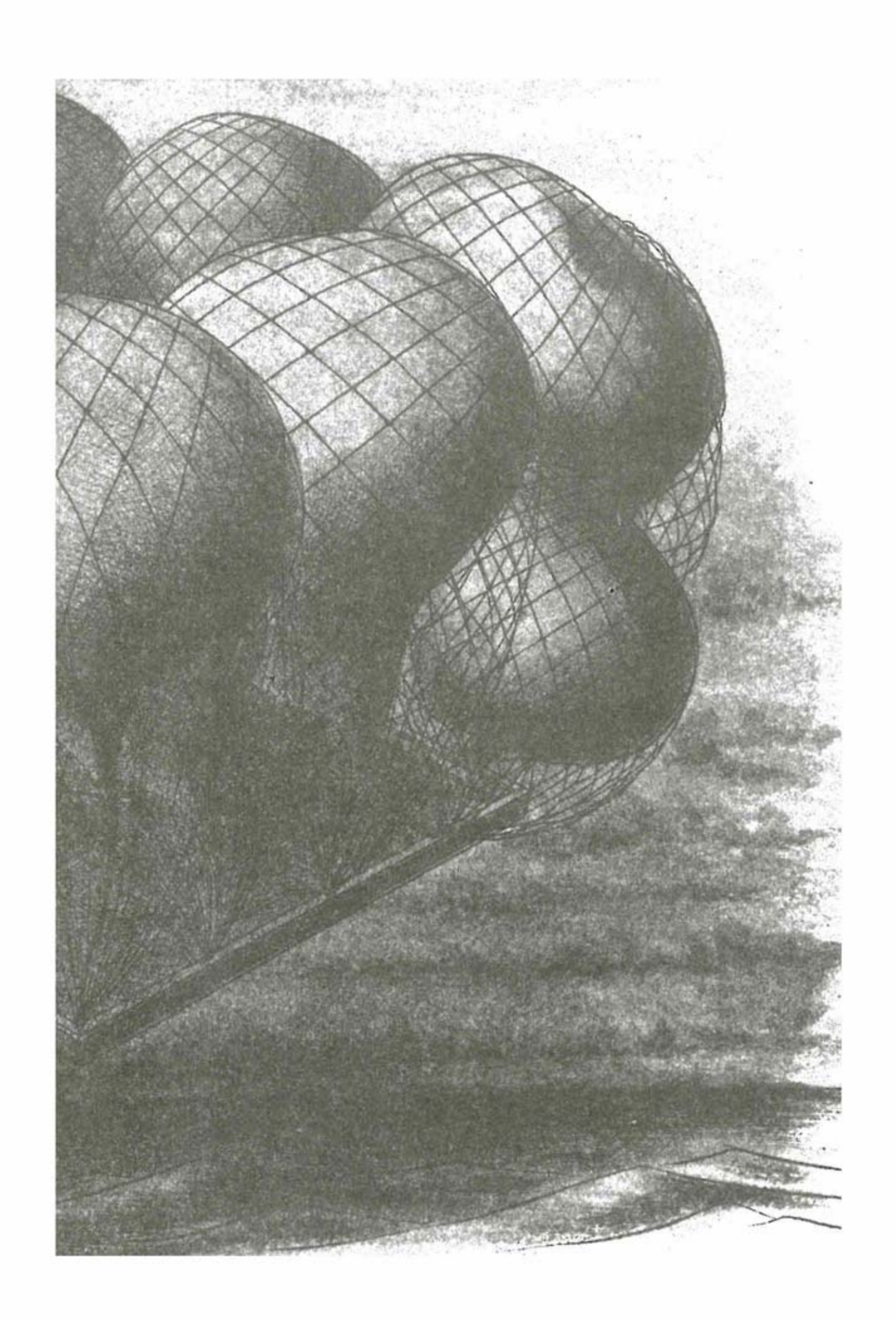
الأيام من أغسطس وسبتمبر بطقس دافئ ورياح رائعة، وقد سافرنا عبر قارة أوربا دون أن نحلق فوق أى جسم مائى فيما عدا مضيق الدردنيل الذى كان أضيق من أن نهبط به. لم نمر على بحر قزوين أو البحر الأسود أو البحر الأبيض المتوسط. قضينا، نحن الخمسة، تسعة أيام بائسة معًا، عشنا خلالها على الجبن فقط، وكنا ننقب فى براميل الطعام مثلما تنقب الكلاب فى صفائح القمامة، حتى نفصل الطعام الفاسد عن الطعام السليم كما كنا نشرب

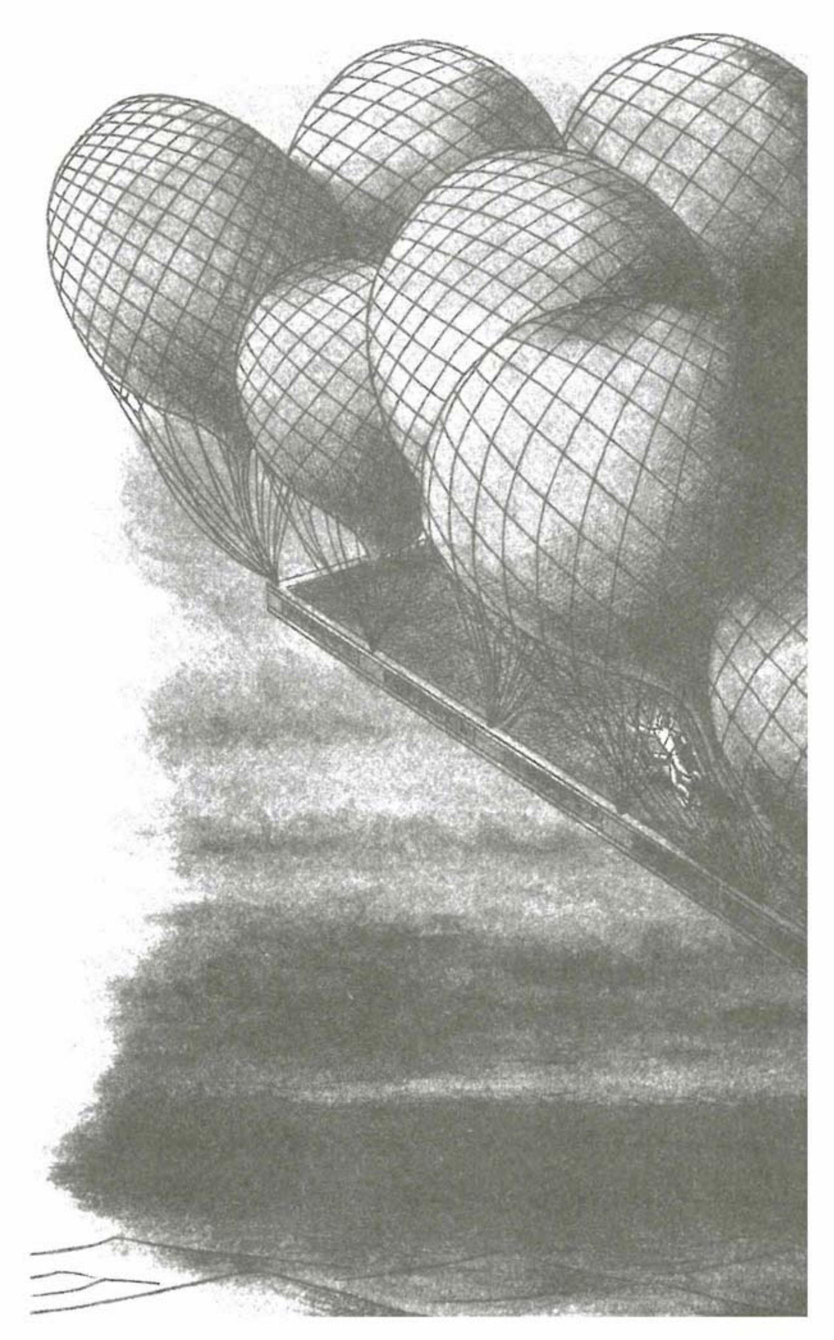


كميات قليلة من عصير الكرنب المخمر والكاكاو البالى. كنا ننام بالتناوب، تستغرق كل منها أربع ساعات وكنا نركض حول المنصة من منطاد إلى الآخر حتى نحافظ على توازن المنصة حتى ظننّا أننا سنموت من فرط التعب والإجهاد. فى اليوم التاسع، كنا نحلق فوق بلجيكا ولمحنا القنال الإنجليزى. ودعت أصدقائى، أفراد عائلة إف وساعدتهم فى تحضير مظلتهم العائلية وشعرت بالحزن وأنا أشاهدهم يقفزون ويهبطون ببطء إلى الأرض، ثم بدأت المحاولة فى الهبوط بالمنصة.

حتى أصل للصمامات التى تطلق الهيدروجين من المناطيد، كان لابد أن أكسر وصلات الخراطيم التى كانت توصلها بوعاء الهيدروجين. كان هذا يتطلب كما تذكرون قوة دفع بمقدار مائة وخمسين رطلاً. عندما بدأت فى سحب واحدة من الوصلات، أدركت أنى لم أعد أقوى على فكها بسرعة كافية تمكننى من الهبوط بالمنصة فى القنال. كنت أخشى أن المسافة التى كنت أحتاجها للهبوط بالمنصة برفق ستأخذنى للأرض مرة أخرى فأصطدم بسواحل انجلترا. لذلك، برغم التعب الذى كنت أشعر به، قررت أن أقضى عصر ذلك اليوم محلقا فوق إنجلترا. فى الساعة السابعة مساء ذلك اليوم وأنا أحلق فوق إسكتلندا، رأيت المحيط الأطلنطى فبدأت فى صراع شبيه بلعبة شد الحبل مع كل خرطوم حتى تمكنت من فك كل الوصلات ثم بدأت فى الهبوط.

انتهت رحلتى بالركض صعدا لمدة ساعتين ففى كل مرة أطلق الغاز من جانب من جوانب المنصة، اضطر للركض ناحية الجانب الآخر المرتفع وأطلق منه الغاز، ثم أركض مرة ثانية إلى الناحية الأخرى التى أصبحت





أكثر ارتفاعًا وهكذا، من طرف إلى الآخر، جيئة وذهابا، بانحدار مستمر حتى اصطدمت أخيرا بالمحيط الأطلنطى. ذكرنى ذلك بمسرحية هزلية كنت قد شاهدتها من قبل فى قاعة لندن الفنية. كان هناك مهرج أسمر مرتدٍ ملابس عتال فى محطة قطار وكان يعزف مقطوعة، «فليحفظ اللّه الملك"، راكضا جيئة وذهابا على خشبة المسرح ومعه مطارق يضرب بها على خطوط السكة الحديد وكأنها آلة إكسيليفون ضخمة. كان يتخبط على المسرح تعب من مجرد عزف مقطوعة واحدة وسط ضحك الجمهور. أؤكد لكم أنى كنت على وشك الموت عندما رآنى الربان سايمون، ربان سفينة إس. إس كانينجهام وأنقذنى بعد عشرين دقيقة من اصطدامى بالمحيط. أعتقد أنكم تعلمون بقية قصتى. إن كان لديكم أية أسئلة، سأكون سعيدا فى محاولة الرد عليها.

وقف الحشد الكبير من الجمهور فى آن واحد وحيا بروفسير شيرمان بتصفيق حاد وهتافات مدوية. بعد عشر دقائق من هذا الصخب، صعد المحافظ، الذى كان يصافح البروفيسور بقوة ويربت على ظهره، إلى المنصة ورفع يديه لتهدئة الجمهور ثم قال، «هل لديكم أية أسئلة؟».

صمت الجميع لبرهة ثم صاح رجل من الجمهور وقال، «كيف استطعت أن تمتعنا بهذا الحديث الرائع وأنت فى هذه الحالة الصحية يا بروفيسور شيرمان؟».

صاح البروفيسور وهو يقفز من على الفراش قائلا، «أنا بصحة جيدة، فقد استرحت تمامًا فى قطار الرئاسة فى أثناء رحلتى عبر البلاد التى استغرقت

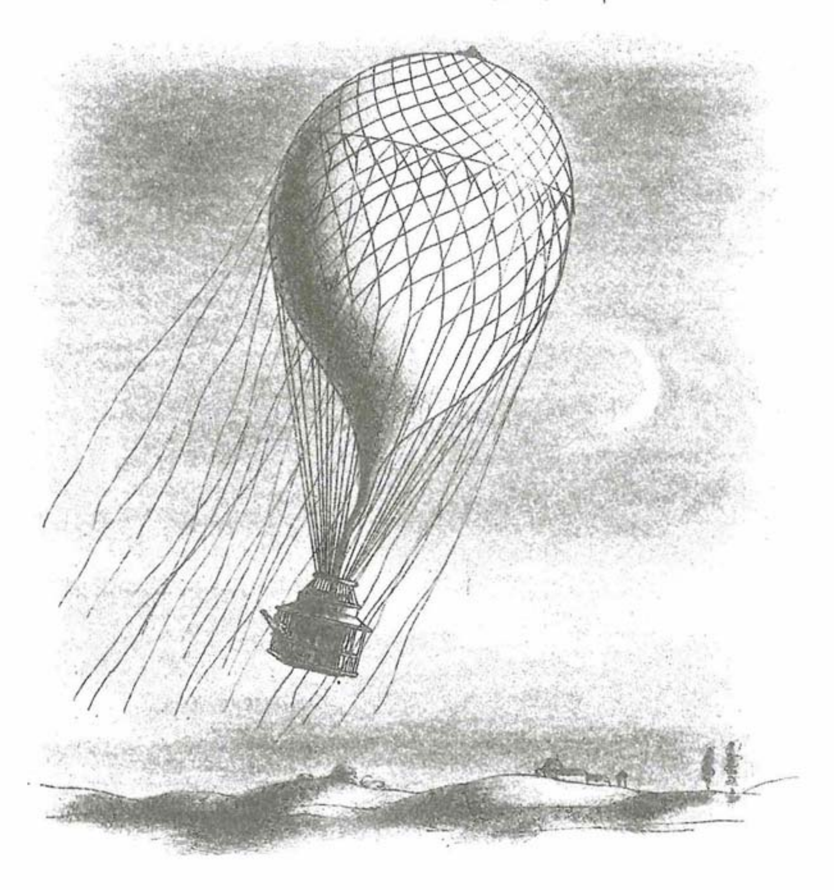


خمسة أيام وكان بإمكانى التحدث إليكم واقفا ولكن عندما رأيت هذا الفراش الجميل على المنصة، ظننت أنه من الغباء ألا أستغل وجوده».

ضحك الجمهور عاليا وصفق للبروفسير ثم وقفت سيدة وصاحت قائلة، «ماذا ستفعل الآن يا بروفسير؟».

طوى البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان أكمام سترته ليظهر أطراف أكمام قميصه، بينما علت وجهه ابتسامة عريضة. لمعت وسطعت أزرار الأكمام، عاكسة للأشعة العديدة الصادرة من أضواء مقدمة المسرح. قال

البروفيسور، «لدى زرى أكمام مكونين من أربعة أحجار من الماس فى حجم حبات الفاصوليا قد أهداها لى صديقى المخلص، السيد إف، فى أول يوم هبطت فيه على كراكاتوا. سأقوم أولا ببيع هذين الزرين ثم سأصنع لنفسى منطادًا وأسميه جلوب الثانى. سأرفق بهذا المنطاد بيتًا على هيئة سلة منطاد ومصيدة لطيور النورس أعمل على صناعتها الآن مستخدما الطعام كثقل لموازنة المنطاد، أخطط لقضاء عام كامل محلقا فى الهواء، عام كامل من الحياة السعيدة، عام كامل على متن المنطاد!».



نبــذة عــن الكاتب

أصدر الكاتب ويليام بينى دوبوا (1916-1993) كتابه الأول وهو فى السابع عشر من عمره. قام منذ ذلك الوقت بكتابة ورسم العديد من قصص الأطفال المحبوبة التى تتضمن القصة الحائزة على جائزة كالديكوت أونور بوكس، حفلة الأسد والدب، بالإضافة إلى قصص سيرك الدببة، واحذر الدب، أوتو والبطاطا السحرية، وبيتر جريفز. وقد حاز دوبوا على ميدالية نيوبيرى عام 1948 عن قصة الواحد والعشرين منطادًا.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

جانح إلى الفردوس!

عندما غادر البروفيسور ويليام ووترمان شيرمان مدينة سان فرانسيسكو فى منطاد الهواء الساخن، كان يعتزم عبور المحيط الهادئ محلقًا فوقه، إلا أن تصاريف القدر شاءت له أن يهبط فى «كراكاتوا»، وهى جزيرة أسطورية تزخر بثروات يصعب على المرء تصورها، سكانها غريبو الأطوار، وتحفل باختراعات المناطيد العجيبة. وبمجرد أن يطلع البروفيسور شيرمان على أسرار «كراكاتوا»، يتعين عليه البقاء فيها إلى الأبد إلا إذا وجد وسيلة للهروب.

«يجمع ويليام بين دوبوا خياله الخصب، وميوله العلمية، وبراعته الفنية الفذة ليروى لنا قصة تروق القراء من جميع الأعمار».

مجلة «ذا هورن بوك»



